الجزء الثالث   المجلد الرابع والثلاثون





رمضان المبارك ١٤٠٣ هـ
تمــوز ١٩٨٣ م

الجزء الثالث المجلد الرابع والثلاثون







رمضان المبارك ١٤٠٣ هـ
تمـوز ١٩٨٣ م

كتب الهند والعلوم عند العرب

الدكتور صالح أحمد العلي

(رئيس المجمع)

اشارت الكتب الى الصلات الثقافية بين الهند من جهة ، والعراق والمشرق من جهة أخرى. فذكر ابن النديم نقلاً عن كتاب النهمطان ان علماء المشرق تشتتوا بعد فتح الاسكندر بلاد المشرق ، وذهب بعضهم الى الهند ، وانه لما ولي اردشير الحكم « بعث الى بلاد الهند والصين في الكتب التي كانت قِبَلهم ، والى الروم، ونسخ ما كان سقط اليهم ، وتتبع بقايا يسيرة بالعراق ، فجمع ما كان متفرقاً ، والّف منها ما كان متبايناً ، وفعل ذلك من بعده ابنه سابور ، حتى نسخت تلك الكتب بالفارسية ، فشرحوها وعلموها للناس على مثل ما كانوا أخذوا من جميع تلك العلوم [١] ؛ وذكر الطبري أن سابور الثاني «نقل طبيباً من الهند فأسكنه الكرخ من السوس، فلما مات ورث طبّه أهل السوس ، ولذلك صار أهل تلك الناحيــة أطبّ العجم » [٢] غير أنه لم ترد في المصادر إشارة من العهود الاسلامية الى براعة أهل السوس في الطب ، ولم يُذكر اسم طبيب ظهر فيهم ، أو مؤلّف قاموا بكتابته ، ولعله قصد بذلك أهل جند يسابور التي اشتهرت بعلم الطب وكانت بالقرب من السوس .

ومن كتب الهند التي وصلت الفرس ثم منهم الى العرب كتاب كليلة ودمنة ، واسمه بالهندية « بنج تنتر » وقد « تردد بين الفارسية والهندية ثم

(١) الفهرست ٣٠٠ .

(٢) الطبري ١/٨٤٥ .

العربية والفارسية على ألسنة قوم لايؤمن تغييرهم إيّاه كعبد الله بن المقفع في زيادته باب برزويه فيه . واذا كان فيما زاد لم يَخْلُ عن مثله فيما نقل»[٣] ويذكر ابن ابي اصيبعة ان برزويه الطبيب جلبه من الهند وترجمه الى الفارسية في زمن انوشروان ثم ترجمه ابن المقفع الى العربية بعدئذ[٤] .

وقد اشار الجاحظ في عدة مواضع من كتبه بمعارف الهنود وافادة العرب منها ، ومن ذلك قوله : ولولا خطوط الهند لضاع من الحساب الكثير والبسيط ، ولبطلت معرفة التضاعيف ، ولعدموا الإحاطة بالباورات وباورات الباورات ، ولو ادركوا ذلك لما ادركوا الابعد ان تغلظ المؤونة وتنتقض المنّة ، ولصاروا في حال معجزة وحسور ، والى حال مضيعة وكلال حدّ ، مع التشاغل بأمور لولا فقد هذه الدلالة لكان أربح لهم واردّ عليهم ان يصرف ذلك الشغل في ابواب منافع الدين والدنيا »[٥] .

وقال ايضاً « وقد تعلمون مافي الهند من الحساب وعلم النجوم وأسرار الطب والخرط والنجر والصناعات الكثيرة العجيبة »[٦] .

وقال أيضاً « واما الهند فوجدناهم يقدّمون في النجوم والحساب ، ولهم الخط الهندي خاصة ، ويقدّمون في الطب ، ولهم أسرار الطب وعلاج فاحش الأدواء خاصة ، ولهم خرط التماثيل ونحت الصور والأصباغ تتخذ في المحاريب واشباه ذلك ، ولهم الشطرنج وهو اشرف لعبة واكثرها تدبيراً وفطنة ، ولهم السيوف القلعية ، وهم ألعب الناس بها وأحذقهم ضرباً بها ، ولهم الرُقي النافذة في السموم وفي الاوجاع . ولهم غناء معجب ،

(٣) البيروني : تحقيق ما للهند من مقولة . طبعة ج صيدرآباد ١٢٣ .
(٤) عيون الانباء في طبقات الاطباء : طبعة مكتبة الحياة ٤١٣ .
(٥) الحيوان طبعة عبدالسلام هارون ١٦/١ .
(٦) فخر السودان على البيضان : مجموع رسائل الجاحظ ٢١٢/١ .

ولهم الكنكلة ، وهي وتر واحد يمدّ على قرعة فيقوم مقام أوتار العود والصنج ، ولهم ضروب الرقص والخفة، ولهم الثقافة عند الثقّاف خاصة ، ولهم معرفة المناصفة ، ولهم السحر والتدخين والدماركة ، ولهم خط جامع لحروف اللغات ، وخطوط أيضاً كثيرة ، ولهم شعر كثير وخطب طوال ، وطب في الفلسفة والأدب ، وعنهم أُخذ كتاب كليلة ودمنة . . . ومن عندهم خرج الفكر وما إذا تكلم به على السم لم يضر ، وأصل حساب النجوم من عندهم أخذه الناس خاصة » (٧) .

وأجمل صاعد بن احمد مكانة علوم الهند وأثرها في علوم العرب فقال « الهند أمة كثيرة القدر ، عظيمة العدد ، فخمة الممالك ، وقد اعترف لها بالحكمة وأقرّ لهـا بالتبرز في فنون المعارف جميع الملوك السالفة والقرون الماضية . فكانت الهند عند جميع الأمم على ممرّ الدهور وتقادم الازمان معدن الحكمة وينبوع العدل والسياسة ، واهل الأحلام الراجحة والآراء الفاضلة ، والأمثال السائرة ، والنتائج الغريبة ، واللطائف العجيبة : فلهذا التحقوا بعلم العدد والاحكام بصناعة الهندسة ، ونالوا الحظ الاوفى والقدح المعلى في معرفة حركات النجوم ، واسرار الفلك ، وسائر العلوم الرياضية .

وبعد هذا فانهم أعلم الناس بصناعة الطب وأبصرهم بقوى الأدوية وطبائع المولدات وخواص الموجودات ، ولملوكهم السيرة الفاضلة والملكات المحمودة والسياسات الكاملة .

ولبعد الهند من بلادنا واعتراض الممالك بيننا وبينهم قلّت عندنا تآليفهم ، فلم تصل الينا إلاّ طرف من علومهم ولا وردت علينا الا نبذ من مذاهبهم ولا سمعنا الا بالقليل من علمائهم .

إن مذاهب الهند في علم النجوم المذاهب الثلاثة المشهورة عنهم وهو مذهب السند هند ، ومذهب الازجير (الارجبهذ) ومذهب الأركند : ولم

(٧) كذلك ١/٢٢٣–٤ .

يصل إلينا منهم على التحصيل إلاّ مذهب السند هند الذي تقلّده جماعة من الاسلام والّفوا فيه الازياج كمحمد بن ابراهيم الفزاري ، وحبش بن عبدالله البغدادي ، ومحمد بن موسى الخوارزمي والحسين بن محمد المعروف بابن الآدمي وغيرهم ، وتفسير السند هند « الدهر الداهر » كذلك حكى الحسين ابن الآدمي في زيجه .

ومما وصل الينا من علومهم في الموسيقى الكتاب المسمى بالهندية « نافر » وتفسيره ثمار الحكمة ، فيه اصول اللّحون وجوامع تأليف النغم .

ومما وصل الينا من علومهم من اصلاح الاخلاق وتهذيب النفوس « كليلة ودمنة » الذي جلبه برزويه الحكيم الفارسي من الهند الى انوشروان ابن قباذ بن فيروز ملك الفرس وترجمه له من الهندية الى الفارسية ،ثم ترجمه في الاسلام عبد الله بن المقفع من الفارسية الى اللغة العربية ، وهو كتاب عظيم الفائدة ،شريف الغرض ، جليل المنفعة .

ومما وصل الينا من علومهم في العدد حساب الغبار الذي بسطه ابو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي ، وهو أوجز حساب واخصره وأقربه تناولا واسهله مأخذا وابدعه تركيبا ، يشهد للسند بذكاء الخواطر وحسن التواليد وبراعة الاختراع .

ومما وصل الينا من نتائج فكرهم الصحيحة ، ومولدات عقولهم السليمة وغرائب صنائعهم الفاضلة الشطرنج[٨] .

المنقولات الأولى

اشارت بعض المصادر الى ان الاتصال العلمي بين الهند والعرب كان منذ

(٨) طبقات الامم ١٢–١٤ وقد نقل هذا النص ابن القفطي بعد سطرين من كلام نقله عن كتاب الألوف لابي معشر الفلكي . (اخبار الحكماء ٢٦٦) ، مما قد يدل على ان ابا معشر هو المصدر الاصلي للنص .

اوائل تأسيس الدولة العباسية ، فذكر الطبري نقلا عن علي بن محمد بن سليمان النوفلي عن ابيه انه كان يقول « كان المنصور لا يستمرئ طعامه ويشكو من ذلك المتطببين ويسألهم ان يتخذوا له الجوارشنات ، فكانوا يكرهون ذلك ويأمرونه ان يُقلّ من الطعام ، ويخبرونه ان الجوارشنات تهضم في الحال وتحدث من العلة ما هو اشد منه عليه ، حتى قدم عليه طبيب من اطباء الهند فقال له كما قال له غيره »[٩]

وذكر البيروني ان في زيج الفزاري ويعقوب بن طارق ادوار الكواكب السيارة « مستفادة من الرجل الهندي الذي كان في جملة وفد السند على المنصور » في سنة ١٥٤[١٠] ، وذكر ايضا انه اطلع على ما ذكره يعقوب بن طارق في كتابه « في تركيب الافلاك عن ابعاد الكواكب» استفادها عن الهندي في سنة ١٦١ »[١١] . ومن المحتمل ان نص البيروني متمم لنص الطبري اي أنه وفد على المنصور من السند وفد سنة ١٥٤ ، وفيه علماء بالنجوم واطباء ، وانهم اقاموا ببغداد ونشروا من علمهم فيها ، رغم ان كلا المصدرين لا يشيران الى اسماء العلماء الهنود في هذا الوفد .

وفي زمن خلافة هارون الرشيد قدم بغداد عدد من اطباء الهند ، ونسب بعض المصادر قدومهم الى البرامكة ، ونسب البعض الآخر قدومهم الى الخليفة نفسه .

فمن المصادر الاولى ابن النديم الذي ذكر « حكى بعض المتكلمين بأن يحيى بن خالد البرمكي بعث برجل الى الهند ليأتي بعقاقير موجودة في بلادهم وان يكتب اليه اديانهم . قال محمد بن اسحق : الذي عنى بأمر الهند في دولة العرب يحيى بن خالد وجماعة البرامكة ، ويوشك ان تكون

---

(٩) الطبري ٣/٣٨٨ .
(١٠) تحقيق ما للهند ٣٥١ .
(١١) كذلك ٣٩٧ .

هذه الحكاية صحيحة اذا اضفناها الى ما نعرف من امر البرامكة واهتمامهم بأمر الهند واحضار علماء طبها وحكمائها [١٢] .

ويقول الجاحظ « قال معمر ابو الاشعث قلت لبهلة الهندي ايام اجتلب يحيى بن خالد اطباء الهند مثل منكه وبازبكر وقلبرقل وسندباد وفلان وفلان[١٣] .

ويذكر ابن النديم ان ابن دهن « كان اليه بيمارستان البرامكة ، نقل الى العربي من اللسان الهندي [١٤] .

ويذكر مسيح الدمشقي في الرسالة الهارونية « اعتل امير المؤمنين هارون الرشيد فبعث الى اطباء الاسلام واليهود والنصارى والمجوس وكنت فيمن دخل عليه ويوحنا بن ماسويه ، وكان جملة عددهم سبع مائة طبيب فلم يتركوا دواء الا وصفوه له ولم ينجح فيه الدواء شيئا ، فبعث الى اطباء الهند فبعث اليه طبيبا يسمى آمضه ؟ وكتب اليه ملك الهند ان كل مرض لا يعرفه هذا الطبيب الذي بعثته اليك فليس له دواء الا الموت ، فأتي الطبيب في ستين راكبا ، فجعل هذا الدواء لهارون الرشيد فبرىء في ثلاثة ايام باذن الله تعالى . وكان الهندي غير مسلم فلم يزل يعظه ابو بكر الأصم حتى اسلم فاعطى هذا الطبيب اموالا كثيرة فامتنعا منها وقالا له اسلامك عندي خير من الدنيا وما فيها، فلما هم بالانصراف كتب لهما هذا المغيث(؟) وصار من بغداد... سار . قال مسيح فصحبته الى بلاد الهند مع ابي بكر الاصم فبقيت معه ثلاث سنين حتى مهرت في الطب . . هذا المغيث في هذه الرسالة لامير المؤمنين هرون الرشيد [١٥] .

وذكر ابن ابي اصيبعة ان منكه الهندي « كان في أيام الرشيد هارون ،

---

(١٢) الفهرست ٤٠٥ .

(١٣) البيان والبنين ١/٩٢ .

(١٥) الرسالة الهارونية ، مخطوطة الفاتيكان ٣٠٩ ص ٩٤،١ ــ ب .

وسافر من الهند الى العراق في أيامه ، واجتمع به وداواه » ؛ وينقل من كتاب « أخبار الخلفاء والبرامكة » : ان الرشيد اعتل علة صعبة ، فعالجه الاطباء ، فلم يجد من علته إفاقة ؛ فقال له ابو عمرو الأعجمي : بالهند طبيب يقال له منكه وهو أحد عبّادهم وفلاسفتهم فلو بعث اليه امير المؤمنين فلعـــل أن يهب له الشفاء على يده ، قال فوجّه الرشيد من حمله ووصله بصلة تعينه على سفره ، فقدم وعالج الرشيد فبرأ من علته بعلاجه »[١٦] .

يتبين من هذه الروايات بجموعها ان الطب الهندي كان يحظى بالتقدير الكبير في زمن هارون الرشيد الذي اعتمد على بعض اطبائهم في علاجه من امراض لم يشفها اطباء العراق ، وان عدداً منهم أُقدم الى بغداد ومارس الطب فيها وان أحدهم ، وهو ابن دهن ، كان يشرف على بيمارستان البرامكة ؛ وان بعض اطباء العراق ذهبوا الى الهند لدراسة الطب فيها .

ويلاحظ ان الجاحظ ذكر أن أحد هـــؤلاء الاطباء جلب كتاباً في البلاغة ترجم في بغـــداد الى العربية ، ونقل عن هذه الترجمة نصاً طويلاً في تعريف البلاغة[١٧] . ولعل هؤلاء الاطباء جلبوا كتباً أخرى في غير هذه المواضيع .

نقل كتب الطب :

ذكرت المصادر اسماء بعض الاطباء الهنود الذين قدموا بغداد، او نُقِلَت كتبهم فيها ، واورد بعض المصادر معلومات مستمدة من هؤلاء الاطباء او من كتبهم .

فقد نقل مسيح الدمشقي في الرسالة الهارونية عن فلطس الهندي معلومات عن الطبائع ومايقابلها من النجوم ، والقول فيما يستحب ويجتنب ، وأمارة

(١٦) عيون الانباء ٤٧٥ .

(١٧) البيان والتبيين ١/٩٢-٩٣ ، وهذا الكلام المنسوب لبهلــة في البلاغــة اورده ايضا ابو هلال العسكري وفسره في كتابه «الصناعتين» ١٩ ، كما نقل منه ابن قتيبة في «عيون الاخبار» ٢/١٧٣ .

المريض ، وأخذ الدواء والحجامة ، والمنازل التي يشرب فيها الدواء [18]

كما نقل عنه وعن جالينوس معلومات في مفاصل الانسان وتجربة اعضائه ، وفي المـــرّة الصفراء ، وفي علاجات ضربان العروق ؛ ونقل عنه وعن جالينوس وبقراط عن البلغم والدم والمرّة، وعن الأغذية النافعة ، وعن المياه [19] . غير أني لم أجد في المصادر الاخرى التي اطلعت عليها ذكراً لهذا الطبيب الذي اكثر من النقل عنه منفرداً او مقترناً بجالينوس وبقراط ، ولم يذكر عن غير الثلاثة نقلاً .

وذكر الجاحظ نقلاً عن مَعْمَر أبي الاشعث « قلت لبهلة ايام اجتلب يحيى بن خالد اطباء الهند مثل منكه، وباز بكر ، وقلبرقل ، وسندباد ، وفلان وفلان . . . » [20] . ولم اجد في المصادر ذكراً لغير منكة منهم .

اما بهلة فلم تذكره المصادر ، ولكن ذكرت صالح بن بهلة فقد قال عنه ابن ابي اصيبعة انه « متميز من علماء الهند، وكان خبيراً بالمعالجات التي لهم، وله قوة وانذارات في تقدمة المعرفة، وكان بالعراق ايام الرشيد هارون »

ونقـــل يوسف بن ابراهيم الحاسب المعروف بأبن الداية عن احمد بن الداية عن احمد بن رشيد الكاتب مولى سلام الابرش عن سلام أن الرشيد اعد مائدة غداء واستدعى جبريل بن بختيشوع عندما ورد خبر وفاة ابراهيم ابن صالح ، ابن عم الرشيد « فقال جعفر بن يحيى : ياامير المؤمنين ان طب جبريل طب رومي ، وصالح بن بهلة في العلم بطريقة أهل الهند في الطب مثل جبرائيل في العلم بمقالات الروم » ثم ارسل الرشيد صالح بن بهلة، فتبين له ان ابراهيم

(18) هذه النصوص مذكورة في الرسالة الهارونية بالتتابع ص ٢٢ ، ٣٧ ، ٥٠ ، ٥٨ ، ٥٩ .

(19) هذه النصوص مذكورة بالتتابع ص ١٥ ، ١٩ ، ٥١ ، ١٦ ، ٢٨ ، ٣٠ .

(20) البيان والتبيين ١/٩٢ .

ابن صالح حيّ لم توافه المنية [٢١] .

ولم أجد في المصادر ذكراً لكتاب ترجمه صالح بن بهلة .

اما منكه فقد ذكره ابن النديم في اسماء النقلة الهند وقال « منكه الهندي وكان في جملة اسحاق بن سليمان بن علي الهاشمي ، ينقل من الهندية الى العربية [٢٢] وذكر ايضاً انه ؛ فسر لاسحاق بن سليمان كتاب اسماء عقاقير الهند ، وان يحيى بن خالد (البرمكي) امر بتفسير كتاب سسرد له من البيمارستان ، وهو يجري مجرى الكناش [٢٣] .

وذكر ابن ابي اصيبعة ان منكه « كان متقناً لغة الهند ولغة الفرس ، وهو الذي نقل كتاب شاناق الى العربية » [٢٤] ؛ غير انه لم يذكر اسم كتاب شاناق الذي ترجمه منكه ، علماً بأن ابن النديم ذكر ان لشاناق كتاباً في التدبير وفي الأشربة [٢٥] ، و « في امر تدبير الحرب وماينبغي للملك ان يتخذ من الرجال في امر الاساورة والطعام والسم » [٢٦] .

ان اسحق بن سليمان بن علي الهاشمي هو من كبار رجال الاسرة العباسية . تزوج العالية ابنة الخليفة المهـــدي [٢٧] ، وولي للرشيد المدينة سنة ١٧٠ ، ثم ولي السند ومكران سنة ١٧٤ ، ثم ولي مصر سنة ١٧٧ ، وولى للأمين حمص وارمينية [٢٨] ؛ ويبـــدو انه استقر به المقـــام بعـــد ذلك ببغداد ، وكان معنياً

(٢١) عيون الانباء ٤٧٤ وقد نقل هذه المعلومات القفطي في «اخبار الحكماء» ٢١٥ – ٢١٧ .
(٢٢) الفهرست ٣٠٥ .
(٢٣) الفهرست ٣٦٠ .
(٢٤) عيون الانباء ٤٧٥ .
(٢٥) الفهرست ٣٦٥ .
(٢٦) الفهرست ٣٧٧ .
(٢٧) الطبري ٣/٤٤٣ .
(٢٨) انظـر الطبري ٣/٦٠٣ ؛ ٦١١ ؛ ٦٢٩ ، ٧٧٩ ، ٧٩٥ وانظر البلاذري : انساب الاشراف ٣/٩٤ ؛ تاريخ بغداد للخطيب ٤/٣٢٩ ؛ تاريخ خليفـة ٤٩٩ ، ٥٠٠ .

بالاخبار ، وذكر المسعودي ان له «كتاب التاريخ والسير»[29] واشار طيفور الى عنايته بالاخبار حيث قال عن دخول المأمون بغداد «وذكر جماعة من الرواة منهم اسحق بن سليمان الهاشمي وابو حسان الزيادي وابن شبانة المروزي فيما حملوا من كتب التاريخ واتفقوا جميعاً عليه ان دخول المأمون في بغداد..»[30] وذكر في موضع آخر « قال ابو حسان الزيادي والهاشمي والخوارزمي وجميع اصحاب التواريخ كتب المأمون الى عبدالله بن طاهر . . .»[31] ؟ وذكر حنين بن اسحق في كتابه عن كتب جالينوس، عدداً من كتب جالينوس ترجمت لاسحق ، الامر الذي يدل على رعايته العلم ، وعنايته بالترجمة ، وامتداد حياته الى ما بعد خلافة المأمون . وقد يدل هذا ايضاً على ان منكه كان حياً الى زمن المأمون على الاقل حيث استقر اسحق ببغداد .

ذكرنا اعلاه قول ابن ابي اصيبعة ان منكه نقل الى العربية كتاب السموم لشاناق . فقد ذكر ابن اصيبعة ان شاناق من المشهورين من اطباء الهند « وكانت له معالجات وتجارب كثيرة في صناعة الطب وتفنن في العلوم وفي الحكمة ؛ متقدماً عند ملوك الهند » وذكر ايضاً « لشاناق من الكتب كتاب السموم ، خمس مقالات نقله من اللسان الهندي الى اللسان الفارسي منكه الهندي ، وكان المتولي لنقله بالخط الفارسي رجل يعرف بابي حاتم البلخي ، فسّره ليحيى بن خالد بن برمك ، ثم نقل للمأمون على يد العباس بن سعيد الجوهري مولاه ،وكان المتولى قراءته على المأمون . (وله ايضاً) كتاب البيطرة ، كتاب الجوهر المنتحل ، وألفه لبعض ملوك زمانه ، وكان يقال لذلك الملك ابن قانص الهندي» ونقل ابن ابي اصيبعة فقرة طويلة من كتاب الجوهر المنتحل[32].

(٢٩) مروج الذهب ١/٥٣ طبعة صادر .
(٣٠) بغداد ١ .
(٣١) بغداد ٧٩ ، وانظر فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي ١/٥٠٠ .
(٣٢) عيون الانباء ٤٧٤ .

ان «شاناق» هو الاسم الذي اطلقه العرب على كاناكيا الذي كان وزيراً للملك كاندراجوبتا ، وكانت وفاته سنة ٣٢٠ م . اما كتابه في السموم فتوجد منه مخطوطات في مكتبات برلين ، والقاهرة ، وبيروت ، والمتحف العراقي ببغداد ، ومكتبتي اسعد افندي وشهيد علي في استامبول . وقد نشر عنه ابحاثاً عدد من المستشرقين ومنهم موللر ، وجولى ، وروسكا ، ودنلوب . ثم قام بتينا شتراوس بطبع الكتاب في سنة ١٩٣٥ [٣٣] .

ذكرنا ان يحيى بن خالد البرمكي امر منكه بتفسير كتاب سسرد له من البيمارستان ، وهو يجري مجرى الكناش؛ وكتاب سسرد ذكره اليعقوبي على رأس قائمة كتب الطب الهندية ، وقال « الكتاب الذي يسمى سسرد ، فيه علامات الادواء ومعرفة علاجها وادويتها [٣٤] ، كما انه احد الكتب التي اعتمدها علي بن ربن الطبري في المقالة الرابعة من كتابه « فردوس الحكمة » [٣٥] وصرح بنقله عن سسرد في مكانين [٣٦] ان سسرد هو اللفظ العربي لسوشروتا الذي عاش في القرن الرابع الميلادي ، واسم كتابه سمهوتا ، ولعله نفس كتاب « المجمل والمفصل » الذي ذكر البيروني انه لسسرد وجاء فيه انه ذكر فيه حجر الياقوت وانه استعمل ما يقطر منه من الماء في علاجاته ، وقال ان الذي يرشح من هذه الحرارة نافع من الحميات وارواح السوء [٣٧] . ولم يرد في الكتب العربية نقل منه وقد نشر كفيروج كنا حلال مشاجراتنا ترجمة انكليزية لهذا الكتاب [٣٨] .

ذكرنا من قبل ان ابن النديم ذكر أن منكه فسّر لاسحاق بن سليمان

---

(٣٣) انظر تفاصيل ذلك في كتاب «الطب في الاسلام» لمانفريد اولمان .
(٣٤) تاريخ اليعقوبي ١/٧٤ طبعة النجف .
(٣٥) ص ٥٥٧ .
(٣٦) ص ٥٥٨ ، ٦٦٢ .
(٣٧) الجماهر في معرفة الجواهر ٨٠ .
(٣٨) نشرت في المجلد ٣٠ من «دراسات جوفامبا السنكريتية فارناس ١٩٦٣» .

كتاب «اسماء عقاقير الهند»[٣٩] ومن الواضح ان هذا الكتاب هو الذي ذكره اليعقوبي من كتب الهند في الطب وسمّاه «كتاب اسماء العقار، كل عقار باسماء عشرة»[٤٠]. وتدل كلمة «فسّر» على ان منكه ترجم هذا الكتاب ولكنه لم يذكر اسم مؤلفه، ويدل اسم الكتاب على انه في الأدوية المفردة، ولعله هو نفس الكتاب الذي سماه الرازي «الاسماء الهندية»، ونقل عنه نصاً دون ان يذكر اسم مؤلفه[٤١].

اشار الجاحظ الى اطباء الهند الذين جلبهم يحيى بن خالد، وسمى منهم منكه وبازبكر وقلبرقل وسندباد[٤٢]، ولم يذكر مؤلفاتهم.

ذكر اليعقوبي ان اهل الهند «قولهم في الطب المقدم، ولهم فيه:

١- الكتاب الذي يسمى سسرد، فيه علامات الادواء ومعرفة علاجها وادويتها.

٢- كتاب شرك.

٣- كتاب ندان في علامات اربعمائة واربعة ادواء معرفتها بغير علاج.

٤- كتاب سندهشار وتفسيره صورة النجح.

٥- وكتاب فيما اختلفت فيه الهند والروم من الحار والبارد وقوى الادوية وتفصيل السنة.

٦- وكتاب اسماء العقار، كل عقار باسماء عشرة.

ولهم غير ذلك من كتب الطب.

---

(٣٩) الفهرست ٣٠٥.

(٤٠) التاريخ ١/٧٤.

(٤١) الحاوي ٢١/٣٦٤.

(٤٢) البيان والتبيين ١/٩٣.

(٤٣) التاريخ ١/٧٤-٧٥ وقد نقل ابن ابي اصبيعة هذه القائمة دون ان يشير الى مصدره: عيون الانباء ٤٧٤.

وخصّ على بن ربن الطبري في كتابه « فردوس الحكمة » المقالة الرابعة في جوامع كتب الهند وهي ستة وثلاثون باباً ، وذكر من اطباء الهند الذين اعتمد عليهم كتب جرك ، وسسرد ، واشتانقهري [٤٤] .

وعقد ابن النديم فصلا باسماء كتب الهند في الطب الموجودة بلغة العرب ذكر فيها :

١ـ كتاب سسرد عشر مقالات ، امر يحيى بن خالد بتفسيره لمنكه الهندي في البيمارستان ، ويجري مجرى الكناش .

٢ـ كتاب سندستان ، معناه صفوة النجح تفسير ابن دهن صاحب البيمارستان

٣ـ كتاب اسماء عقاقير الهند فسّره منكه لاسحق بن سليمان .

٤ـ كتاب سيركث فسّره عبد الله بن علي من الفارسي الى العربي لانه اولا نقل من الهندي الى الفارسي .

٥ـ كتاب استانكر الجامع تفسير ابن دهن

٦ـ كتاب مختصر الهند في العقاقير

٧ـ كتاب علاجات الحبالى للهند

٨ـ كتاب نوقشتل فيه مائة داء ومائة دواء

٩ـ كتاب دويني (روسا) الهندية في علاجات النساء

١٠ـ كتاب السكر للهند .

١١ـ كتاب التوهم في الامراض والعلل ليوقشتل الهندي .

١٢ـ كتاب راسي (الهندي في اجناس وسمومها) [٤٥] .

---

(٤٤) فردوس الحكمة ٥٥٧ .

(٤٥) الفهرست ٣٦٠ ، وذكر ابن ابي اصيبعة اسماء الكتب الثمانية الاخيرة بعد ذكره اسماء ما نقله عن اليعقوبي .

ولعل الكتاب الاخير هو نفس كتاب (اجناس الحيات لناقل الهندي [٤٦] ولم ترد في الكتب الاخرى اشارات الى الكتب السبعة الاخيرة . وذكر ابن النديم في مواضع اخرى من كتابه « كتاب السمومات للهند » و « كتاب شاناق في التدبير ، وكتاب آخر في الاشربة» [٤٧] و (شاناق الهندي من امر تدبير الحرب وماينبغي للملك ان يتخذ من الرجال من امر الاساورة ، والطعام والسم » [٤٨] .

ان قائمة الكتب الهندية التي ذكرها اليعقوبي لها اهمية خاصة من حيث أنها أقدم قائمة ، علماً بانه اشار الى انها غير مستوعبة وان « للهند غير ذلك من الكتب » . ومن الواضح ان هذه القائمة مقتضبة ، فلم تذكر اسماء مؤلفي بعضها ولم تذكر اسماء من نقلها الى العربية . وهذه الملاحظات تنطبق على ما ذكره على بن ربن الذي يتميز بنقله نصوصاً ومعلومات عن كتب .

تتميز قائمة ابن النديم بذكرها اسماء مؤلفي هذه الكتب وناقليها الى العربية وقد ذكرنا منهما كتاب شاناق في السموم ، وكتاب سسرد في العلاجات ، وكتاب اسماء العقار ؛ واشرنا الى ان هذه الكتب نقلت في زمن خلافة الرشيد ، فهي من اقدم كتب الهند التي نقلت الى العربية .

اما الكتاب الذي سماه سند هشار ، فقد ذكره ابن النديم باسم « سندستان معناه صفوة النجح ، وقال انه « تفسير ابن دهن صاحب البيمارسـتان »، واسم الكتاب بالهندية سد هشارنا [٤٩]، وذكره الرازي في الحاوي « سند هشار » ونقل عنه نصوصاً كثيرة (١—١٥٥ ؛ ٢—٣٧٧ ؛ ٣—١٠٥ ؛ ٤—١٧ ؛

(٤٦) الفهرست ٣٧٩ .
(٤٧) الفهرست ٣٦٥ .
(٤٨) الفهرست ٣٧٧ .
(٤٨) الفهرست ٣٧٧ .
(٤٩) انظر عنه مقال ستنزلر في مجلة الاستشراق الالمانية ZDMG م ١١ سنة ١٨٥٧ ص ٣٢٧ .

٥–١٦٨ ؛ ٦–٣١ ، ٢٤٩ ؛ ٧–٢٤ ، ٣٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٦ ؛ ٨–٥٥ ، ١٠–٣٠٤ ، ٣٠٦ ؛ ١١–١٠ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ١٩٣ ؛ ١٢–٩٠ ، ١٣٢ ؛ ١٧–٨٤ ؛ ٢٠–١١ ، ٢١٨ ، ٢٩٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٨ ، ٣٦٣ ، ٥٤٠ ، ٢١–٩ ٦١–٣٠١٦ ، ٤١٠ ، ٤٧٠ ، ٥٠٩ ، ٥٥٢ ، ٥٧١ ، ٥٩ ، ٦٠٤ ، ٦٢٢، ٦٤٢ ؛ ٢٣ ــ ٣١٢ ؛ ، ٢٣ ــ ٢ ٢٥–٢٠٠–٢٥٠ [٥٠] .

وذكر ابن النديم ان ابن دهن فسّر أيضاً كتاب اشتانكر الجامع [٥١] واصل اسمه بالهندية « اشتانجا هردايا سمهتا » ومؤلفه فاجباتا الذي عاش في القرن السابع الميلادي ؛ ولم اجد في كتاب الحاوى اشارة صريحة الى نقله من هذا الكتاب [٥٢] . ومن الواضح انه نفس « اشتا نقهري الذي ذكر علي بن ربن الطبري انه ممن اعتمد على كتبهم الهندية [٣٥] .

ان الكتاب الثاني الذي ذكره اليعقوبي من كتب الهند هو كتاب شرك ، ومن الواضح انه نفس ما ذكره علي بن ربن الطبري باسم « جرك » [٥٤] ، وكان

---

(٥٠) ذكر كل من اولمان في كتابه «الطب في الاسلام» ، وسزكين في كتابه عن تاريخ التراث العربي (الجزء الثالث من الطبعة الالمانية) ارقام اجزاء وصفحات الحاوي التي نصت على النقل من سندهشار، وذكر اولمان ارقام الصفحات التي ورد فيها ذكر سندهشار في كتاب ابن البيطار ، غير انه تبين بعد التدقيق ان الارقام التي ذكرها كل من اولمان وسزكين عن اماكن الاشارة في الحاوي الى كتاب سندهشار ، والى بقية الكتب الهندية ، هي غير دقيقة وخاصة فيما يتعلق بالاجزاء الثلاثة الاولى ، كما انهما لم يذكرا ما جاء في الجزئين الثاني والعشرين والثالث والعشرين ولذلك ذكرت في هذا المقال ارقام الاجزاء والصفحات التي تأكدت من ذكر كل كتاب فيها ، وفيها اختلاف عما اورداه .

(٥١) الفهرست ٣٦٠ .

(٥٢) ذكر اولمان ان الرازي نقل عنه في الحاوي ٢/٦٥ ، ٢٥٢ ، ٣١٧ ؛ ١٤/ ٥٥) غير اني لم اجد في هذه الصفحات ذكرا له او لاي كتاب هندي .

(٥٣) فردوس الحكمة ٥٥٧ .

(٥٤) فردوس الحكمة ٥٥٧ .

من مصادره في ما عرضه عن آراء الهنود ؛ وهو نفس الكتاب الذي سماه ابن النديم « سركث » وذكر أن عبدالله بن علي فسره من الفارسي الى العربي ، لانه اولاً نقل من الهندي الى الفارسي [٥٥] .

ان جرك هو الاسم الذي اطلقه العرب على الطبيب الهندي كاركا سامنا الذي عاش في القرن الثاني الميلاد . ولعل نقله الى الفارسية قد تم في زمن الساسانيين ، لانه لم يُعرف من عنى بالنقل الى الفارسية بعد الإسلام ، اما عبدالله ابن علي ، فلعله هو عبدالله الطيفوري وهو طبيب ولد في بعض قرى كسكر وكان مقرّبا للخليفة موسى الهادي ، وخلف ولداً وحفيداً اشتهرا بالطب ايضاً [٥٦] ولعل ابن النديم كان يشير الى ابنه بقوله « الطيفوري » ونقل له حنين عدة كتب في الطب ، وكان متقدماً فاضلاً خادماً للخلفاء [٥٧] .

قدّم البيروني معلومات وافية عن جرك ، فقال للهند « كتاب يعرف بصاحبه وهو جرك ، يقدمونه على كتبهم في الطب ، ويعتقدون فيه انه كان رشا في دوائر الادلى ، وكان اسمه اكن بيش ، ثم سمى جرك ، اي العاقل لما حصل الطب من الأوائل ، اولادسوتر ، وكانوا رشين ، وهؤلاء اخذوه عن اندر ، واخذه اندرمن اشوني طبيب أحد ديو ، واخذه هذا من برجابيت وهو براهم الاول ، وقد نقل هذا الكتاب للبرامكة الى العربي » [٥٨] وقد ذكر ان « في كتاب جرك من هذه الاوزان ما سأحكيه ناقلاً من النسخة العربية لم اتلقفه من لسان [٥٩] ، كما اشار الى ما نقله عنه علي بن ربن [٦٠] .

---

(٥٥) الفهرست ٣٦٠ .

(٥٦) عيون الانباء ١٢٢ ــ ٦ .

(٥٧) الفهرست ٣٥٠ .

(٥٨) تحقيق ما للهند ١٢٣ .

(٥٩) تحقيق ما للهند ١٢٦ .

(٦٠) تحقيق ما للهند ٣٢١ ، وانظر عيون الانباء ٤٧٣ .

كان كتاب شرك من مصادر الرازي الذي صرح في كتابه الحاوى بنقله عن شرك في معظم اجزاء الكتاب (١-٤٤ ، ١٥٠ ، ١٥٥ ، ١٨١ ، ٢٧٤ ، ٤١٥ ؛ ٢-١١٥ ، ٢١٤ ؛ ٣-٢٢ ، ٦٩ ، ٢١١ ؛ ٥-٥٥ ، ١٨٢ ؛ ٧-٢٤ ، ٣٦ ، ١٩٨ ، ٢٠٦ ؛ ١٠ - ١٠٣ ، ١٣١ ، ٢٨٣ ؛ ٣٠٥ . ، ١١-٥٨ ، ١٤٨ ؛ ١٢-٧٢ ؛ ١٤-٢٦ ، ٥٠ ، ٩٠ ؛ ١٦-٦٣ ، ٢٣١ ؛ ١٧-٨٤ ؛ ١٩-٢٥٥ ، ٢٨٢ ؛ ٢٠-١٠٥ ، ٢١٦ ، ٥٧ ؛ ٢١-٢٣٨ ، ٣٢٩ ؛ ٢٢-٣٠ ؛ ٢٣-١-٣٠ ، ٣٢ ؛ ٢٣س - ٨ ، ٩٢ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢١٧ .

اما الكتاب الثالث الذي ذكره اليعقوبي من كتب الهند فهو « كتاب ندان في علامات اربعمائة واربعة ادواء ، ومعرفتها بغير علاج »[٦١] . وقد اشار الى هذا الكتاب علي بن ربن ، وصرح بنقله منه[٦٢] . والاسم الهندي لمؤلف هذا الكتاب هو مادافان نادن ، عاش في القرن السابع الميلادي .

ذكر الرازي في كتاب « الحاوي » انه نقل من أطرى (٨-٢٠٦ ؛ ١٠-١٧٠) ومن شرناق (٢-٢١٨) ومن الكناش الفارسي الهندي (١-٤٩٣ ؛ ١١-٧٧ ، ٨٧) ؛ ومن كتاب هندي (٣-٢١٠ ؛ ٨-٢٠٥ ؛ ٩-١٢٦ ؛ ١٠-١٨ ، ٣١٣ ، ٣٣١ ، ٥١ ؛ ٢٠-٩ ؛ ٢١-٦٣٧ ؛ ٢٣-١-١٤٠ ، ٢٣-٢-١١٤ ؛ ١٤٨) من كتب الهند (٥-١٧٩ ؛ ٦-٣٠ ؛ ٤٧ ، ٢١٤ ، ٢٥٤ ؛ ١١-١٧ ، ٦٥ ، ٩٣ ، ٢٥٢ ، ٣١٧ ؛ ١٢ - ٢١٩ ؛ ١٥ - ٥٧) غير انه لم يذكر اسماء هذه الكتب او اسماء مؤلفيها .

يتبين مما تقدم ان الطب في الهند كما يتجلى من سير اطبائه والمؤلفات التي نقلت الى العربية منه ، كانت له مكانة كبيرة في بغداد في صدر الخلافة

---

(٦١) فردوس الحكمة ٥٥٨ ، ٥٦٢ .

(٦٢) فردوس الحكمة ٥٦٣ .

العباسية ، وان هذه المكانة دامت حتى القرن الثالث الهجري حيث حل محله الطب الاغريقي بعد ازدياد ترجمة الكتب من الاغريقية وخاصة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري [٦٣] .

نقل كتب الفلك :

عني اهل الهند بعلم الفلك والنجوم فكان « علم النجوم فيهم أشهر « من الطب ، لتعلق أمور الملة به » [٦٤] وقد ألف عدد من علمائهم كتباً في أحكام النجوم « فأن لكل واحد من ماندب ، وبراشر ، وكرك ، وبراهم ، وبلبهدر ، ودبيانت ، وبراهمهر كتاب سنكهت ، وتفسيره المجموع ، يشتمل على نيف من كل شرع التذكرة السفرية ، واحداث الجو ، وامور الدول ، والاختيارات ، ثم الفراسة ، والتعبير ، والزجر ، وعلماؤهم به مؤمنون » [٦٥] .

واشار عدد من المؤلفين العرب الى تقدم علم الفلك عند أهل الهند والى

---

(٦٣) للاستزادة من المعلومات عن علاقة الطب الهندي بالعربي يمكن الرجوع الى الدراسات التالية ، وما فيها من اشارات الى الدراسات الموسعة في بعض تفاصيل الموضوع .

1 - A. Muller : Arabische Quellin Zur Geschichte der Indischen Medizin : ZDMG 14 1880 PP. 465 — 556 .

2 - M. Meyerhof : On Translation of Greek and Indian Science to the Arabs : Islamic Culture 1937 PP. 17 — 29 .

3 - M. Siddiqi : Indian Medical Science among the Ancient Arabs. Indo - Asian Culture 5. 1957 PP. 374 — 386.

4 - M. Ullman Medicin en Islam 1972 PP. 203 — 6 .

5 - F. Sezgin. Geschichte der Arabischen Schriftum III PP.

(٦٤) البيروني : تحقيق ما للهند ١١٨ .

(٦٥) كذلك ١٢١ .

مكانته في تطور علم الفلك عند العرب ، فقال اليعقوبي « والهند أصحاب حكمة ونظر ، وهم يفوقون الناس في كل حكمة ، فقولهم في النجوم أصح الأقاويل ، وكتابهم فيه السند هند الذي اشتق كل علم من علوم مما تكلم فيه اليونانيون والفرس وغيرهم »[٦٦] .

يقول صاعد بن أحمد « ان مذاهب الهند في علم النجوم المذاهب الثلاثة المشهورة عنهم ، هو مذهب السند هند ، ومذهب الازجير (الارجبهد) ، ومذهب الأركند.. يقول اصحاب السند هند ان الكواكب السبعة واوجاتها وجوزهراتها تجتمع كلها في رأس الحمل خاصة في كل اربعة الف الف سنة وثلاثمائة الف الف سنة وعشرين الف الف سنة شمسية ، ويسمون هذه المدة مدة العالم ، لانهم يزعمون ان الكواكب وأوجاتها وجوزهراتها متى اجتمعت في رأس الحمل فسد جميع المكونات في الأرض وبقى العالم السفلي خراباً دهراً طويلاً حتى تتفرق الكواكب والأوجات والجوزهرات في البروج . فاذا كان كذلك بدأ الكون وعادت حالة العالم السفلى الى الأمر الاول ، هكذا أبداً الى غير غاية عندهم . ولكل واحد من الكواكب والأوجات والجوزهات أدوار ما في هذه التي هي عندهم بمدة العالم، قد ذكرتها في كتابي المؤلف لاصلاح حركات النجوم .

اما أصحاب الأزجير فانهم وافقوا أصحاب السند هند إلا عدد مدة العالم ، فان مدتهم التي ذكروها أن الكواكب وأوجاتها وجوزهراتها تجتمع عندهم في رأس الحمل هي جزء من الف من مدة السند هند ، وذلك عندهم تفسير الأزجير .

أما اصحاب الأركند فانهم خالفوا الفرقتين الأولتين من حركات الكواكب وفي مدة العالم خلافاً لم يبلغني حقيقته[٦٧] .

(٦٦) التاريخ ١/٧٤ .
(٦٧) طبقات الأمم ١٣ ، وانظر البدء والتاريخ للمقدسي ٢/١٤٦ .

فأما السند هند فان البيروني يقول « السند هند مشتق من السد هانتا ، أي المستقيم الذي لايعوج ولا يتغير فهو صفة تطلق على كل ماعلت رتبته عندهم من علم حساب النجوم »[٦٨] ويقول المسعودي ان السند هند « هو الكتاب الجامع لعلم الافلاك والنجوم والحساب وغير ذلك من امر العالم[٦٩] » ، ويقول صاعد « ان السند هند معناه الدهر الداهر »[٧٠] .

ويقول البيروني « والمستعمل بالعربية هو كتاب اسمه «براهمستهطسد هانت معناه كتاب الهينة بزصحح المنسوب الى برهم ،وهو يتكون من ٢٤ باباً»[٧١] وقد الف في سنة ٧ ه وجاء به رجل من وفد أهل السند الذين قدموا الى بغداد في سنة ١٥٤ [٧٢] .

وذكر صاعد أن الحسين بن محمد بن حميد المعروف بابن الآدمي ذكر في تاريخه الكبير المعروف بنظام العقد أنه قدم على الخليفة المنصور في سنة ست وخمسين ومائة رجل من الهند عالم بالحساب المعروف بالسند هند في حركات النجوم مع تعاديل معلومة على كردجات محسوبة لنصف نصف درجة مع ضروب من أعمال الفلك ومع كسوفين ومطالع وغير ذلك في كتاب يحتوي على اثني عشر باباً ، وذكر أنه اختصره من كردجات منسوبة الى ملك من ملوك الهند يسمى قبغر ، وكانت محسوبة لدقيقة ، فأمر المنصور بترجمة ذلك الكتاب الى اللغة العربية ، وان يؤلف منه كتاب تتخذه العرب أصلاً من حركات الكواكب ، فتولى ذلك محمد بن إبراهيم الفزاري ، وعمل منه كتاباً يسميه المنجمون بالسند هند الكبير ، وتفسير السند هند باللغة

(٦٨) تحقيق ما للهند ١١٨ .
(٦٩) التنبيه والاشراف ١٨٨ .
(٧٠) طبقات الأمم ١٣ ، ٥٠ .
(٧١) تحقيق ما للهند ٧٤ .
(٧٢) تحقيق ما للهند ٣٩٧ .

الهندية الدهر الداهر ، فكان أهل ذلك الزمان يعملون به الى أيام الخليفة المأمون ، فاختصره ابو جعفر ابن موسى الخوارزمي وعمل منه زيجه المشهور ببلاد الاسلام ، وعدل فيه على أوساط السند هند وخالفه في التعاديل والميل ، فحصل تعاديله على مذهب الفرس ، وميل الشمس فيه على مذهب بطليموس ، واخترع فيه من أنواع التقريب أبواباً حسنة لاتفي بما احتوى عليه من الخطأ البين الدالّ على ضعفه في الهندسة وبعده عن التحقيق في علم الهيئة ، فاستحسنه أهل ذلك الزمان من اصحاب السند هند طاروا به كل مطير (!) ومازال نافعاً عند أهل العناية بالتعديل الى زماننا هذا [٧٣] .

ويقول أيضاً إن مذهب السند هند « هو المذهب الذي تقلده جماعة في الاسلام وألفوا فيه الأزياج كمحمد بن ابراهيم القزاري وحبش بن عبدالله البغدادي ومحمد بن موسى الخوارزمي والحسين بن محمد المعروف بابن الآدمي وغيرهم [٧٤] .

كان زيج السند هند معتمد كل من الفزاري ويعقوب بن طارق في مؤلفيهما عن الأزياج . فأما الفزاري فهو محمد بن ابراهيم بن حبيب بن سليمان بن سمرة بن حبيب ، كان جدّه سمرة من كبار رجال البصرة في الدولة الاموية [٧٥] ، وكان محمد شارك في تخطيط بغداد ، وقال عنه ابن النديم « هو أول من عمل في الاسلام اصطرلاباً ، وعمل مبطحاً ومسطحاً ، وله من الكتب : كتاب القصيدة في علم النجوم ، كتاب المقياس للزوال ، كتاب الزيج على سني العرب ، كتاب العمل بالاصطرلاب وهو ذات الحلق . وكتاب العمل بالاصطرلاب المسطح » [٧٦]! واشارة البيروني الى اقتباسه من

---

(٧٣) طبقات الأمم ٤٩ ـ ٥٠ وانظر تاريخ الحكماء للقفطي ٢٧١ .
(٧٤) طبقات الامم ١٣ .
(٧٥) جمهرة النسب لابن حزم ٢٥٩ .
(٧٦) الفهرست ٣٣٢ .

الهند في عدة مواضع من زيجه ، فيما يتعلق بمقدار دور الارض [٧٧] وفى أدوار الكواكب [٧٨] غير أن فيه معلومات لم يجدها البيروني في كتب الهند ، ومن ذلك أنه استعمل « اسم بل مكان دقائق الايام » إذ أنه وجد أن أهل الهند « يسمون التعديل به » [٧٩] ، كما أنه يذكر أن رمكرت موضع في البحر فيه مدينة تسمى تاره غير ان البيروني لم يجد لهذا الاسم في كتب الهند اثراً بتة » [٨٠] .

ذكر عدد من المؤلفين ان الفزاري من اصحاب الزيجه والنجوم [٨١] ونقل ابن الحائك الهمداني عرض مكة والمدينة عن الفزاري [٨٢] واشار ياقوت الى ان الفزاري نقل في زيجه عن الكشوت الفارسية [٨٣] وذكر المسعودي نقلاً عن محمد بن علي العبدي ممن برز في زمن المنصور « ابراهيم الفزاري المنجم صاحب القصيدة في النجوم وغير ذلك من علم النجوم وهيئة الفلك [٨٤] .

اما يعقوب بن طارق فان ابن النديم يذكر أنه « من أفاضل المنجمين ، وله من الكتب كتاب تقطيع كردجات الجيب ، كتاب مالارتفع من قوس نصف النهار ، كتاب الزيج محلول في السند هند لدرجة درجـــة ، وكتابان الاول في علم الفلك ، الثاني في علم الدولة [٨٥] .

---

(٧٧) البيروني : تحديد نهايات الأماكن ٢١١ ، تحقيق ما للهند ١٣١ .
(٧٨) تحقيق ما للهند ٣٥١ ، ٣٥٦ .
(٧٩) تحقيق ما للهند ١٢٨ .
(٨٠) تحقيق ما للهند ٢٥٩ .
(٨١) ناللينو تاريخ علم الفلك ١٦٠ ــ ١٦٣ .
(٨٢) صفة جزيرة العرب ١٥ .
(٨٣) معجم البلدان ٣٧/١ .
(٨٤) مروج الذهب ٢٢٣/٤ .
(٨٥) الفهرست ٣٣٦ .

ويقول البيروني ان يعقوب بن طـــارق هو مؤلف كتـــاب في تركيب الافلاك » [٨٦] ، مدّون فيه أبعاد الكواكب ، فكان المصدر الاول ، وربما الوحيد في ذلك [٨٧] ، وقد عرض فيه بعض الآراء التي اصبحت قديمة [٨٨].

استمد يعقوب بن طارق معلوماته عن الرجل الهندي الذي كان في جملة وفد السند على المنصور في سنة ١٥٤ [٨٩] وقد استقى هذه المعلومات في سنة ١٦١ [٩٠] .

أكّد البيروني أن بعض المعلومات التي نقلها يعقوب عن الهند غير دقيقة ، وأورد في ذلك أمثلة فقال ومن العجائب أن الفزاري ويعقوب ربما سمعا من الهندي في الأدوار أنه حساب سد هاند الكبير ، وأن حساب أرجبهد على جزء من الف جزء منه فلم يفهماها منـــه حق الفهم ، وظنا أن أرجبهذ هو اســـم الجزء [٩١] ، وذكر أيضاً أن يعقوب غلط «في مأخذ أيام الشمس والنقص من الكليين وكان ناقلاً عن لســـان الهندي حساباً لم يفهم علله فلا اقل من أن كان يمتحنه ويستقرئ أوضاعه [٩٢] كما أن البيروني ذكر أن يعقوب قال « ركبت موضع في البحر فيه مدينة تسمى تارة لم أجد لها أثراً بتة في كتب الهند [٩٣] .

وذكر صاعد من المشتهرين بالنجوم « يعقوب بن طارق صاحب كتاب المقالات في مواليد الخلفاء والملوك [٩٤] .

---

(٨٦) تحقيق ما للهند ١٣٢ ، ٢٦٩ ، ٢٩٧ .

(٨٧) تحقيق ما للهند ١٩٧ ، وعن ادوار الكواكب انظر ٢٥١ .

(٨٨) تحقيق ما للهند ١٣٢ .

(٨٩) تحقيق ما للهند ٣٥١ .

(٩٠) كذلك ٣٩٧ ؛ وانظر عن افادته من الهندي ١٣٢ ، ٣٥٦ ، ٣٧٠ .

(٩١) كذلك ٣٥٦ .

(٩٢) كذلك ٣٧٠ .

(٩٣) كذلك ١٢٨ .

(٩٤) طبقات الأمم ٦٠ .

وضع بعض الفلكيين الماهرين في العلوم اليونانية أزياجاً على مذهب السند هند مع تعديلات متأثرة بأزياج بطليموس والارصاد الجديدة ، ومنهم حَبش الذي كان زيجه لايخالف الخوارزمي إلا بثلاث دقائق [95] وابن أما جور [96] والجنابي [98] ، وابن الآدمي ، والفضل بن حاتم النيريزي ، والخوارزمي [99] ، ومنصور بن عراق الذي كتب الى البيروني رسالة في علة تصنيف التعديل عند اصحاب السند هند [100] ، ومحمد بن اسحق بن استاد بنداد السرخسي الذي صحح السند هند ، وأبو الريحان البيروني الذي ألف « جوامع الموجود لخواطر الهنود في حساب التنجيم » كما الف كتابه « تحقيق ما للهند من مقولة » وهو اعظم كتاب يصف فيه علوم الهنود وكثير من عقائدهم حتى زمن تأليفه في اواسط القرن الخامس الهجري .

وامتد أثر السند هند الى المغرب ، فذكره مسلمة المجريطي في مختصر لزيج الخوارزمي ، واشار اليه ابو اسحاق ابراهيم الزرقلي في كتابه « الصفيحة الزرقالية » والف ابو القاسم اصبغ بن السمح (ت ٤٢٦) زيجا كبيرا على مذهب السند هند [101] .

ذكرنا فيما سبق قول صاعد بن أحمد أن للهند ثلاثة أزياج هي السند هند والأرجبهر ، والأركند ، وأن أصحاب الارجبهر وافقوا أصحاب السند هند الا في عدد مدّة العالم ، فان مدتهم التي ذكروا أن الكواكب وأوجاتها وجوزهراتهم تجتمع عندهم في رأس الحمل هي جزء من الف من مدة السند هند ، وذلك عندهم تفسير الأرجبهر [102] .

(٩٥) التنبيه والاشراف ١٨٩ .
(٩٦) الفهرست ٣٣٨ .
(٩٨) الفهرست ٣٣٩ .
(٩٩) تحقيق ما للهند ٤٣٨ .
(١٠٠) كذلك
(١٠١) انظر في ذلك : نالينو : تاريخ علم الفلك عند العرب ص ١٤١ فما بعد .
(١٠٢) طبقات الامم ١٣ .

ويقول المسعودي « عملت الهند كتاب الارجبهر من كتاب السند هند ، والارجبهر جزء من ألف جزء من السند هند ، وكتاب الأركند من كتاب الأرجبهد » [١٠٣] ، وهذا الكلام غير دقيق ، والأصح هو ما قاله البيروني أن اسم الارجبهر مأخوذ من « اريبهط » وهو اسم مؤلف كتاب ذكر فيه ان مهايك هو جزء من الف جزء من كلب ، ولذلك اشتهرت جملة سنى يلك عند العرب باسم سنى الارجبهر اوايام الارجبهر ، وان الخطأ في اعتبارها جزءاً من سند هند راجع الى سوء فهم الفزاري ويعقوب للكتاب [١٠٤]

أما كتاب الأركند فهو « زيج وضعه برهمكوبث [١٠٥] بعد تأليف السندهند واعتمد فيه على اصول مختلفة [١٠٦] ويبدو أن يعقوب بن طارق ترجمه ترجمة رديئة ، فقد ذكر البيروني أنه كان بالعربية « بنقل فاسد » [١٠٧] وهو يقول « وهذبت زيج الأركند وجعلته بألفاظي اذ كانت الترجمة الموجودة منه غير مفهومة ، والفاظ الهند فيها لحالها متروكة » [١٠٨]

ويذكر البيروني للهند زيج الأهركن فان معناه جملة الايام » [١٠٩] وقد اقتبس منه يعقوب بن طارق اتباسات غير دقيقة [١١٠] ويقول « ويوجد في زيج اسلامي يوسم بزيج الهرقن هذا العمل مسوقاً من تاريخ آخر.. [١١١]

(١٠٣) التنبيه والاشراف ١٨٨ ؛ وانظر مروج الذهب ١/١٥٠ ، المطهر بن طاهر المقدسي : البدء والتاريخ ٢/١٤٦

(١٠٤) تحقيق ما للهند ٣٥٥ ـ ٧ .

(١٠٥) كذلك ٣٤٦ .

(١٠٦) كذلك ٢٠٦ .

(١٠٧) كذلك ٣٨٣ .

(١٠٨) فهرس كتب البيروني منشور في مقدمة كتاب الاثار الباقية ٤٠ .

(١٠٩) تحقيق ما للهند ٣٦٤ .

(١١٠) كذلك ٣٧٠ .

(١١١) كذلك ٣٨٧ .

الموا ليد والفراسة والفأل :

ومما يتصل بالتنجيم ، علم المواليد ، وقد عني الهنود به وألفوا كتباً : فذكر البيروني « ولكل واحد من براشر ، وست ، وجيشرم ، ومو اليوناني كتاب جاتك ، اي المواليد ، ولبرهمرمنه اثنان : صغير وكبير فسره بلبهدر ونقلت انا اصغرهما الى العربي ، وفي باب المواليد كتاب لهم كبير يسمى « ساراول » اي المختار ، شبه البزيدج ، عمله كلان برم الملك ، وكان يرجع الى فضيلة علمية ، وكتاب اكبر منه جامع في كل باب من الأحكام يعرف بجبن ، اي الذي لليونانيين .

ولبراهمر كتب صغار منها « خت بنجاشلك » ستة وخمسون باباً في المسائل وكتاب « هوربنج هتري » فيها ايضاً ، وفي الاسفار كتاب « زوك زاتر » وكتاب « تكنى زاتر » ؛ وفي العرس والتزويج كتاب « بباهتبل » وفي الانبية كتاب (. . .) ؛ ثم فيما يشبه الزجر والفأل كتاب « سروذو » وهو على ثلاث نسخ ، احداها منسوبة الى مهاديو وصاحب الثانية بملبد ، وصاحب الثالثة بنكال ، وكتاب جورامن اي علم الغيب ، عمله البدّ صاحب المحمرة الشمنية ، وكتاب برشن جورامن ، اي مسائل علم الغيب عمله اوبل . ومن علمائهم مما لم يمر اسمه مع كتاب بردمن ، وسنكهل ، ودباكر ، وبريسفر ، وسارسقت ، وبيروان ، وديوكرت ، وبركوتك سوام »[١١٢] ونقل عن كتاب « المواليد » لبرهمر نصوصاً [١١٣] .

وذكر ابن النديم ممن الف في المواليد من الهنود : جودر ، ونق ، وصنجهل وكنكه . ولم يذكر كتاباً لصنجهل ، ولكنه ذكر أن كلاً من جودر ونق الف كتاباً في المواليد[١١٤] ، غير ان ابن ابي اصيبعة ذكر ان صنجهل

(١١٢) كذلك ١٢٢ ــ ٣ .
(١١٣) كذلك ١٧٨ ، ٤٤١ .
(١١٤) الفهرست ٣٣٠ .

كان من علماء الهند وفضلائهم الخبيرين بعلم الطب والنجوم وان له كتاب المواليد [١١٥] .

اما كنكه فقد ذكر ابن النديم انه الف الكتب التالية « اسرار المواليد » و « القرانات الصغير » و « القرانات الكبير » و « النمودار » [١٦١] . وقال ابو معشر في كتاب الالوف ان « كنكه المقدم في علم النجوم عند جميع العلماء من الهند في سالف الدهر ، ولم يبلغنا تاريخ عصره ، ولا شيء من اخباره [١١٧] ، غير ان البيروني يذكر ان كنكه منجم الرشيد، وانه صرح ان ملك بني العباس يخرج على يد رجل من اصبهان [١١٨] .

وذكر جابر بن حيان في كتاب المجربات كنكه ضمن عدد من الفلاسفة [١١٩]

ذكر ابن النديم من كتب الهند « كتاب الجفر الهندي » لعطارد [١٢٠] و « زجر الهند » و « خط الكف والنظر في اليد للهنـــد » [١٢١] وهي كتب مفقودة .

الأرقام الهندية والحساب الهندي :

يقول صاعد في كلامه عن علوم الهنود التي وصلت العرب « ومما وصل الينا من علومهم حساب الغبار الذي بسّطه أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي

---

(١١٥) عيون الانباء ٤٧٣ .
(١١٦) الفهرست ٣٣٠ ، عيون الانباء ٤٧٣ ، القفطي ٢٦٧ .
(١١٧) عيون الانباء ٤٧٣ ، القفطي ٤٦٥ .
(١١٨) الاثار الباقية ١٣٢ .
(١١٩) المخطوطة في مكتبة جارالله رقم ١٦٤١ ، والكلام نقلا عن بول كراوس في كتابه عن جابر بن حيان ٥٩/٢ .
(١٢٠) الفهرست ٣٣٦ .
(١٢١) كذلك ٣٧٦ .

أوجز حساب واخصره وأقربه تناولاً واسهله مأخذاً وابدعه تركيباً ، يشهد للسند بذكاء الخواطر وحسن التواليد وبراعة الاختيار [١٢٢] .

وصف بعض المؤلفين العرب الحساب الهندي ، فقال اليعقوبي إن ابرهمن «وضع التسعة أحرف الهندية التي يخرج منها جميع الحساب الذي لا يدرك معرفتها وهي ١-٢-٣-٤-٥-٦-٧-٨-٩ فالأول منها واحد ، وهو عشرة ، وهومائة وهو ألف ، وهو ألف ألف ، وهو عشرة آلاف ألف وهو مائة ألف ألف ، وعلى هذا الحساب ابدأ وصاعداً .. واذا خلا بيت منها يحصل فيه صفر ، ويكون الصفر دارة صغيرة [١٢٣] .

وفي فصل عنوانه وجوه الحسابات من كتاب « مفاتيح العلوم » تحدث أبو عبدالله الخوارزمي عن حساب الهند فقال ان « قوامه تسع صور يكتفى بها في الدلالة على الأعداد الى مالا نهاية له ، وأسماء مراتبها أربعة وهي الآحاد والعشرات والمئون والآلاف ، فالواحد يقوم مقام العشرة ومقام مائة ، ومقام الف ، ومقام عشرة آلاف ، و الف ، والف الف الى ما لا نهاية له من العقود [١٢٤] .

ويقول المسعودي إن الهنود « أحدثوا التسعة الأحرف المحيطة بالحساب الهندي » [١٢٥] .

لم يستعمل اهل الهند الحروف رموزاً للارقام كالذي فعل العرب في حساب الجمل ، وفي ذلك يقول البيروني « وليسوا يجرون على حروفهم شيئاً من الحساب كما نجريه على حروفنا في ترتيب العمل ، وكما أن صور الحروف تختلف في بقاعهم ، كذلك أرقام الحساب ، وتسمى انك ، والذي نستعمله نحن مأخوذ

(١٢٢) طبقات الامم ١٤ ، وانظر : القفطي ٢٦٦ .
(١٢٣) التاريخ ٦٦/١ .
(١٢٤) مفاتيح العلوم ١١٢ .
(١٢٥) مروج الذهب ٩٢/١ .

من أحسن ما عندهم ، ولا فائدة في الصور اذا ما عرف ما وراءها من المعاني ، ولا تستعمل في الحساب على التراب (١٢٦) . وقد نقلنا في اول المقال اقوالا للجاحظ يشيد فيها بحساب الهند (١٢٦) أ .

كانت للحساب اهمية في الحياة اليومية والتجارية ، وتتجلى هذه الأهمية عند العرب في العدد الكبير من الآيات القرآنية التي ذكر فيها القرآن الكريم الحساب ، والعمليات الحسابية ، والارقام الصحيحة ، والكسور .

ويتجلى من هذه الآيات ان العرب كانوا يستعملون النظام العشري ، ولكن لاتوجد في القرآن اشارة الى اشكال كتابة الارقام ، ويلاحظ ان اوراق البردي والنقود المكتوبة بالعربية لم تستعمل رموزاً للارقام وانما تكتبها بالفاظها ، ويبدو أن حساب الجمّل كان مستعملاً ، بدليل كثرة استعمال كتب الفلك له .

وقد ظل الحساب الستيني الذي يعتبر الستين الوحدة الاساسية في الحساب مستعملاً في العراق وخاصة عند كتاب الدواوين (١٢٦) ب وهو نظام يرجع الى زمن البابليين واستعملت كتب الفلك الحروف الابجدية للدلالة على الارقام واستعمل الكتاب منذ أواسط القرن الخامس الهجري أرقام السياق وهي حروف ترمز للارقام.

في بعض المصادر القديمة اشارات الى الارقام التي كان يستعملها الهنود ، فقد ذكر ساويروس سيبخت اسقف ماردين (٦٢٢ م = ١ هـ) أن للهنود تسعة ارقام فقط يستطيعون ان يكتبوا اي عدد كائناً ما كان (١٢٧) .

غير ان سيبخت لم يشر الى مدى انتشار هذه الارقام أو الى العمليات التي رافقتها ، او الى اصول شكل الارقام المستعملة ، علماً بأن أقدم اشكال

---

(١٢٦) تحقيق ما للهند ١٣٦ .

١٢٦ أ انظر ص٢ من هذا المقال .

١٢٦ ب انظر كتاب «المنازل في علم الحساب» للبوزجاني ص ٧١ فما بعد.

(١٢٧) انظر مقال كارادافو في مجلة Sciento ٢٧٣/١ ـ ٨٢ (٩٢١)
ومقال احمد سليم سعيدان عن الاثر الهندي في الرياضيات العربية : مجلة الابحاث م ١٥ ـ ٤ ص ٤٦١ .

الارقام التي استعملها الهنود والتي نعرفها ترجع الى زمن متأخر عن زمن كتاب سيبخت ، واشكالها تختلف عن اشكال الارقام التي استعملها العرب .

يذكر عدد من المؤلفين العرب ان الارقام التي استعملها العرب هي هندية الأصل ، غير ان اصولها وانتشارها وتطورها في العالم الاسلامي لايزال موضع نقاش ،رغم البحوث الواسعة التي قام بها عدد من العلماء ، وخاصة وبكه ، وسمث ، وكاربنسكي ، وكارادي فو ، وجاندز ؛ ولعل من اسباب هذا الخلاف هو قلة المخطوطات القديمة التي وردت فيها الارقام ، فان أقدم مخطوط وصلنا وفيه الارقام يرجع تاريخ نسخه الى سنة ٣٦١ هـ ، غير انه يظهر في المصادر القليلة التالية نوعان من الارقام ، كثر استعمال احدها في المشرق الاسلامي ، والثاني في المغرب الاسلامي ، وكثيراً ماتطلق على الارقام المستعملة في المشرق « الهندية » وعلى الارقام المستعملة في المغرب « الغبارية » . ولكن بعض المصادر تطلق على النوعين من الارقام اسماً واحداً ، هو « الهندية » او « الغبارية » ؛ ففي مخطوط برقم ٣٩٤٠ في مكتبة جامعة برنستون يرجع تاريخه الى سنة ٣٧١ هـ = ٩٨١ م يسمى النوعين من الارقام « الغبارية » ؛ ويقول ان الارقام التي تشبه الارقام الاوربية تسمى الرومية . . وفي مخطوط آخر في برنستون لمؤلفه يحيى بن تقي الدين الحلبي يسميها « الغبارية او الهندية » . واذا كان بالامكان الجزم بأن كلاً من النوعين لم يأخذ اشكاله من الهند ، فانه لاتوجد معلومات تلقى ضوءاً على سبب تسميتها الهندية ، علماً بأن الكتب العربية لم تشر الى مؤلفين هنود في الحساب ، او كتب نقلت عنهم فيه (١٢٨) .

---

(١٢٨) انظر في هذا الموضوع وعناوين الابحاث التي كتبت فيه مقدمة مقال الدكتور احمد سليم سعيدان عن الاثر الهندي ، والتلخيص القيم الذي كتبه الدكتور عبدالحميد صبره في دائرة المعارف الاسلامية الطبعة الجديدة . مادة «علم الحساب» . «وانظر دراسة الاستاذ محمد حسن ال ياسين المنشورة في المجمع العلمي العراقى بعنوان «الارقام العربية» .

يقول صاعد بن أحمد « ومما وصل الينا من علومهم (الهند) حساب العدد الذي بسطه ابو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي (٢١٠ هـ) أوجز حساب وأخصره وأقربه تدولاً واسهل مأخذاً »(١٢٩) ؛ غير ان صاعد والقفطي لم يذكرا عنوان كتاب الخوارزمي الذي بسط فيه حساب الهند(١٣٠) .

وذكر ابن النديم أن كلاً من سنان بن الفتح وابي الوفاء البوزجاني شرح كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي (١٣١) ، علماً بأنه لم يذكر هذا الكتاب ضمن قائمة الكتب التي ذكرها للخوارزمي .

لم يصلنا الاصل العربي لكتاب « الجمع والتفريق » او اي كتاب في الحساب لمحمد بن موسى الخوارزمي ، غير انه وصلنا عدد من الترجمات اللاتينية لكتاب محمد بن موسى ، والراجح ان هذه الترجمات تعتمد كلها على اصل واحد لترجمة لاتينية ترجع الى القرن الثاني عشر الميلادي ، وقد طبعت احدى هذه الترجمات في روما سنة١٨٥٧ بعناية بونكو مباني ثم اعاد طبعها فلوجل سنة١٩٦٣ ؛ وطبع بونكو مباني في روما ايضاً ترجمة اخرى لكتاب الخوارزمي، وفي الكتاب الاول شرح للنظام العشري في الترقيم ، ووضعت الارقام بعضها فوق بعض ، وفيها دائرة صغيرة للصفر ، غير ان الارقام التي كتبت فيه هي الارقام الرومانية ، ومن الواضح ان هذه الارقام كتبها المترجم الذي لم يشر الى اشكال الارقام في الكتاب الاصلي(١٣٢) .

(١٢٩) طبقات الأمم ١٤ ، وانظر القفطي ٢٦٦ .
(١٣٠) الفهرست ٣٣٣ ؛ ولعل الكتب التي ذكرها ابن النديم في الفقرة التي تلت ماكتبه عن الخوارزمي ، وجعلها لسنان بن الفتح ، ينبغي ان تكون تابعة للخوارزمي .
(١٣١) الفهرست ٣٤٠ ، ٣٤١ .
(١٣٢) عبدالحميد صبره : دائرة المعارف الاسلامية . الطبعة الجديدة . مادة «علم الحساب» ؛ احمد سليم سعيدان : اصول حساب الهند مجلة معهد المخطوطات العربية ١٩٦٧ .

=

والحساب الهندي يتميز بأنه يضع الارقام التي تجري فيها العمليات الحسابية بعضها فوق بعض ، ثم يجري العمليات المطلوبة ؛ وهذه العمليات قد تجري على تخت او على الرمل ، ولذلك يسمى احياناً حساب التخت ، وفي الغربية Abaeus ، او حساب « الرمل » تمييزاً له عن حساب « اليد » او حساب العقود . وطريقته تيسر العمليات الحسابية كثيراً .

واقدم الكتب المؤلفة التي وصلتنا في الحساب الهندي هو كتاب « الفصول في الحساب الهندي » لاحمد بن ابراهيم الاقليدسي (سنة ٣٣٢) وقد طبعه الدكتور احمد سعيدان سنة ١٩٧٣ ، ثم كتاب « اصول حساب الهند لابي الحسن كوشيار بن لبان الجيلي ت ٣٩٠ وقد طبعه ليفي وباتراك مع ترجمة الى الانكليزية سنة ١٩٦٥ ، ثم اعاد طبعها احمد سعيدان في مجلة معهد المخطوطات سنة ١٩٦٧ .

وذكر ابن النديم عدداً من الكتب التي عنوانها حساب الهند الفت في اواخر القرن الثالث والقرن الرابع الهجري .

١ـ الحساب الهندي لسند بن علي [١٣٣] .

٢ـ حساب الهند لاحمد بن عمر الكرابيسي [١٣٤] .

٣ـ استعمال الحساب الهندي [١٣٥] .

٤ـ التخت من حساب الهندي لسنان بن الفتح [١٣٦] .

=

معهد المخطوطات العربية ١٩٦٧ ، الاثر الهندي : مجلة الابحاث ١٥ ــ ٤ /١٩٦٢ ، وانظر المقدمة التي كتبها الدكتور علي مصطفى مشرفه والدكتور مرسي احمد لكتاب «الجبر والمقابلة» للخوارزمي الذي نشراه.

(١٣٣) الفهرست ٣٣٤ .

(١٣٤) كذلك ٣٤٠ .

(١٣٥) كذلك ٣١٦ .

(١٣٦) كذلك ٣٣٩ .

يقترن الحساب الهندي بالتخت ، ولذلك جعل من كتب في الحساب الهنـــدي عنوان كتابه « التخت في الحساب ومرجع هذه التسمية هي ان العرب اخذوا في المرحلة الاولى الحساب الهندي تخطيطاً على الرمل تكتب فيه الاعداد افقياً بترتيب مرسوم ، ويجري العمل على نمط محدد طردا من اليمين الى اليسار ، او عكساً من اليسار الى اليمين ، ويرافق العمـــل بضرورة محو ونقل ، وكل ذلك على التخت ، وتكتب الارقام عادة افقية ؛ وذكر ابن النديم من هذه الكتب

١ـ التخت ليعقوب الرازي [١٣٧] .

٢ـ التخت الكبير في الحساب الهندي لعلي احمد الانطاكي [١٣٨] .

٣ـ « البحث (التخت !) في حساب الهند لابي حنيفة الدينوري [١٣٩] .

٤ـ وذكر القفطي ايضاً علل حساب الهند للحسن بن الهيثم [١٤٠] .

ومن الكتب التي تحمل عنوان الحساب الهندي كتابي « الفصول في الحساب الهندي » للاقليدسي « واصول حساب الهند » لكوشيار بن لبان الجيلي اللذين ذكرنا انهما طبعا حديثاً .

٥ـ المقنع في الحساب الهندي لاحمد بن علي النسوي ، ومنه مخطوطة في ليدن برقم (١٠٠١) .

٦ـ٧ـ « الهنـــدي المنتزع من الكافي » و « التعليـــق على الهنـــدي » ومنهما مخطوطة في القاهرة برقم (٨٤) .

٨ـ وذكر البيروني في فهرست كتبه الذي نشره سخاو في مقدمة كتاب « الآثار الباقية » ان له الكتب التالية :ـ

---

(١٣٧) كذلك ٣٤٠ .

(١٣٨) كذلك ٣٤٢ .

(١٣٩) كذلك ٨٦ وانظر القفطي : انباء الرواة ١/٤١ .

(١٤٠) اخبار الحكماء ١٦٨ .

١- تذكرة في الحساب والعذ بارقام السند هند في (٣٠) ورقة .
٢- كيفية رسوم الهند من علم الحساب .
٣- في ان رأى العرب في مراتب العدد اصوب من رأى الهند فيها في (١٥) ورقة .
٤- من سيكاف الاعداد ، جاء نصفه في (٣٠) ورقة .
٥- « ترجمة ما في براهم سد هاند من طرق الحساب» في اربعين ورقة .

كتب هندية في مواضيع منوعة

يذكر اليعقوبي ان للهند « في المنطق والفلسفة كتب كثيرة في اصول العلم ، منها كتاب طوفا في علم حدود المنطق ، وكتاب ما تفاوت فيه فلاسفة الهند والروم ، ولهم كتب كثيرة يطول ذكرها ويبعد عرضها » [١٤١] .

وذكر ابن النديم انه قرأ كتاباً عن ملل الهند واديانها بخط الكندي ، وجاء فيه ان يحيى البرمكي بعث برجل الى الهند ليأتي بعقاقير موجودة في بلادهم وان يكتب له اديانهم فكتب له ذلك الكتاب وقد نقل ابن النديم منه عدة صفحات [١٤٢] .

ويقول المسعودي « وقد رأيت ابا القاسم البلخي ذكر في كتاب عيون المسائل والجوابات وكذلك الحسن بن موسى النوبختي في كتابه المترجم بكتاب الآراء والديانات مذاهب الهند وآرائهم » [١٤٣] ولم يصلنا هذان الكتابان لنعرف معلوماتهما او مصدرها الذي قد يكون نفس مصدر معلومات ابن النديم .

نقل الجاحظ نصاً طويلا في تعريف البلاغة ذكر انه مترجم عن كتاب جلبه منكه الهندي الطبيب الذي كان يرعاه يحيى بن خالد البرمكي . [١٤٤]

---

(١٤١) التاريخ ١/٧٤ .
(١٤٢) الفهرست ٤٠٩ .
(١٤٣) مروج الذهب ١/٩٤ .
(١٤٤) البيان والتبيين ١/٩٣ .

ونقل ابن قتيبة في كتابه عيون الاخبار ستاً وثلاثين نصاً في آداب السياسة والسلوك ذكر انه نقلها او قرأها في كتاب للهند دون ان يذكر اسم الكتاب ، وقد قام جبريللي ولا كومت بدراسة هذه النصوص ، وظهرت من هذه الدراسة ان بعضهـا في كليلة ودمنة ، ويظهر انها مأخوذة من مصدر اعتمـد عليه ابن المقفع في كتابيه كليلة ودمنة ، والادب الكبير (١٤٥) . وقـد وضع ابن النديم كتاب كليلة ودمنه في كتب الهند فهارس الخرافات والاحاديث (١٤٦) .

وذكر ابن النديم « كتاب الهند بين الجواد والبخيل والاحتجاج بهما ، وقضاء ملك الهند بذلك » و « كتاب شاناق الهندي في الآداب : خمسة ابواب» (١٤٧) (٣٧٨) وكتاب « شاناق الهندي في امر تدبير الحروب وما ينبغي للملك ان يتخذ من الرجال في امر الاساورة والطعام والسم » .

وذكر ايضاً « كتاب باجهر الهندي في فراسات السيوف ونصحها وصفاتها ورسومها وعلاقاتها » (١٤٨) .

يتبين مما تقدم ان الآثار الهندية كانت واضحة في الطب والفلك ، ثم في الأدب ، وانها ترجع الى زمن المنصور والرشيد وهي بفضل العلماء الذين جلبوا من الهند في زمنهما ، وان تأثير هؤلاء العلماء ظل ملحوظاً ، ولكن لم تحدث بعد ذلك اضافات هندية بارزة في ميدان العلم ، حتى زمن البيروني الذي قضى سنوات في الهند يدرس عقائدهم وعلومهم والف كتابه « تحقيق ما للهند من مقولة » الذي يعتبر الحجة في معرف الهند في القرن الخامس الهجري .

(١٤٥) انظر مواضعها في فهرس كتاب عيون الاخبار ، وانظر كتاب G. Lacombt. Ibn Qutaiba ص ١٨٤ — ٥

(١٤٦) الفهرست ٣٦٤ .

(١٤٧) كذلك ٣٧٧ .

البيان

الدكتور
أحمد عبد الستار الجواري
(عضو المجمع)

-١-

ليس المراد بالبيان في هذا الباب ذلك العلم من علوم البلاغة الذي يعنى بأضرب الأساليب وأشكال التعبير وما تتميّز به في الوضوح والاتضاح ، او الغموض والإبهام ، والمواطن التي يحسن فيها هذا الأسلوب أو ذاك من أساليب الكلام .

وليس المراد بالبيان هنا أيضاً معناه اللغوي الذي يبتدر الذهن حين يطلق لفظه . ذلك معنى عام واسع رحب الدلالة كالذي أراده أبو عثمان الجاحظ حين أطلق على كتابه الذائع الصيت البيان والتبيين .

لكن المراد بالبيان هنا جزء من أجزاء الكلام يبين جزءاً آخر بيان حقيقة — كما يقال — لا على سبيل الوصف الذي يكشف وسمه أو وسم مايتعلق به ، وان يكن قريباً منه في موقعه من الكلام .

وهو إذن قرين الوصف ، وهو قسيمه من بعض الوجوه وإن يكن ينحط عنه في كونه لايرقى الى مرتبة الإسناد مثلما يرقى الوصف حين يكون خبراً .

وإن مما يؤخذ على نهج النحاة الأوائل أنهم اقتصروا في بحث الوصف خاصة على الوصف بالاسم ، فلم يُعنوا بالفعل حين يقع وصفاً — وهو الوصف

الإسنادي – بل إنهم لم يعرضوا لمعنى الوصفية في الخبر إلا لماماً حين قالوا إن الخبر لابد أن يكون فيه معنى الوصف . ولعل علة ذلك أنهم كانوا يجدون الإسناد مرتبة أسنى وأرفع من مرتبة الوصف .

والبيان في حقيقة أمره وغالب أحواله اسم ذات ، ليس فيه – كما في الوصف – معنى الحدث مقترناً بذات الفاعل أو المفعول إلا إذا كان الاسم المبيّن قد نقل عن وصف ، واستحال بعد النقل والاستعمال اسم ذات ، مثله في ذلك مثل الأعلام المنقولة عن الوصف كخالد وجميل وممدوح ونحو ذلك .

والبيان يوافق الوصف في أغلب أحواله ووظائفه وموقعه من الكلام ، ويخالفه في أمر واحد ، ذلك أن الوصف قد يقع – كما أسلفنا – موقع المسند ويكون عمدة في الكلام كالخبر والفعل ، والبيان لايقع هذا الموقع .

ولكنه يقع – كما يقع الوصف – تابعاً تارة ، ويقع في موقع الخلاف تبييناً لبعض حقيقة المبيّن تارة أخرى .

فهو إذن ضربان :

الأول هو البيان التابع . تقول حضر أخوك زيد .

ف « زيد » بيان ل « أخوك » جيء به ليدفع توهم أن الذي حضر من إخوتك هو زيد إن كان لك إخـــوة غيره . وهذا أيضاً هو البيان المطابق .

والثاني هو البيان غير المطابق.ووظيفته الكشف عن بعض حقيقة المبيّن سواء كان اسماً مفرداً مبهماً أم كان نسبة يراد تبيان الجانب المقصود منها .

تقول عندي أحـــد عشر كتاباً وقطعت اثني عشر ميلاً فتبيّن بعض حقيقة العدد – وهو بطبيعته مبهم – باسم جنس مما يصح أن يشتمل عليه .

وتقول : « طابت البلدة هواءً » و « كرم أهلها أخلاقاً » فكأن في الإسناد شيئاً من الإبهام أو ضرباً من العموم يراد كشفه ويقصد الى تخصيصه فيؤتى بهذا البيان ، ويقال له تبيين النسبة .

والنحاة يسمون هذا الضرب الثاني بالتمييز . وهذه تسمية – كما ترى – لاتوحي بوظيفة المسمى في الكلام ، ولا تنبىء بموقعه من التركيب ، ذلك أنهم ينصون على أن وظيفته إما بيان الذات المبهمة ويسمونه حينئذٍ التمييز الملفوظ ، وإما بيان النسبة ويسمونه التمييز الملحوظ . وكلاهما لاتقوم له في ذهن الدارس صورة واضحة أو موقع ماثل واضح المعالم ، بل لعل المدرس ، أو النحوي الممارس يعاني من غموض المصطلح وبهوت لونه مثلما يعاني الدارس على سواء . ويظل الدارس والمدرس في بلبلة من أمره ، يقذف بالغيب حين يصادف اسماً منصوباً يتردد بين الوصف والتبيين لاسم آخر متقدم عليه ، فلا يدري أيقول إنه حال أم يقول إنه تمييز . ومردّ ذلك إلى الخلط بسبب علامة الإعراب وهي الدليل الظاهر غير المرتبط في ذهنه بموقع اللفظ من التركيب ووظيفته المعنوية في الكلام .

–٢–

وأما البيان التابع فهو عند النحاة فرعان : الأول مايسمونه عطف البيان ، ولهم فيه مقالة مشهورة وهي أن عطف البيان في الجوامد بمنزلة النعت في المشتقات . وهو كما نرى تبيين الاسم باسم آخر يكشف عن حقيقته ويدل على المقصود بخاصة من بين ما يحتمل العموم . وقد مرّ شيء من الكلام عليه . ولقد سموه أحياناً بياناً . [1] .

والثاني مايدعونه البدل ويعرّفونه بأنه التابع المقصود بالحكم بلا واسطة ، ويقولون عنه إنه يأتي في الكلام على نية تكرار العامل وإنه على نية إسقاط المتبوع وإنه بمنزلة جملة استؤنفت للتبيين :

ولو سألتهم أن يضربوا له مثلاً لما تجاوزوا ضرب المثل بما سمّوه عطف البيان .

(١) مغني اللبيب لابن هشام ج٢ ص ١٤٨ .

وواضح أن قولهم : هو التابع المقصود [1] بالحكم قول ينقض آخرُه أوّلَهُ ، لان التابع لايكون مقصوداً بالحكم إلا من خلال متبوعه ، فهو إما نعت له وإما توكيد وإما معطوف يشرّك بينه وبين المتبوع حروف معينة تعرف بحروف العطف .

وايس معقولاً في الكلام السوي – بله البليغ – أن يقصد إلى اطّراح المتبوع الذي أسس عايه الحكم واستبدال متبوعه به ، ذلك أمر بديهي . تقول رأيت أخاك علياً إذا أردت أن تبيّن أي أخ من إخوان المخاطب رأيت .

فـ « علياً » بيان لما قبله يستمد موقعه في التركيب من المتبوع ، وتقول رأيت علياً أخاك إذا كان « علي » اسماً يشترك فيه أخو المخاطب مع آخرين فيراد هنا تبيينه بأنه أخو المخاطب .

ولقد عقد النحاة لهذا البدل باباً في التوابع ووضعوا له قواعد ، وميزوه بمزايا بلغ بها بعضهم ثمانية أمور :

الأول أن العطف لايكون مضمراً ولا تابعاً لمضمر لأنه في الجوامد نظير النعت في المشتقات ، والبدل يكون مضمراً أو تابعاً لمضمر .

الثاني أن البيان لايخالف متبوعه في تعريفه وتنكيره ويكون ذلك في البدل.

الثالث أن البيان لايكون جملة بخلاف البدل .

الرابع أن البيان لايكون تابعاً لجملة .

الخامس أن البيان لايكون فعلاً تابعاً لفعل والبدل يكون كذلك .

السادس أن البيان لايكون بلفظ الأول ، والبدل يكونه .

السابع أنه ليس في نية إحلاله محل الأول والبدل يكون كذلك .

الثامن : أن البيان ليس في التقدير من جملة أخرى بخلاف البدل [3] .

(٢) يقول ابن مالك : التابع المقصود بالحكم بلا واسطة هو المسمى بدلا .

(٣) مغني اللبيب ج٢ ص ١٠٥ – ١٠٨ .

-٣-

إن التفريق بين ما يعرف عند النحاة بعطف البيان وبين البــدل ليس إلا تفريقاً صناعياً اقتضته الصناعة النحوية . ذلك أن ملاك هذا التفريق أمران أساسيان عند النحاة أولهما هو أن عطف البيان في الجامد بمنزلة النعت في المشتق . فما يستحق من الاسماء أن ينعت ، يستحق أن يعطف عليه عطف بيان . وهذا أمر لايقوم على أساس صحيح من طبيعة التراكيب ووظائف أجزائها وعلاقاتها بعضها ببعض . وأثر الاصطناع فيه واضح لامراء فيه .

واما الأمر الثاني فهو أن البدل – وهو عندهم المعتمد بالحديث – على نية تكرار العامل . فحيث يسوغ تكرار العامل يكون التابع الجامد صالحاً للبدلية ، وحيث تمنع الصناعة النحوية تكرار العامل أولا تستسيغه يكون التابع عطف بيان . يقول ابن مالك في عطف البيان :

وصالحاً لبــدلية يُرى في غير نحو ياغلامُ يعمرا

ونحو بشرٍ تابع البكريّ وليس أن يبــدل بالمرضيّ

ذلك أنه لو نادى منادٍ غلاماً اسمه يعمر فقال : ياغلامُ يعمرَ فإن حق المنادى أن يبنى على الضم لأنه نكرة مقصودة ، فإذا أتبع المنادي بمبيّن له تابع لمحله من الاعراب وهو النصب ، لم يجز أن يقدّر تكرار العامل أي حرف النداء لأنّ الاسم الواقع موقع التابع اسم علم فلا يجوز أن ينصب على المحل بعد حرف النداء ، بل يجب بناؤه على الضم .

وفي البيت الثاني من بيتي ابن مالك إشارة إلى قول القائل :

أنا ابن التاركِ البكريّ بشرٍ

عليه الطيرُ ترقبه وقوعا

فلو أناك أسقطت الاسم المتبوع (البكري) وهو معمول لاسم الفاعل (التارك) مضافاً إليه ثم جعلت مكانه الاسم التابع وهو (بشر) لم يجز ولم

يتأتّ لك تكرار العامل لأن اسم الفاعل المقترن بأل لا يجوز أن يضاف إلى معموله إلا إذا كان معموله مقترناً بأل أيضاً . على أن هذا مما لم يجتمع عليه النحاة بل ذهب بعضهم إلى جوازه [٤] .

ولعل دعوى إسقاط المتبوع والاعتداد بالتابع في ما سموه البدل من أغرب غرائب النحاة، لأنها مناقضة لطبيعة ما يراد في تعبير المتكلم .

وإن من أعجب أقوالهم قول ابن يعيش في شرح المفصل : « البدل ثانٍ يقدرّ فيموضع الأول نحو قولك (مررت بأخيك زيد) . فزيد ثان منحيث كان تابعاً للأول في إعرابه ، واعتباره بأن يقدر في موضع الأول حتى كأنك قلت مررت بزيد فيعمل فيه العامل كأنه خال من الأول » . على أنه لا ينكر حقيقة هذا الذي يسمى البدل وما جيء به من أجله فيقول : « والغرض من ذلك البيان » [٥] .

وقد قال بذلك من قبله الزمخشري فذهب إلى أن البدل هو المعتمد بالحديث ، وأن المبدل منه بمثابة التوطئة والتمهيد . ثم جاء ابن يعيش يشرح ذلك ويزيد عليه فيقول : « فعلمت بذلك أن المعتمد بالحديث هو الاسم الثاني ، والأول بيان . فالبيان في البدل مقــدم وفي النعت والتأكيــد مؤخر [٦] .

وهذا من الغرابة بمكان ، إذ كيف يكون التبيين لشيء لم يذكر فلم يعرف أو يُسَمَّ أولاً ؟

على أن بين المشتغلين بالعربية من قد يذهب في هذه المسألة مذهباً يحسبه تيسيراً ، وما هو من التيسير في شيء . فيدعو إلى أن يضم عطف البيان إلى

---

(٤) ذلك هو الفراء . شرح الأشموني ج ٣ ص ٨٨ .

(٥) شرح المفصل لابن يعيش ج٣ ص ٦٣ .

(٦) نفسه ص ٦٦ .

البدل فيكون كله بدلاً ، لأن عطف البيان وبدل الكل من الكل شيء واحد .
والحق أن يكون عكس ذالك :أن يضم موضوع ما يسمى البدل إلى قرينه المسمى عطف البيان فيكون كل ذلك ضرباً من البيان التابع .

وحينئذ يمكن أن يفصل القول في البيان ، على الوجه الآتي :

البيان : اسم أو فعل أو جملة يبيّن به ما قبله من اسم أو فعل أو جملة .
وإذا كان اسماً كان جامداً غير مشتق ، ولا يعامل معاملة المشتق من حيث الوصف به على سبيل الإسناد أو النعت أو وصف الحال .

والبيان ضربان : الأول هو البيان التابع .والمراد بالتبعية موافقة ما يبيّنه في الاعراب نحو هـذا أخوك عليٌّ ، ورأيت القـوم أكثرهم .ونحو قوله تعالى : (يسألونك عن الشهر الحرام قتالٍ فيه) (٧) ونحو قوله تعالى (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا) (٨) ونحو قوله تعالى (ومن يفعل ذلك يلْقَ أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا)(٩)
ونحو قوله تعالى (أمَدّكم بما تعلمون أمَدّكم بأنعام وبنين) (١٠)

ويجوز في هذا الضرب أن يختلف البيان عن متبوعه في التعريف والتنكير فتبيّن النكرة بالمعرفة نحو قوله تعالى (فيه آيات بينات مقام ابراهيم) (١١) .

فان الاسم المتبوع نكرة (آيات بينات) والبيان التابع معرفة (مقام ابراهيم) .

وكأن يكون المتبوع معرفة وبيانه نكرة كقوله تعالى (كلا لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية ناصية كاذبة خاطئة) (١٢)

---

(٧) البقرة ٢١٨ .
(٨) آل عمران ٩٧ .
(٩) الفرقان ٦٨ ، ٦٩ .
(١٠) الشعراء ١٣٢ ــ ١٣٣ .
(١١) آل عمران ٩٧ .
(١٢) القلم ١٥ .

وقد يكرر العامل الداخل على المتبوع فيتصل بالتابع على سبيل التأكيد نحو قوله تعالى « قال عيسى ابنُ مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكونُ لنا عيداً لأوّلنا وآخرنا وآيةً منك »[١٣] .

ونحو قوله تعالى « قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استُضْعِفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه »[١٤] .

وقوله تعالى « لقد كان لكم في رسولِ الله أسوةٌ حسنة لمن كانَ يرجو الله واليومَ الآخر »[١٥].

—٤—

ولا بدّ هنا من التنبيه على امر فيه منزلق لم يكد يسلم منه أكثر المشتغلين بالنحو . ذلك كلامهم على مايسمى بدل الغلط . وهو الذي يكاد ينفرد باستحقاق مفهوم البدلية ، وقد صرح بذلك نفر منهم . وهم يمثلون له بهذا المثل القبيح مررت برجل حمار ، كأن القائل أراد أن يقول مررت بحمار فغلط ثم استدرك بعد ذلك[١٦] .

وأحسب أن قواعد اللغة — أي لغة — لايمكن أن تعتدّ بالغلط أو تعتبر به فتضع له القواعد[١٧] .

والضرب الثاني من أضرب البيان هو البيان المخالف أي المنصوب على الخلاف أو البيان غير التابع .

---

(١٣) المائدة ١١٤ .
(١٤) الأعراف ٧٥ .
(١٥) الأحزاب ٢١ .
(١٦) شرح المفصل لابن يعيش ج ٣ ص ٦ .
(١٧) قال الاشموني في تنبيهاته : رد المبرد وغيره بدل الغلط وقال : لا يوجد في كلام العرب . نظما ولا نثرا . شرح الاشموني ج٣ ص ١٣٠ .

وهو إما بيان مقدار أو عدد أو بيان نسبة أي إسـناد كما مر . وحق هذا الضرب النصب ـ كما سلف ـ لانه لايطابق مايبينه ولكن يكون فيه شيء من التميز والاستقلال يرقى به عن التبعية إلى المرتبة الوسطى مرتبة النصب . تقول عندي عشرون كتاباً فعشرون اسم من اسماء العدد وهو صالح لأن يعدّ به كل مافي هذا القدر من الذوات أو مافي حكمها ، فإذا أردت تبيين هذا المقدار جئت باسم الذات بعده منصوباً .

وأما بيان النسبة أو بيان الإسناد فهو أيضاً كشف عن ابهام الإسناد أو تبيين المراد به على وجه التخصيص ، ومثل ذلك يكون في الوصف .

قال تعالى « نعم الثواب وحَسُنَتْ مرتفقاً »[18] .

وقال تعالى « وساء لهم يوم القيامة حملا »[19] .

وقال تعالى « فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعزّ نفراً »[20]

وإن من هذا الضرب من البيان مايسميه النحاة المفعول المطلق وهو في الحقيقة ليس بمفعول ولا مطلق ، بل هو إما وصف للفعل نحو سرت سريعاً ، ومشيت طويلاً ، وإما توكيد له نحو قمت قياماً ، ونحو قوله تعالى « ثم إني أعلنت لهم وأسـررت لهم إسـرارا »[21] وإما بيان نحو قوله تعالى « ثم إني دعوتهم جهارا »[22] و قوله تعالى « وحُمِلَت الأرض والجبال فَدُكّتا دكةً واحدة »[23] .

وإن في كلام بعضهم مايشعر بأن هذا المصدر النكرة المنصوب إنما يقع وصفاً للفعل وهو يسميه حالاً . ذلك قول ابن مالك .

---

(18) الكهف ٣١ .
(19) طـه ١٠١ .
(20) الكهف ٣٤ .
(21) نوح ٧ .
(22) نوح ٨ .
(23) الحاقة ١٤ .

ومصـــدر منكر حالاً يقـــع

بكثرة ك « بغتـــةً زيد طلـــع »

وواضح أن المصدر المنصوب هنا يصف الطلوع وهو المعبّر عنه بالفعل . وكذلك الأمر في مابين الفعل ويكشف عن حقيقته . وذلك واضح في الآية الكريمة « ثم إني دعوتهم جهارا » فالجهار بيان لدعوتهم من دون حاجة الى تأويل أو تفسير .

— ٥ —

وبعد فإن البيان معنى ، ومعاني النحو حقها أن تؤدى بالحروف ، ولذلك قالوا فيها حروف المعاني .

وحرف المعنى الذي وضع للبيان ليؤديه في الأسماء هو (من) في أحد معانيها . تقول عندي قفيز من برّ ، أو رطلٌ من عسل . وعندي خمسة من الإخوة ، ورأيت مائة من الجند . قال تعالى « مثلُ الجنةِ التي وعِد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسنٍ وأنهار من لبن لم يتغير طعمهُ وأنهار من خمرٍ لذةٍ للشاربين وأنهارٌ من عسلٍ مصفى » [٢٤] .

والبيان ايضاً معنى من معاني الإضافة ، وتسمى الإضافة حينئذٍ إضافة بيانية ، ويحدّها النحاة بأنها بمعنى (من) نحو عندي ثوب خزٍّ وخاتم فضةٍ . ونحو ذلك .

— ٦ —

ولننظر في صور البيان التي ألمت بها هذه العجالة سنجد أنها تقوم على أصلين اثنين : إما التبعية والمطابقة في الإعراب ، وإما الخلاف في الإعراب إما نصباً ، وإما خفضاً (جراً) بأداة (حرف الخفض أي الجر) أو بالإضافة . ولعل لكل حال من هذه الأحوال خصيصة معنوية يتميز بها ويؤدي غرضه بها .

---

(٢٤) سورة (محمد) الآية (١٥) .

فأما البيان المطابق في الإعراب وهو التابع فإن فيه مافي التطابق من معنى التكافؤ والتوازن بين البيان وما يبينّه . ولذلك ادعى بعض النحويين لبعض صوره معنى البدلية ومايراد بها من الاستقلال بل كونه هو المقصود بالحكم . يقال مثلاً : هذا خاتمٌ ذهبٌ وهذا ثوبٌ قطنٌ .

وأما إذا جيء بـ (من) للنص على معنى البيان كأن يقال هذا خاتم من ذهب وهذا ثوب من قطن . وكقوله صلى الله عايه وسلم لمن جاء خاطباً امرأة وهو لايملك مايعطيها مهراً : (التمس ولو خاتماً من حديد)[٢٥]، فان في (من) معناها الحسيّ الذي جازته إلى معنى البيان . ذلك أن أصل معناها في البيان هو معنى التبعيض ، وهي حين تكون لمعنى البيان فهي في ذلك على سبيل المجاز ، أو أن معناها في البيان ظل لمعناها في التبعيض [٢٦] .

وأما البيان المنصوب نصب الخلاف فإن المقصود به – على ما يُظن – تنصيص على أمارة من أمارات الوصف فيها أثارة من معنى الحال ، ذلك يلمح في مثل : هذا ثوب حريراً وهذا خاتم حديداً .

ويلمح المعربون في مثل هذه المواضع حرف الخفض (الجر) محذوفاً منصوباً ما بعد موضعه على مايدعوه بعضهم نزع الخافض ، فكأنه قيل هذا ثوب من حرير وهذا خاتم من حديد ، ثم استغني عن حرف الجر لتعيّن معناه وتعيّن موضعه [٢٧] .

— ٧ —

وإن مما ينبغي أن يقف عنده البحث بعد ذلك كله تسميتهم البيان المطابق التابع عطفاً . قال ابن مالك :

(٢٥) شرح صحيح الترمذي ج ٥ ص ٣٥ .
(٢٦) الأصل في (من) أن تكون لابتداء الغاية ، ومجازه التبعيض ومجاز التبعيض البيان . والله أعلم .
(٢٧) بذلك يتحدث النحاة حين يعللون نصب الاسم بعد (لا) التي لنفي الجنس، او بناؤه على الفتح .

العطف إما ذو بيان أو نسق . . . الخ

وأغلب كتب النحو ولا سيما كتب المتأخرين تسميه عطف البيان . على أنهم يعرّفون العطف بأنه الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه [٢٨] . ومعنى عطفت الشيء ثنيته وأملته [٢٩] . فالعطف إذن جمع شيئين أحدهما الى الآخر أو ضم طرفي شيء . وهذا المعنى لا أثر له في التابع المبيّن الذي يشبه الصفة ، أو كما يقول ابن مالك :

فذو البيان تابع شبه الصفة حقيقة القصد بـه منكشفة

ولا يظهر أن بينه وبين عطف النسق ، وهو اسم منطبق على مسماه ، تشابهاً أو تلاقياً الا في أمر واحد هو التبعية في الإعراب وذلك أمر يشاركهما فيه كل التوابع .

وفي العطف لابدّ من وجود عاطف وهو الحرف الذي يشرّك مابعده مع ماقبله في الحكم والمعنى أو في الحكم فقط . وليس في هذا الباب أداة يعطف بها التابع المبيّن على متبوعه وتكون الوسيلة للتشريك في الحكم وفي المعنى [٣٠] . فهو ليس بعطف على الاطلاق لامن حيث معناه ولا من حيث موقعه من الكلام .

وفي هذه التسمية أيضاً شيء من التجوّز لاداعي له ، بل إن فيها شيئاً غير قليل من عدم الدقة .

ذلك أن هذا التابع ، إن صح أن يلحق بباب العطف ، فهو معطوف كالمعطوف عطف نسق من حيث التبعية والموقع من التركيب ، وليس هو

(٢٨) حاشية الصبان على الأشموني ج ٣ ص ٨٦ .

(٢٩) المصباح المنير .

(٣٠) يراد بهذا التنبيه على ضربي حروف العطف ، تلك التي تشرك في المعنى وفي الحكم وهي أكثرها كالواو والفاء وأو وثم ، وما يراد بـه الاضراب والاستدراك كـ (بل ولكن ولا) .

بعطف لأن العطف – إن جاز أن يؤخذ به – هو الحال التي عليها هذا الاسم ، والاسم حينئذٍ معطوف . وقد يجاب ذلك بأنه من باب المجاز العقلي باسناد الوصف لغير ماهو له نحو ليله قائم ونهاره صائم ، وهو معنى في هذا المقام لا موجب له ولا مقتضى لمعناه ، فوق أنه يوقع في اللبس ولا يليق بمثل هذا العلم الذي ينبغي فيه أن تسمى الأشياء بأسمائها حتى لاتختلط الحقيقة بالمجاز وحتى لاتتداخل المسميات والمصطلحات فيضل فيها الدارس ولا يهتدي سبيلا .

خاتمة :

إن الذي ترمي إليه هذه النظرة الأخرى في النحو وبعض مسائله وأبوابه ، هو استجلاء معاني النحو وتبيّن علاقة الإعراب وأحواله بأحوال المعاني المختلفة ، وتميز طرائق التعبير بعضها عن بعض . والاهتداء بمعاني النحو في أساليب الكلام ومراتبها من الدقة والإصابة ، وتفاوتها في الإيجاز والإسهاب ، وفي الوضوح والإبهام .

وإن إخلاء النحو من معانيه ، واستبعاد تلك المعاني من الدراسة النحوية هو الذي يصمه بالجفاف والجفاء ومرارة المذاق ومجانفة الأذواق .



صيغ للمصطلحات الطبية والعلمية

(اِفتعال ، اِنفعال ، تَفْعال ؛ فَعْلُون)

الدكتور محمود الجليلي
عضو المجمع العلمي العراقي

يوجد كثير من الصِّيَغ العربيّة التي يمكن الاستفادة منها في وضع المصطلحات الطبّيّة والعلمية ، ويمكن تخصيصها لمعنىً معيّن في الوقت الحاضر إذا لم تكن كثيرة التداول في الاستعمال العام بمدلولها الاعتيادي ، وبهذا تتمّ الاستفادة من ثروة كبيرة من المشتقّات التي تفتح الابواب امام المعنيين بالمصطلحات والمهتمّين بايجاد مؤلّفات رصينة باللغة العربية في مختلف فروع المعرفة، ومسايرة التطوّر السريع في العلوم والتِقْنِيّات في الوقت الحاضر . وسنخصّص هذا البحث للصيغ التالية : اِفتعال و اِنفعال وتَفْعال وفَعْلون .

إفتعال و إنفعال

ان الكلمة المستعملة الآن عادة للدلالة على التهاب الانسجة او الاعضاء أن يقال « التهاب كذا » وهذا تعريف لا تسمية ، فيقال الآن التهاب الكبد مقابل كلمة hepatitis بينما تعرّف هـذه الحالة باللغة الانكليزية بانّها (inflammation of the liver أي التهاب الكبد) ، فمن المفيد وضع مصطلحات تؤدّي الغرض المطلوب .

ومن الضروري تعريف مصطلح « الالتهاب » وهو مترجم عن كلمة inflammation المستعملة في اللغة الانكليزية واللغة الفرنسية (واصلها

اللاتيني inflammatio إشـعال النار من to set on fire=inflammare) ، ويؤدّي معناها الملاحقة « itis » في المصطلحات الانكليزية .

تعريف الألتهاب : هو استجابة موضعية لاذىً او تخريبٍ للانسجة لغرض الحماية ، تؤدّي إلى القضاء على او تخفيف او عزل كلا العامل المؤذي والانسجة المتضرِّرة . وتتّصف في الحالة الحادة بالعلامات الاساسية : الالم والحرارة والاِحمرار والتورّم وتعطُّل الوظيفة . ومن الوجهة النسيجيّة تتضمّن سلسلة معقّدة من التبدّلات تشمل توسّع الشُّرَيْنات (الشرايين الصغرى) والاوعية الشعريّة والوُرَيْدات (الاوردة الصغرى) مع زيادة النفوذيّة وجريان الدم ونضوح السوائل بما في ذلك زلال (بروتينات) الدم ، وهجرة الكريّات البيض الى بؤرة الالتهاب .

وهناك انواع متعدِّدة من الالتهاب (Dorland's) (٣٢) .

ولقد استعملت كلمات متعدِّدة لما يقابل كلمة (التهاب) ، فلقد استعمل الأطباء العرب في القسم الاول من القرن العشرين كلمات ذات الجنب وذات الرئة وذات السحايا لما يدلّ على التهاب الجنَبة والتهاب الرئة والتهاب السحايا الدِّماغيّة .

ولقد استعمل الاطباء العرب الاقدمون (ذات الجنب وذات الرئة) في كتاباتهم ، مثلاً ، استعملها ثابت بن قرّة (٢١١–٢٨٨ هـ / ٨٢٥–٩٠٠م) في كتاب الذخيرة في علم الطب (١٠) ص٦٠–٦٢) ، والرّازي (٢٥١–٣١٣هـ/ ٨٦٥–٩٢٥م (١٦) في الكتاب المنصوري ، وكانوا يستعملون الاسماء العربيّة للامراض التي يشار اليها الآن بالالتهاب مثل الرَّمَد ، وسيلان المدّة من العين والخوانيق . وجـاء في كشـّاف مصطلحات الفنون للتهانوي (ألّفه سـنة ١١٥٨هـ / ١٧٤٥ م) (٨) ٢ : ٣٣٤–٣٣٥ : ذات الجنب ذات الصـدر ، ذات الرئة ، ذات الكبد بما يقابل التهاب هذه الاعضاء .

وفي بداية وضع المعاجم الطبّيّة ، استعمل الطبيب المصري محمود رشدي البقلي سنة ١٢٨٦هـ كلمـــة شريانيت arteritis ومفصليت arthritis ، أي بتعريب اللاحقة itis التي تدل عـــلى الالتهاب باللاحقة (يت) (٤) .

وكان مجمع اللغة العربية في القاهرة (٢٥) قد قرّر في الجلسة ٩ من الدورة (٢٨) لمؤتمر المجمع : (لا مانع من ان تكون صيغة « الافتعال » ، مشتقةً من العضو ، قياسيّة في معنى المطاوعة ، لِلاصابة بالالتهاب . وقد ورد قول الصرفيين « وافتعل للمطاوعة غالباً » ، وقد جعلها المجمع قياسية فيما كانت فيه فاء الفعل احد حروف قولهم « ولنمر » . ويرد في اللغة « فَعَلَ » من العضو بمعنى اصابه ، فيقال كَبَدَه ، وعَانَه ورَأسَه) .

وقرّر المجمع في الجلسة ٣١ من الدورة (١) ما يلي : (كل فعل ثلاثي متعدٍّ دالٍّ على معالجة حسيّة فمطاوعـــه القياســـي « انفعل » ما لم تكن فاء الفعل واواً او لاماً او نوناً او ميمـــاً او راءً ، ويجمعها قولك « ولنمـــر » ، فالقياس فيه « افتعل » . (مجموعة القرارات العلمية ص ٢٩ و ص ٣٩) (٢٥).

اما صيغة فُعال فتستعمل عادة للمصطلحات التي تنتهي بـ osis مثل كُلاء nephrosis وعُصاب neurosis .

ولقـــد رأينا من المفيد ان نعدّ قائمة على وزن انفعال وافتعال في الوقت نفسه ، لأنّ لبعض المشتقات مدلولات شائعة في الوقت الحاضر تجعل من الصعب تخصيصها للمدلول الطبّي مثل انقلاب لا يمكن استعمالها لالتهاب القلب لأنّها تدلّ على قلب الشيء ، وكذلك انفصال لا يمكن استعمالها لالتهاب المفصل لأنّها تعني الفصل لا المفصل .

ولهذا فتكون صيغة (انفعال) هي المستعملة إلا إذا كانت الفاء من حروف (وانمر) ، مع استثناء بعض المصطلحات المقترحة لمنع اللبس والارتباك . وقد وقد وضعنا الكلمات المقترَحة بين قوسين .

افتِعال	انفِعال		
(اقتِلاب)	انقلاب	التهاب القلب	carditis
اكتِباد	(انكِباد)	التهاب الكَبِد	hepatitis
اكتِلاء	(انكِلاء)	التهاب الكلية	nephritis
(إمتِعاء)	انمِعاء	التهاب الامعاء	enteritis
(إمتِعاد)	انمِعاد	التهاب المعدة	gastritis
اقتِصاب	(انقِصاب)	التهاب القصبات	bronchitis
ادِّماغ	(اندِماغ)	التهاب الدّماغ	encephalitis
اعتِصاب	(انعِصاب)	التهاب العصب	neuritis
اعتِضال	(انعِضال)	التهاب العضل	myositis
(افتِصال)	إنفصال	التهاب المفصل	arthritis
اجتِلاد	(انجِلاد)	التهاب الجلد	dermatitis
اشتِران	(إنشِران)	التهاب الشريان	arteritis
(اتِّراد)	انوِراد	التهاب الوريد	phlebitis
اغتِداد	(إنغِداد)	التهاب الغُدّة	adenitis
اجتِفان	(انجِفان)	التهاب الجفن	blepharitis

ويمكن ان تكون الافعال كالآتي : اقتَلَب ، انكَبَد ، انكَلأ ، امتَعى ، امتَعَد ، انقَصَب ، إندَمَغ ، انعَصَب ، إنعضَل ، افتَصل ، انجَلَد ، انشَرَن ، اتَّرَد ، انغَدَد ، انجَفَن .

ولقد وردت كلمات على وزن (افتعال وانفعال) في الكتب الطبيّة القديمة، فلقد استعمل الرازي في الكتاب المنصوري(١٦) الكلمات التالية: انتفاخ الاجفان ، انتشار (الناظر) ، ادّلاع اللسان ، اختناق الارحام .

واستعمل ابن سينا في القانون في الطب(٢١) الكلمات التالية :
الاختلاج (في امراض الاعصاب) ، التصاق الاجفان ، انقلاب الجفن ،

قروح الجفن وانحرافه ، الانتفاخ ، الانتشار ، انفجار الدم في الاذن ، اختلاج الشفة ، اندفاعات الاشياء ، اختلاف الاشياء (الاسهال) ، احتباس الثفل ، الاحتلام ، احتباس الطمث ، اختناق الرحم ، انتفاخ (الاظفار) .

وذكر البلدي في كتاب تدبير الحبالى والاطفال والصبيان (الّفه حوالي سنة ٣٦٨ هـ) . الاختلاف (الاسهال) ، الاعتقال (الاستمساك) (٦) .

ولكن كل هذه الكلمات ليست مشتقة من اسماء الاعضاء .

ان من المفيد وجود مصطلح يمكن صياغته ليدلّ على التهاب الانسجة او الاعضاء ويفي بالغرض ، ولكنه ليس من الممكن اشتقاق صيغة انفعال او افتعال في جميع الحالات .

تفعـــال

توجد كلمات كثيرة على صيغة تَفْعال ، ويمكن الاستفادة من هذه الصيغة في المصطلحات الطبية والعلميّة .

وكانت لجنة الطب وعلوم الحياة في المجمع العلمي العراقي قد انجزت عدداً من مصطلحات علم الأحياء وزّعت على السادة اعضاء المجمع في اواخر سنة ١٩٨٠ تضمنت مصطلحات على صيغة تَفْعال هي ((٢٦) ص٧٠ و ٧١) :

تَنْمائيّ (باستمرار النمو) accrescent

(التعريف : هي النباتات التي تستمر بالنمو بعد الإزهار او نمو الكأس بعد التلقيح pollination) .

تَرْكام (نموّ بالتراكم) accretion

(التعريف : النموّ باضافة مادّة جديدة من الخارج)

تَرْكاميّ accrete

(التعريف : ما يتكوّن بالتّرْكام) .

وكذلك قُبِلَت الصيغة في مصطلحات الفيزياء (٢٦) (فقد جاء في ص ٢٤) منها :

فَرضيّة التَّرْكام accretion hypothesis

فرضية ترى ان الارض نمت وكبرت بالتدريج نتيجة إضافة اجسام صلبة كالنيازك التي كانت تدور حول الشمس بادىء الامر ، ثم سحبتها قوة جذب الارض .

ويبدو من جميع هذه الامثلة ان كلمة التراكم لا تفي بالغرض .

وقدّم العضو الفاضل الشيخ محمد حسن آل ياسين في اواخر ١٩٨١ مذكرة الى لجنة الاصول في المجمع تضمّنت دراسة عن صيغة «تَفْعال» و «فِعّيلى» ، وقد استأذنّاه في ذكر ما يخصّ هذا البحث مما ورد عن صيغة تفعال بالمذكرة :

[قال سيبويه : هذا باب ما تُكَثِّر فيه المصدر من فَعَلْتُ فتُلْحِق الزّوائد وتبنيه بناءً آخرَ . . . ذلك قَوْلك في الهَذْر التَّهْذار وفي اللّعِب التَّلْعاب وفي الصَّفْق التَّصْفاق وفي الردّ التَّرْداد وفي الجَوَلان التَّجْوال ، والتَّقْتال والتَّسْيار . وليس من هذا مصدر فَعَّلْتَ ، فلمّا أردت التكثير بنيت المصدر على هذا (الكتاب – طبعة بولاق ٢ / ٢٤٥) .

وقال ابو سعيد معلِّقاً على كلام سيبويه : إعلم ان سيبويه يجعل التَّفْعال تكثيراً للمصدر الذي هو للفعل الثلاثي ، فيصير التَّهْذار بمنزلة قولك الهَذْر الكثير . والتَّلْعاب بمنزلة اللعب الكثير . وكان الفرّاء وغيره من الكوفيين يجعلون التَّفْعال بمنزلة التفعيل والالفَ عوضاً من الياء ، ويجعلون الف التكرار والترداد بمنزلة ياء تكرير وترديد . والقول ما قاله سيبويه لانّه يقال التَّلْعاب ولا يقال التلعيب . (المخصَّص لابن سيدة – ١٤ / ١٩٠ – ١٩١) .

وقال ابن سيدة : المصادر كلها على تَفْعال – بفتح التاء – وانّما تجيء تِفْعال في الاسماء وليس منها الكثير (المخصّص ١٤/١٩١) .

وسرد الزمخشريّ في مبحث المصادر كلمات وردت على هذا الوزن وقال : انه مما بُنيَ لتكثير للفعل والمبالغة فيه . (المفصّل ٢٢٢) .

وتلقى المعجميون قول سيبويه في المسألة بالتأييد والقبول ورووا ذلك في معجماتهم (يراجع على سبيل المثال تركيب (لعب) في العباب الزاخر ولسان العرب وتاج العروس) . وقال في لسان العرب : التَّفعال بناء موضوع للكثرة كَفَعَّالْتُ في فَعَلْتُ (مادة جول) ، وقال ايضاً : وهو بناء موضوع للتكثير . (مادة هيم) .

وقال ابن يعيش في شرح فصل التَّفْعال : هذا الفصل قد اشتمل على ما جاء مصدرُ فَعَلْتُ فيه على غير ما يجب له بأنْ زيدت الزوائد للايذان بكثرة المصدر وتكريره كما جاء فَعَّلْتُ – بتضعيف العَين لتكثير الفعل وتكريره ، وذلك في قولك في الهَذْر التَّهْذار . . . [اي] الهذر الكثير ، وقالوا في اللعب التّلعْاب وفي الصفق التّصفاق . . . فليس في هذه المصادر ما هو جارٍ على فَعَل ، لكن لما اردتَ التكثير عدلتَ عن مصادرها وزدتَ فيها ما يدلّ على التكثير ، فانّ قوة اللفظ تؤذن بقوة المعنى . . فهي مصادر جرت على غير افعالها . . . وقال الكوفيُّونَ : التَّفْعال – هنا – بمنزلة التّفعيل . ولا بأس به ، لان التفعيل مصدر فعّل وهو بناء كثرة ، فلم يأتوا بلفظه لئلاّ يُتَوَهّم انّه منه ، فغيّروا الياء بالالف وابقوا التاء مفتوحة » .

ونصّ شارح القاموس على انّ التَّفْعال بناء يدل على التكثير (على سبيل المثال – تراكيب (شرب) و (لعب) و (سير) و (هذر) في تاج العروس) . . .

ثمّ قال الشيخ محمد حسن آل ياسين : ونستطيع ان نلخّص النتائج على النحو الآتي :

١ــ ان الجميع متّفق على كون هذين المصدرين دالّيْن على الكثرة والمبالغة .

٢ــ ان الأمثلة المأثورة تشمل الافعال الصحيحة والمعتلّة .

٣ــ ان الكوفيين في ذهابهم الى كون التَّفعال بمنزلة التَّفعيل والألف عوضاً عن الياء ، لم يريدوا به انه مصدر فَعّل المضعّف العين كما قد يُشْعِر به كلام ابي سعيد ، وانما ارادوا بمنزلة ذاك من حيث الدلالة على الكثرة كما ذكر ابن يعيش .

٤ــ ان صريح كلام سيبويه . . . والزمخشري . . وابن يعيش . . . يدلّ على ان الصيغة قياسية وان الاشتقاق مسموح به لكل من يريد التكثير والمبالغة .

٥ــ وامّا ما يتمسك به بعضهم من انّ جواز القياس وعدمه مبنيّان على كثرة الورود عن العرب وقلّته ، وان ما كثر استعماله وروده جاز القياس عليه وما قلّ لم يَجُز ، فلا يصحّ ان يُعَدّ الدليل القاطع على نفي ما نحن بصدده . . لانّ الصيغ المُعَدّة للتعبير عن غرضٍ من الاغراض لا يشترط فيها كثرة الورود . . .]

ومن المفيد ان نذكر ما جاء في لسان العرب لابن منظور ((٢٨) ١٢ : ٦٩)

« قال السيرافيّ يجوز ان يكون من صفقِ الكفّ على الاخرى وهو التَّصْفاق ، يذهب به الى التكثير ، قال سيبويه هذا باب ما يكثر فيه المصدر في فَعَلْت ، فتُلْحِق الزوائدَ وتبنيه بناءً آخر ، كما انك قلت في فَعَلت فعّلت حين كثّرت الفعل ، ثم ذكرت المصادر التي جاءت على التَّفْعال كالتَّصفاق واخواتها ، قال وليس هو مصدر فَعَلْت ولكن لمّا اردت التكثير بنيت المصدر على هذا كما بنيت على فَعّلت ، وتصافَق القومُ عند البيعة . . . »

« تَفْعال » في مجمع اللغة العربية :

توصّل مجمع اللغة العربية في القاهرة إلى قرارين فيما يختصّ بصيغة (تَفْعال) :

القرار الاول : [يصَحّ اخذ المصدر الذي على وزن « تَفْعال » من الفعل للدلالة على الكثرة والمبالغة] .

صدر في الجلسة السابعة من الدورة العاشرة للمؤتمر في ١٩٤٤/١/٢٩، وبعد ١٨ سنة صدر القرار الثاني في الجلسة التاسعة من الدورة الثامنة والعشرين للمؤتمر وهذا نصه :

[تصحّ صياغة « التَّفْعال » للمبالغة والتكثير مما ورد فيه فعل ، طوعاً لما أقرّه المجمع في دورته العاشرة من قياسية صوغ مصدر من الفعل على وزن « التَّفْعال» للدلالة على الكثرة والمبالغة ، وكذلك تصح صياغته مما لم يرد فيه فعل ، طوعاً لما أقرّه المجمع في دورته الأولى من جواز الاشتقاق من اسماء الاعيان للضرورة في لغة العلوم] .

ومن المفيد ذكر المناقشات التي دارت حول الموضوع :

تُلِيَ في الجلسة الحادية والعشرين لمجلس مجمع اللغة العربية في القاهرة المنعقدة في ٢٩ / ٣ / ١٩٤٣ مقترَح الشيخ محمد الخضر حسين في شأن قياسية خمس صيغ عربية وهذا نصّه :

« كثيراً ما يجري في اثناء المناقشة بمجلس المجمع او ببعض اللجان ذكر جمع الجمع ، وجمع المصدر ، وصيغة فعيل ، وصيغة تِفعال ، وصيغة فعّل من حيث انها سماعيّة او قياسيّة ، وقد كنت قدمت في الجلسة الخامسة عشرة من الدورة الخامسة اقتراحاً بتقرير قياسية جمع الجمع وصيغة فعيل بمعنى فعول وصيغة تفعال ، واحال المجمع يومئذ الاقتراح على لجنة الاصول ، ولم تجتمع لجنة الاصول للنظر في ذلك الاقتراح بعد ، وأُضيف اليوم إلى تلك

الاصول الثلاثة أصلين آخرين هما قياسيّة صيغة (فعّل) وقياسية (جمع المصدر).

تَفعال :

يؤتى بتَفعال للمبالغة . قال الصبان في حواشي الأشموني : « هل هو سماعي ام قياسي ؟ قولان » . وقال صاحب التسهيل : « وقد يغنى في التكثير عن التفعيل تَفعال » . قال شارحه ابن أم قاسم « وظاهر كلام النحويين أنّه مقيس ، وقد نصّ بعضهم على انه مقيس » .

وحيث كان ظاهر كلام النحويين أن صيغة تفعال مقيسة ، ونص بعضهم على قياسيتها جاز للمجمع ان يقرّر صحة أخذ تفعال من الفعل ، عند الحاجة اليه » .

فقرر المجلس إحالة الاقتراح الى لجنة الاصول .

وبُحث المقتَرح في الجلسة السابعة من جلسات مؤتمر المجمع المنعقدة في ٢٩ / ١ / ١٩٤٤ فقال الاستاذ انستاس الكرملي : قرأت لسيبويه ان تفعال قياسي للكثرة ، والحق ان تفعيل اصله تفعال . وقال الاستاذ الشيخ احمد حمروش : المسألة فيها قولان : قول يرى ان تفعال اصله التفعيل ، وقول يرى ان التفعيل اصله التفعال . . .

وقال الاستاذ علي الجارم : . . . وهذا المصدر مع قياسيته عند جمهرة النحويين فهو خفيف النطق ، يدل على المبالغة ، ويُحتاج اليه كثيراً في المصطلحات العلمية كالطب وغيره من العلوم .

فقال الاستاذ الشيخ محمد الخضر حسين : تفعال لا يكون إلاّ للكثرة والزيادة ، كما في تشراب ، فهو يدل على الشرب الكثير .

وقال الاستاذ عبدالعزيز فهمي : ارى ان هناك فرقاً بين التفعيل والتفعال . ثم قال الدكتور منصور فهمي : في الصفحة ١٨٩ من السفر الرابع عشر من مخصّص ابن سيدة توضيح هذه المسألة . . . (فتلى ما ورد فيه) .

[وهذا هو ما ذكره ابن سيدة في المخصّص (٢٠) :

هذا باب ما تُكَثِّر فيه المصدر من فَعَلت فتُلْحِق الزوائد وتبنيه بناءً آخر : كما انك قلت في فَعَلْتَ فَعَّلْتَ حين كثّرت الفعل وذلك قولك في الهَدْر التَّهدْار وفي اللّعِب التَّلْعاب وفي الردّ التّرداد وفي الصَّفْق التَّصْفاق وفي الجَوَلان التّجوال والتَّقْتال والتَّسْيار ، وليس شيء من هذا مصدر فعّلْت ، ولكن لما اردت التكثير بنيت المصدر على هذا كما بنيت فَعَلْتَ على فَعَّلْتَ . قال ابو سعيد : اعلم ان سيبويه يجعل التَّفْعال تكثيراً للمصدر الذي هو للفعل الثلاثي فيصير التَّهْدار بمنزلة قولك الهَدْر الكثير والتَّلْعاب بمنزلة اللعب الكثير . وكان الفرّاء وغيره من الكوفيين يجعلون التَّفْعال بمنزلة التَّفْعيل والالف عوضاً من اليـــاء ، ويجعلون الف التَّكْرار والتَّرْداد بمنزلة ياء تكرير وترديد . والقول ما قاله سيبويه ، لانه يقال التَّلْعاب ولا يقال التَّلْعيب] .

وتمّت الموافقة على تَفْعال مصدراً للدلالة على الكثرة والمبالغة .

ما ورد على صيغة تَفْعال :

جاء في المخصّص لابن سيدة (٢٠) (السفر الرابع عشر ص ١٨٩ ، ١٩٠) :

التَّهْدار	التَّلْعاب	التَّرْداد	التَّصْفاق
التَّجْوال	التَّقْتال	التَّسْيار	التَّكْرار

ووجدنا في مصادر اخرى الكلمات التالية :

التَّشْراب	التَّنْقاد	التَّرْحال	التَّصْهال
التَّهْذار	التَّسْآل	التَّذْراف	التَّهْتان
التَّجْبار	التَّذْكار	التَّهْطال	التَّعْذال
التَّسْكاب	التَّعْتاب	التَّعْلاق	التَّطْياب
التَّهْمال	التَّسْجار	التَّحْنان	التَّعْداد

وفي باب الشين في القاموس المحيط (٢٣) وهو باب قصير :

التّحْراش التّرْشاش التّنْتاش التّهْواش التّخراش

واورد الشيخ محمد حسن آل ياسين (مفردات ما وقف عليه في المعجمات بلا استيعاب تام – لم يرد في النصوص المستشهد بها وعددها ١٣ نذكر منها ما لم يسبق لنا ذكره :

التّضراب التّاْماح التّعْقاد التّأخاذ
التّجْفاف التّوْكاف التّبْثاق التّغْساق
التّمْيال

فيكون ما وجد من المصادر على هذا الوزن ٤٢ مصدراً من دون استقصاء .

أمثلة من إستعمال المصدر :

ولدى مراجعة المعلقات السبع (١٩) وجدنا ان هذا المصدر يعني الاستمرار ، قال امرؤ القيس في معاقته :

الاربّ خصمٍ فيك ألوى رددتُه نصيحٍ على تَعْذاله غير مُؤْتَلِ

ويفهم منه استمرار العذل وكثرته .

ويظهر معنى الاستمرار في معلقة طرفة بن العبد اذ يقول :

وما زال تَشْرابي الخمورَ ولذّتي وبَيعي وإنفاقي طريفي ومُتْلَدي
إلى ان تحامتني العشيرة كلها وُافرِدتُ إفراد البعير المعبّد

ويفهم من البيتين انه استمرّ يشرب الخمر ويبيع ماله في اللذت إلى ان تجنّبته العشيرة كلها وعزِل مثلما يُعْزل البعير المطلي بالقَطِران .

وقال بعد ذلك :

ولكنّ مولاي امرؤ هو خانقي على الشكر والتّسْآل او أنا مُفْتَدِ
وظلم ذوي القربى اشدّ مضاضةً على المرء من وقع الحسام المهنّد

ويفهم منه انّ (مولاه قريبه) خانقه على كل حال : على الشكر وسؤال عفوه او الافتداء ، وان ظلمه وهو قريبه اشدّ من اي امر آخر .

وفي آخر بيت من معلقة زهير بن ابي سلمى ، يفهم من التسآل استمرار السؤال، قال :

سألنا فأعطيتم وعُـدْنا فعدتمُ ومن اكثر التَّسْآل يوماً سيُحرَمِ

وفي معلّقة عنترة ، يفهم من التّسكاب استمرار السكب :

سـحّاً وتَسْكاباً فكل عشيّةٍ يجري عليها الماء لـم يتصرّمِ

ومن شعر الاعشى (٢) (الديوان ص ٣٦١ و ٣٦٣) .

تُميـل جَثْلاً على المتنين ذا خُصَلٍ يحبو مواشطَه مسكاً وتَطْيابا

(طاب يطيب طاباً وطيبة وتطياباً لذّ وزكا ، ومنه الطّيب) . وقال :

وبات في دفّ أرْطاةٍ يلوذ بها يجري الرّبابُ على متنيه تَسْكابا

وقال ص (٧١) :

دراهمنا كلّهـا جيّـد فلا تَحْبِسنّا بتَنْقادها

وقال الفرزدق :

تنفي يـداها الحصا في كل هاجرة نفي الدراهيم تَنْقاد الصياريف

(النقد خلاف النسيئة ، وتمييز الدراهم وغيرها كالتنقاد والانتقاد والتنقّد واعطاء النقد ــ القاموس المحيط (٢٣)) .

وجاء في ديوان الخنساء (١٥) (ص ٥) :

يا عين مالَك لا تبكين تَسْكابا اذا راب دهر وكان الدهر ريّابا

وقولها (ص ٢٩) :

يا عين جودي بدمع منك تَهْمال وعبرة بنحيب بعد أعوال

وقولها (ص ٣٤) :

ليت شعري أو أشعرن أبى الجبر بما قد فعلت في الترحال

وقولها (ص ٣٨) :

فـان تلك مـرة أودت بـه   فقـد كان يكثـر تقتـالها

وقولها (ص ٥٨) :

لا تسمن الدهر في ارض وان رتعـت   فانمـا هي تحنـان وتسجار

ومن الامثلة التي جاءت في لسان العرب (٢٨) : (ج ٦ ص ٤٨١)

التَّسْيار تَفعالٌ من السَّيْر . وتَسْيار يُذْهَب بها إلى الكثرة . قال :

فألقت عصا التَّسْيار منها وخيَّمت   بارجاء عذب الماء ، بيضٌ محافره

وفي مادة « قطر » (ج ٦ ص ٦٠٤) . انشد :

كأنّه تَهْتان يومٍ ماطـر   من الربيع دائـم التقـاطـر

وفي مادة « مقت » عن ابن سيدة ، قال (ولا يذكر الشاعر) :

ومن يكثـر التَّسْآل يـا حرّ لا يزل   يُمَقَّتُ في عين الصديق ويَصْفَحُ

وذكر الجاحظ في «البيان والتبيين(١١)» لابن مناذر(ت ١٩٨هـ) ابياتاً منها قوله:

الـم يبلغك تَسْآلي   لدى العـلاّمة البِـرْتي

(وقال الشارح في ترجمته (ج ١ ص ٣٢ الحاشية) : ابو جعفر محمد بن مناذر كان شاعراً فصيحاً مقدّماً في العلم واللغة ، اماماً فيها ، اخذ عنه اكابر اهلها . . . عاش في البصرة ثم الحجاز) .

ومن الشعر الحديث قول حسن بن عبدالباقي الموصلي (١١٠٠–١١٥٧هـ/١٦٨٨–١٧٤٤م) ((١٤) ص ٤٨) :

كلانا بتَذْكار الاحبّةِ والع   وما الفت منّا الطباع التناسيـا

والذّكر بالكسر الحفظ للشيء كالتذكار .

وقوله (ص ٧٤) :

بسحاب رفدك روض سؤلي يانع   وغرفت حتى فاتني تَعْـدادُه

ومن الشعر المعاصر قول محمود سامي البارودي :

سواي بتَحْنان الاغـاريد يطـرب وغيري باللذات يلهو ويلعـبُ

وقول احمد شوقي (الشوقيات ج ٤ ص ١٩٢) :

وهبوني الحَمام لـذة سجع اين فضل الحمام في تحنانه ؟

ولدى استعراض باب الشين في القاموس المحيط (وهو باب قصير) ، وجدنا اربع كلمات على صيغة تَفْعال وهي :

١– حرَش الضبّ يحرشه حرشاً وتَحرْاشاً صاده كاحترشه ، وذلك بان يحرّك يده على باب جُحرْه ليظنّه حيّة ً فيخرج ذنبه ليضربها فيأخذه .

٢– للوّش ً نفض الماء والدم والدمع كالتَّرشاش .

٣– النّتْش كالضرب استخراج الشوكة ونحوها بالمنتاش للمنقاش وجذب اللحم ونحوه قرضاً والنّتف والاكتساب والضرب والدفع بالرجل ، وعيب الرجل سراً كالتّنْتاش .

٤– الَهوْش العدد الكثير ، والتّهاوش في الحديث جمع تَهْواش مقصور من التهاويش ، تَفعال من الهوش .

وذكر الجاحظ في كتاب الحيوان ((١٢) ٥ : ٤٠٨) ابيات جعفر بن سعيد التي يصف بها براغيث البصرة :

ظللت بـالبصرة في تهواش وفي براغيث ًاذاهـا فـاش

من ناخـر منها وذي اهتماش يرفـع جنبيّ عـن الفراش

فانا في حك ٍّ وفي تَخرْاش تترك في جنبيّ كالخراش

وزوجة دائمـة التهـواش تغلي كغلي المـرجل النّشاش

تأكل ما جمعت من تَهْباش بل ام ّ معروف خموش ناشي

لم يرد (تَخرْاش) في القاموس المحيط ، ولكنه لم يذكر المصادر فقد جاء فيه (خرشه يخرشُه خدشه) .

وكذلك (خد َشه يخدشُه خمشه) ولم يذكر مصدراً .

ثم (خَمَش وجهَه يخمِشُه ويخمُشُه خدشه ولطمه وضربه) ولم يذكر مصدراً .

ولم ترد تَهْباش وانما ورد الهبش والتهبيش وهو الكسب .

وهكذا نجد ستة مصادر على وزن (تَفْعال) في الشين وهو باب صغير.

ولابي العلاء المعرّي رسالة قصيرة في ما جاء على وزن تِفعال (بالكسر) من المصادر والاسماء نشرها الدكتور صلاح الدين المنجد ، (دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٩٨١) ووضع لها عنوان تَفْعال بالفتح .

وفيما يلي خلاصة الموضوع :

١- توجد كلمات كثيرة على صيغة تَفْعال ، ذكرنا منها ٤٢ كلمة من دون استقصاء .

٢- ذكر بعض علماء اللغة الثقات (مثل سيبويه وابي سعيد والزمخشري وابن يعيش) ان المصدر قياسي ويفيد التكثير والمبالغة . وورد في المعاجم مثل المخصّص لابن سيدة ولسان العرب لابن منظور والعباب للصغّاني والقاموس المحيط للفيروزابادي وتاج العروس للزبيدي .

٣- اقرّ مجمع اللغة العربية في القاهرة اجازة القياس على صيغة تفعال .

٤- تبيّن من مناقشات المجمع العلمي العراقي حول هذه الصيغة ان هناك عدّة آراء :

أ - ان الصيغة قياسية .

ب - ان مصادر الثلاثي سماعيّة .

ج - الوقوف في وزن تَفْعال على ورد منه في السماع ،واستقراء ما سمع على هذه الصيغة لعلّ فيه طبيعة غالبة تسوّغ النظر في امكان قياسه لما يراد به معنى تلك الصفة المشتركة ، وهذا موجود في كثير من المصادر الثلاثية مثل صيغة فَعَلان للحركة والاضطراب وفَعِيْل وفُعال للصوت وفُعْلة للون وفُعال وفَعَل للامراض .

د - اذا صحّ ان هيئات المشتقات موضوعة كموادها بالوضع النوعي كانت

المصادر من المشتقات قياسية ، فاذا وجد المصدر موضوع الحديث بالمقدار الذي يسوّغ القياس عليه ، ابيح ذلك .

٥ــ وعلى هذا نرى انّه يجوز للعلماء استعمال تَفْعال بمعنى خاص لانها قياسية او لانّ الوضع النوعي يجيز ذلك سواءً كانت الصيغة قياسيّة او سماعيّة . ونرى انها تفيد الكثرة والاستمرار .

ومن المصطلحات التي نقترحها على هذه الصيغة :

التَّضْغاط	(فَرْط الضغط)	hypertension
التَّحْماض	(فَرْط الحموضة)	hyperacidity
التَّنْساج	(فرط التنسجُ)	hyperplasia
التَّفْراز	(فرط الإفْراز)	hypersecretion
التَّنْشاط	(فرط النشاط)	hyperactivity
التَّأْلام	(فرط التألّم)	hyperalgesia
التَّقْياء	(فرط التقيّء)	hyperemesis
التَّعْراق	(فرط التعرُّق)	hyperhidirosis, hyperidrosis
التَّقْران	(فرط التقرّن)	hyperkeratosis
التَّحْراك	(فرط الحِراك)	hyperkinesia
تَدْهان الدم	(فرط دهن الدم)	hyperlipemia
التَّصباغ	(فرط التصبُّغ)	hyperpigmentation
التَّحْساس	(فرط التحسُّس)	hypersensitivity
التَّهْواء	(فرط التهوية)	hyperventillation

فعلـــون

توجد كلمات كثيرة على صيغة « فَعْلون » . وبعض هذه الاسماء قديمة جداً . وكثير منها مشرقي وكثير مغربي . وسنعرض ذلك بشيء من التفصيل :

١- جاءت اسماء على هذا الوزن في اخبار الغابرين ، فقد ذكر المسعودي في أخبار الزمان(٢٧)(ص ١٣٣) اسم الملك سوريد بن سهلون ملك مصر في عهد الفراعنة ، وجيرون الموتفكي (ص ٢٠٧) وثيرون وهو شعيب (ص ٢٤٤) .

ومن الاسماء في العراق القديم نذكر سرجون واسرحدّون .

وفي تاج العروس للزبيدي ((١٨) ٤ : ٢٥٢) مَيْسون اسم الملكة الزبّاء، وكذلك ميسون (بنت بحدل) بن انيف . . . ام يزيد بن معاوية .

٢- ومن اسماء المدن والمواضع في المشرق :

سَيْلُون - من قرى نابلس ، قديمة (٣١) (معجم البلدان ٣ : ٢٩٩).

عَجْلون - شرق الاردن .

قيْسون - موضع (معجم البلدان ٤ : ٤٢٢) .

قَيْمون - حصن بفلسطين (القاموس المحيط ومعجم البلدان ٤ : ٤٢٤)

بيت حَنّون - فلسطين.

اليامون ميرون

٣- ثم ان مدينة صيدا في لبنان اسمها بالكنعانية صَيْدون ((٣٠) ص ٦١) ، وهكذا تسمى الآن باللغة الانكليزية Sidon .

وجاء في القاموس المحيط (مادة ج ي ر) : جَيْرون بالفتح دمشق او بابها الذي بقرب الجامع . او منسوب الى الملك جَيْرون لانه كان حصناً له .

٤- ووردت اسماء الاشخاص التالية في كتاب التراريخ السريانية(٩) (التاريخ الثالث) :

جدعون	حشبون	ايلون
زبلون	عبرون	لبرون
شمشون	شمعون	كنعان والد صيدون

واسماء المواقع التالية :

حبرون	صيدون

٥ــ ومن الاسماء التي جاءت على صيغة فَعْلون في كتاب اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية(٣) :

شمعون (في القرن الرابع الميلادي ، ص ١٩٤ والسادس الميلادي ، ص١٦٧ و ١٦٩ و ٢٣٣ و ٢١٧ و ٢٥١ . ، وآخرون بهذا الاسم) .

كرشون (المائة التاسعة ، ص ٣٤٩) .

ابن وهبون الملطي (القرن الثاني عشر ، ص ٣٩٣) .

حسنون الرهاوي (طبيب ، القرن الثالث عشر، ص ١٦٣ و ٤٠٢) .

زينون (القرن الثاني عشر ، ص ٢٣٦) .

ابن خيرون (القرن الرابع عشر ، ص ٤٣٨ و ٤٣٩) .

يوحنا بن عبلون (ص ١٦٣) .

٦ــ ومن الاسماء في المشرق :

ابن ابي عصرون التميمي الموصلي (٤٩٣ ــ ٥٨٥ ﻫ) إمام في القراءات .

ابن ابي زهرون الموصلي (٦٢٢ ــ ٦٨٢ ﻫ) .

حمدونة بنت الرشيد (القاموس المحيط) .

وذكر الاستاذ عبدالله كنون في بحثه (٢٤) الاسماء التالية من المشرق :

بينون .

وميسون بنت الحارث الغسّاني ، وميسون زوج معاوية .

حمدون كثير، منهم حمدون القصـــار الصوفي وحمدون بن اسماعيل من ندماء المتوكل .

ابن سمعون واعظ بغدادي من اهل القرن الرابع، وآخر فلكي من الثامن.

ابن غلبون شاعر من صور وآخر من حلب من القرن الرابع .

ابن حكمون القضاعي صاحب احاديث الشهاب .

سمنون الموسوس من الصوفية .

زهرون بن حيون في نسب ابي اسحق الصابيء .

سعدون ابو عطاء من الصوفية .

عبدون جدّ ابي علي القالي .

ابن سحنون طبيب من دمشق ، وابن سحنون محدّث .

ابن عبسون محدث .

ابن خيرون المصري راوي ابن عبدالحكم ، وآخر محدث بغدادي .

وجاء في التاج انهم سمّوا فضلون ، وان عيشون علم لجماعة .

٧ـ وذكر الاستاذ عبدالله كنون (٢٤) الاسماء التالية من المغرب والاندلس:

ابن خلدون (المؤرخ المشهور) .

ابن حفصون وابن حمدون الثائران في الاندلس .

ابن زيدون وابن وهبون وابن عبدون شعراء معروفون .

ابن فرحون الفقيه من اهل القرن الثامن .

ابن فتحون له ذيل على الاستيعاب لابن عبدالبر .

ابن خلفون من رجال الحديث في القرن السادس .

خزرون بن عبدون من ملوك الطوائف .

ابن سلمون فقيه من القرن السابع .

ابن بدرون شارح قصيدة ابن عبدون .

سحنون الفقيه المشهور مؤلف المدونة .

ابن حزمون شاعر اندلسي من القرن السابع .

ابن غلبون محدث من صقلية ، وابن غلبون امير الزاب للفاطميين .

ابن عرضون فقيه من المغرب .

ابن رحمون نسابة مغربي

ابن فرتون من الاندلس ، وآخر عالم من المغرب ؛

ومن النساء : نزهون شاعرة اندلسية وريسون في المغرب .

وقال الاستاذ حامد عبدالقادر (١٣) تحت عنوان « صيغة فَعْلون في غير اللغة العربيّة من اللغات السامية » : (وردت هذه الصيغة في بعض اللغات السامية الاخرى بصور مختلفة اكثرها فِعْلون بكسر الفاء وإمالة الضمة الطويلة)، وذكر امثلة بفتح الفاء وكسرها وضمها .

وذكر ياقوت في معجم البلدان (٣١) اسماء كثيرة يمكن ان يكون وزنها على (فَعْلون) واشار إلى التي اصلها غير عربي انها كذلك ، فتكون الاخرى عربية على الارجح . فعندما ذكر (شقيف ارْنون) قرب بانياس (ج٣:٣٥٦) قال ارنون اسم رجل إمّا روميّ وإما افرنجي . وقال: « جَيْحون بالفتح ، وهو اسم اعجميّ وقد تعسّف بعضهم فقال هو من جاحه إذا استأصله ، ومنه الخطوب الجوائح ، سمّي بذلك لاجتياحه الارضين ... (ج٢ : ١٩٦) . وقال عن سَيْحون انه نهر مشهور كبير بما وراء النهر ... (ج٣:٢٩٤) . وزَرْكون ناحية من اذربيجان يمرّ بهـا الزاب الاعلى (ص ١٣٨) . وزَيْكون من قرى نسف قرب سمرقنـد (ص ١٦٤) . ونَقْبون ونَكْبون من قرى بخارى (ج ٥ : ٢٩٨ و ٣٠٣) . وهَتْرونة ناحية بالاندلس من بطن سرقسطة (٥ : ٣٩٢) .

ان الاسماء على صيغة فعلون كثيرة ، فمثلاً في مادة (جبر) في تاج العروس للزبيدي (١٨) ج٣ . ص ٨٧ نجد الاسماء الآتية :

جبرون بن عيسى البلوي حدث عن سحنون الفقيه ، وجبرون بن سعيد الحضرمي قاضي الاسكندرية ، وجبرون بن عبدالجبار بن واقد سمع ابن عيينة ، وجبرون بن واقد الافريقي ، وعبدالوارث بن سفيان بن جبرون من اشياخ ابن عبدالبرّ ، محدّثون .

ومن بين الأطبّاء الذين في نسبهم اسم على صيغة فعلون نذكر :

ابن بطلان : واسمه ابو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون ،

وابو بكر بن سمجون طبيب اندلسي من القرن الرابع الهجري (عيون الانباء (١) ص ٢٢٥ و ٥٠٠) .

ولقد وجدنا في الخزانة العامة للمخطوطات بالرباط كتباً لاطباء اسماؤهم على صيغة فَعْلون : محمد بن يوسف بن خلصون مؤلف قلائد العقيان في صحة بدن الانسان ، وعبدالقادر بن احمد بن العربي ابن شقرون الفاسي مؤلف المنظومة الشقرونية في الطب ، واحمد بن محمد بن حمدون بن الحاج السلمي المرداسي الفاسي مؤلف الدرر الطبيّة المهداة للحضرة الحسنيّة .

وفي المجمع العلمي العراقي مصورة (رقم ٦٨٥) الادوية المفردة تأليف ابي بكر بن حامد ابن سيمون .

ومن الاسماء الموصلية :

ابو الفتح عثمان بن عيسى بن منصور بن هيجون ، تاج الدين البليطي الموصلي ثم المصري ، نحويّ توفي سنة ٥٩٩هـ،وابن ابي عصرون التميمي الموصلي ، امام في القراءات (٤٩٢ ــ ٥٨٥ هـ)،وابن ابي زهرون الموصلي (٦٢٢ ــ ٦٨٢ هـ) .

الكلمات على وزن فَعْلون :

١ ــ اسماء اشخاص عددها ٦٠ ، منها ٤ نساء أُشير اليهنّ بنجمة (*)

اَيْلون	بَدْرون	بَيْضون	
جَبْرون	جَدْعون	جَيْرون	حَبْشون
حَزْمون	حَسُّون	حَسْنون	حَشْبون
حَفْصون	حَكْمون	حَلْبون	حَمْدون
حَمْدونة*	حَنّون	حَيُّون	خزرون
خلدون	خلصون	خَلْفون	خَيْرون
رَحْمون	رَهْبون	رَيْسون*	رَغْبون
زَبْلون	زَهْرون	زَيْدون	زَيْنون
سَحْنون	سَعْدون	سَلْمون	سَمْجون
سَمْعون	سَمْنون	سَوْدون	سَيْمون
شَقْرون	شَمْشون	شَمْعون	صَيْدون
عَبْدون	عَبْرون	عَبْسون	عَرْضون
عَصْرون	عَيْشون	غَلْبون	
فَتْحون	فَرْتون	فَرْحون	فَضْلون
كَرْشون	لَبْرون		
مَيْسون*	نَزْهون*	هَيْجون	وَهْبون

٢ــ اسماء مدن او مواضع وعددها ١١ :

بيت حَنّون	بَيْنون	بَيْنونة	جَيْرون
حَبْرون	سَيْلون	صَيْدون	عَجْلون
قَيْسون	قَيْمون	هَتْرونة	

ويمكن ان يلحق بها كلمتا : بَيْتونة (من بيت) ودَرْبونة (من درب)

٣ـ اسماء نباتات (٣) :

بَيْبون	زَيْتون	كَمُّون

وهكذا فيكون مجموع الكلمات على صيغة فَعْلون بعد حذف التكرار ٧٣ كلمةً دون استقصاء .

إن لكل كلمة على هذا الوزن صلةً بالاصل الذي جاءت منه ، فالعلاقة بين الزيت والزيتون واضحة في الآية الكريمة : (. . . يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقيّة ولا غربيّة ، يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار . . .)

ونذكر على سبيل المثال الأصل والاشتقاق في الكلمات الآتية :

جبر	جَبْرون
حسن	حَسُّون
حمد	حمدون
خلد	خَلْدون
خير	خَيْرون
رغب	رَغْبون
رهب	رَهْبون
زَهر	زَهْرون
زيد	زَيْدون
سعد	سَعْدون
سمع	سَمْعون
شمع	شَمْعون

عبـــد	عَبْـــدون
غلـــب	غَلْبـــون
ميس	مَيْســـون
وهـــب	وَهْبـــون

وخلدون اصله خالد . قال المقريزي في درر العقود الفريدة في ترجمة ابن خلدون (٢٨) المؤرخ المعروف : « عبدالرحمن بن محمد . . . بن عبدالرحمن بن خلدون ، ابو زيد ولي الدين الحضرمي الاشبيلي ، كذا املى عليّ نسبه ، وأحال علي ما ذكره ابن حزم في كتاب الجمهرة » . وينقل عن ابن حزم ذكره لبني خلدون الاشبيليين « في جمهرة الانساب » منهم (. . . ابنا عثمن بن عثمن بن خالد المعروف بخلدون الداخل من المشرق ... والفيلسوف المشهور ابو مسلم عمر . . . بن عثمان بين خالد الداخل وهو خلدون . . .) ، ويقول المقريزي : « ويغلب على الظن ان بين عبدالرحمن وبين خلدون عدة آباء ، فان خلدون إمّا ان يكون قـــدومه من المشرق على الاندلس في الفتح فيكون دخوله سنة اثنين وتسعين من الهجرة واما ان يكون دخوله مع طوالع بلج وذلك في سنة اثنين وعشرين ومائة ... لما دخل خلدون الى الأندلس نزل ... »

وجود الصيغة

لقد وردت كلمات كثيرة على صيغة (فَعْلون) في العصور القديمة وفي الجاهلية وبعد الإسلام في المشرق والمغرب ، ذكرنا عدداً كبيراً منها ، وهذه تثبت وجود الوزن وان لم يرد ذكره بين الاوزان في الكتب التي ذكرت الاوزان ، ولا يجب ان يكون ذلك سبباً لاهمال هذا الوزن ، فان الأوزان جُمِعت في المؤلّفات مما استعمله العرب ، ولم تكن هي الاصل انما مفردات اللغة هي الأصل . ولقد اشارت بعض المصادر المهمة عند ذكر بعض الكلمات انّها على صيغة فَعْلون، مما يثبت وجود الوزن وان لم يذكره المؤلفون في ابواب الاوزان .

ان وجود الوزن فعلاً يؤدي إلى استعماله والاّ لما ذكرته المصادر واكتفت بذكر الاسماء او الكلمات دون الاشارة إلى انها على وزن (فعلون) .

لقد اشار بعض المؤلفين الى صيغة فَعْلون : فقد قال ابو عبيد البكري (٥) بينون بفتح اوّله على وزن فعلول (وفي الحاشية في (نسخة) ق فعلون) موضع باليمن . . . وبَيْنونة على لفظه بزيادة هاء للتأنيث موضع في شق سعد بين عُمان ويَبْرين) .

وقال : « جَيْرون بفتح اوله واسكان ثانيه بعده مهملة على وزن فعلون او فيعول . . . ومن قال وزن جيرون فعلون فهو من لفظ جير ، ومن قال وزنه فيعول فهو من جرن على الامر اي مرن ، وهذا القول اقرب إلى الصواب . . . »

ومن المفيد ان نبيّن انه جاء في مادة « جير » في القاموس المحيط : « جَيرون بالفتح دمشق او بابها الذي بقرب الجامع ، او منسوب إلى الملك جَيْرون لانه كان حصناً له » . وجاء في معجم البلدان (٢ : ١٩٩) : جَيْرون عند باب دمشق ، وقيل ان اول من بنى دمشق جيرون بن سعد بن عاد . . . وبه سمّي باب جيرون . وقال آخر من اهل السير انّ حصن جيرون بدمشق بناه رجل من الجبابرة يقال له جَيْرون في الزمن القديم . . . وقال الغوري جيرون قرية الجبابرة في ارض كنعان ، وقد اكثر الشعراء القدماء والمحدثون من ذكره . .

وقال الزبيدي في تاج العروس (ج ٤ ص ٢٥٢) : و (الميسون) بالفتح (الغلام الحسن القدّ والوجه) فعلون من ماس يميس ، وقيل فيعول من مسن فمحل ذكره النون . (وميسون اسم الزباء الملكة) هكذا نقله الصاغاني وقد تقدم ذكرها في ز ب ب . قال الحرث بن حلزة :

اذا حلّ العلاة قبة ميســـــو ن فأدنى ديارهـــا العوصـــاء

والميسون في اللغة للمياسة من النساء وهي المختالة ، وهو في المثل الذي لم يحكه سيبويه كزيتون ، قال الازهري وهذا البناء على هذا الاشتقاق غير معلوم ، وحكاه كراع في باب فيعول واشتقه من المسن، قال ولا ادري كيف ذلك . (وميسون بنت يجدل) بن انيف . . . (ام يزيد بن معاوية) . . .

قال ابن منظور : [زيت : ابن سيده الزيت معروف عصارة الزيتون ، والزيتون شجر معروف والزيت دهنه . واحدته زيتونة هذا في قول من جعله فعلوناً . . . قال ابن جنّي : هو مثال فائت ، ومن العجب ان يفوت الكتابَ وهو في القرآن العزيز وعلى افواه الناس . . . يقال للشجرة نفسها زيتونة واثمرتها زيتونة والجمع الزيتون . . .

وبعد ان يتكلم الزبيدي عن الزيت والزيتون يقول : ونسب شيخنا هذا القول يعنى زيادة النون إلى السيرافي ، وقيل هو الظاهر وعليه مشى الجوهري والزمخشري وتبعهما المجد (اي الفيروز ابادي) وكفى بهما قدوةً . وقال بعضهم بان النون هي الاصل وان الياء هي الزائدة بين الفاء والعين ، وعليه فوزنه فيعول ومحل ذكره حينئذ النون .

قال وفي شرح الكافية الزيتون فيعول لما حكاه بعضهم عن العرب من قولهم ارض زتنة وقال ابن عصفور في كتاب الممتع : واما زيتون ففيعول كقيصوم وليست النون زائدة بدليل قولهم ارض زتنة اي فيها زيتون . وايضاً تؤدي الزيادة إلى إثبات فعلون وهو بناء لم يستقر في كلامهم . قلت واما هذا فقد عرفت ما فيه من الاستبعاد عن كلامهم ابن منظور] ويظهر من هذا ان الزبيدي يؤيد صيغة فعلون .

ان اضافة الحروف لتكوين صيغ جديدة امر من صميم اللغة العربية وعام فيها ، فاضافة (الالف والنون والياء والنون) للتثنية، واضافة (الواو والنون والياء والنون) لجمع المذكر السالم والملحق به ، وكذلك اضافة (الالف والتاء)

لجمع المؤنث السالم امر معروف . وكذلك وجود (الواو والنون او الالف والنون او الياء والنون) في الافعال الخمسة ، واضافة (الياء والتاء المربوطة) في المصادر الصناعية ، والهمزة للتأنيث أمر إعتيادي .

ثم ان صيغة (فَعَلوت) فيها التاء زائدة ، فالجَبَرَوت من الجبر ، ومَلَكوت من الملك، ورَهَبوت من الرهبة ، ورَغَبوت من الرغبة،ورَحَموت من الرحمة . (تاج العروس . ج ٣ ص ٨٣ مادة جبر)

إن الاعتراض على القياس على هذه الصيغة أو تلك ليس سبباً في العدول عن ذلك ، فلقد اختلف الكوفيّون والبصريّون في امور اللغة الاساسية ، وما زال الاختلاف قائماً بين اتباع هاتين المدرستين ، واختلف ائمة اللغة في كثير من الامور ، مئات من السنين وهذا أمر لا مفرّ منه ، فليس من الممكن الاجماع في هذه الامور ، ولم يملك ولا يملك ايّ من علماء اللغة سلطة فرض رأيه على مستعملي اللغة فيما لا اجماع عليه .

ان القياس على المسموع في اللغة امر مطّرِد في جميع العصور ،وان الحاجه الى المصطلحات الطبية والعلمية الكثيرة توجب الاستفادة من ذلك .

ما هي دلالة الصيغة

يبدو من الاستعمال السائد الآن أنهــا تعني التحبيب أو التصغير ، فتراهم ينادون من اسمه سعيد: « سعدون »، ومن اسمه حامد او حميد : «حمدون»، ومن اسمه زيد : « زيدون » تحبّباً .

ولقد اشار إلى ذلك محقّق كتاب نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة للتنوخي ، فقد جاء فيه ((٧) ج ٢ ص ١٩٨) : كان بمدينة السلام شاطر يعرف بابي عيشونة. وكتب المحقّق في الحاشية : عيشونة اصلها عائشة، خفّفت إلى عيشة ثم اضيف اليها الواو والنون للتصغير تحبّباً مثل زيدون وحفصون . وفي بغداد يقوّلون للصغير زغيرون .

كما يستعمل الناس (دربونة) للدَّرْب الصغير، و (بيتونه) للبيت الصغير اي الغرفة الصغيرة التي تكون عادة عند سطح الدار) . والبيت (هو الغرفة ، القاموس المحيط والاستعمال في الموصل سابقاً وفي المغرب حالياً) .

وتوصل الاستاذ عبدالله كنون في بحثه عن هذه الصيغة الى ما يلي(٢٤): (فقد ظهر من هذا ان اسم خلدون وما اشبهه اسم عربي اصيل، وانه ليس من صوغ عرب الاندلس على صيغة التكبير الاسبانية، وانّه ممّا سُمّي به في المغرب والمشرق على السواء، وان بعض افراده سُمّي به في عصر الجاهليّة فما بعده قبل افتتاح الاندلس ، وانه يفيد التعظيم بدلالته الجمعية في الأصل . . .).ويبدو لنا انه كان متأثراً برأي المستشرق دوزي في انه يفيد التعظيم ، ولكن دون الاستناد الى القاعدة الاسبانيّة لتعليل ذلك .

وفي المناقشة التي جرت في مجمع اللغة العربية في القاهرة قال الدكتور مراد كامل ان الواو والنون ربما كان تصغيراً كما هي في كثير من اللغات السامية ، وبعض هذه اللغات قياسي فيه (الواو والنون) للتصغير . . .) واستنتج حامد عبدالقادر (١٣) انه قد دل البحث على ان زيادة الواو والنون في آخر الكلمة تكون في الغالب للدلالة على المكان او على التعظيم او التكبير . وقد تكون لغير هذا او ذاك . . .

وفي اللغة السريانيّة يضاف واو ونون أو واو وسين الى نهاية الكلمة لتصغيرها والأخيرة أقل استعمالاً من الواو والنون (٧) ص ٦٧.

مصطلحات مقترحة على صيغة فَعْلون :

يمكن وضع كثير من المصطلحات الحديثة في الفيزياء مثلاً وغيرها (وبعضها يستعمل في علوم كثيرة) على صيغة فَعْلون ، وبهذا نضع كلمات مفهومة بدل استعمال الكلمات الدخيلة كما هو شائع الآن . ونذكر فيما يلي عدداً من المصطلحات المقترحة التي قد تبدو غريبةً لاوّل وهلة ولكنها اقرب إلى السمع

والى الفهم من الكلمات الدخيلــة . ووضعنا معها تعريفات قصيرة لربط المعنى باللفظ اعتمدنا بها على معجمات علمية باللغة الانكليزية (٣٢ و٣٣ و٣٤) :

سَلْبُون (negatron) e - electron

جُسَيْم ابتدائي ذو شحنة سالبة .

سَلْبون موجب positron (positon, positive electron) e+

نَوَيُون (من اللاتينية nucleus نواة) nucleon

يشمل العَدْلُون والوَجْبُون ، وهما المكوّنان الرئيسان لنواة الذرّة .

وَجْبُون proton

جُسَيْم ابتدائي موجَب الشّحنة .

عَدْلُون (من اللاتينية neutralis متعادل) neutron

جُسَيْم ابتــدائي متعادل كهربائياً (دون شحنة) وكتلته بقــدر كتلة الوَجْبون .

عَدْلوناء neutrino

جُسَيْم مِن دون شحنة او كتلة راحة . وقلّما يتفاعل مع المادّة .

وَسْطون (من اليونانية mesos وَسَط) meson

جُسَيْم ابتدائي وكتلة بين كتلتي السّلْبون والوَجْبُون .

دَقُّون (من اليونانية leptos دقيق ، نحيف) lepton

جسيم ذو كتلة صغيرة مثل السّلْبُون او السّلْبون الموجب أو العَدْلوناء ، وهو اصغر من كتلة الوَجْبون .

ثَقْلون (من اليونانية barys ثقيل) baryon

يشمل النَوَيُون والفَرْطون .

فَرْطون (من اليونانية hyper فــوق ، مفرط) hyperon

جسيم ابتدائي اثقل من العَدْلون .

جَذْبون graviton

الكَمّ الابتدائي لحقل الجذب .

ضَوْءون (من اليونانية photos ضؤ) photon

كمّ الضؤ المرئي . (light quantum)

صَوْتون (من اليونانية phone صوت) phonon

كمّ صوتي .

خَلّون (acetic + Ketone) acetone مادة كيمياوية مشتقّ اسمها من الخلّ .

كَلَيْوُن (neuter ending) on + باليونانية nephron كلية) nephros

الوحدة التشريحية والوظيفية للكلية .

عَصْبُون (باليونانية عصب) neuron .

أيّ من الخلايا الموصّلة في الهجاز العصبي ·

شَجْرون dendrite و(باليونانيـة dendron شجرة) dendron

احدى الاستطالات من هَيوُلى العصبون الشبيهة بالخيط .

ان الذي نرجوه ان ينظر المعنيون بالمصطلحات الطبية والعلمية الى الصيغ التي ذكرناها في هذا البحث نظرة فاحصة ويحاولون الاستفادة منها . والله وليّ التوفيق .

الدكتور محمود الجليلي

المصادر

١ـ ابن ابي اصيبعة ـ موفق الدين احمد بن القاسم

عيون الانباء في طبقات الاطباء ، تحقيق نزار رضا ، بيروت ١٩٦٥ .

٢ـ الاعشى ـ ميمون بن قيس (ت ٧ هـ / ٦٢٩ م)

ديوان الاعشى الكبير ـ تحقيق م. محمد حسين المطبعة النموذجية القاهرة ١٩٥٠ .

٣ـ برصوم ـ افرام
كتاب اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية ، ط ٣ ، مطبعة الشعب ، بغداد ١٩٧٦ .

٤ـ البقلي ـ محمود رشدي
معجم طبي فرنسي وعربي ـ المطبعة المشرقية ، باريس ١٢٨٦ هـ (١٨٦٨م) نقلاً عن شرف (٢٢) .

٥ـ البكري ـ ابو عبدالله بن عبدالعزيز (ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٥ م) .
معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع . ، تحقيق مصطفى السقا . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٤٥ ، ج ٣ص ٢٩٨ .

٦ـ البلدي ـ احمد بن محمد
كتاب تدبير الحبالي والاطفال والصبيان . . . تحقيق محمود الحاج قاسم ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٨٠ .

٧ـ التنوخي ـ ابو علي المحسن بن علي (ت ٣٨٤ هـ /٩٩٣م)
نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ، تحقيق عبود الشالجي ، دار صادر بيروت ، ج٢ ص ١٩٨ ، ١٩٧٣ و ج ٥ ص٢٨ ، ١٩٧٢ .

٨ـ التهانوي ـ محمد علي
كشاف اصطلاحات الفنون ، تحقيق لطفي عبدالبديع ، ج١ و ٢ ، المؤسسة المصرية العامةللتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٦٣ م .

٩ـ تواريخ سريانية
ترجمة الدكتور يوسف حبّي ـ من مطبوعات المجمع العلمي العراقي ـ الهيئة السريانية ـ مطبعة جامعة الموصل ، الموصل ١٩٨٣ .

١٠ـ ثابت بن قرّة (٢١١ ـ ٢٨٨ هـ / ٨٢٥ ـ ٩٠٠ م)
كتاب الذخيرة في علم الطب ـ تحقيق الدكتور صبحي ، المطبعة

الاميرية ، القاهرة ١٩٢٨ .

١١ــ الجاحظ ــ ابو عثمان عمرو بن بحر
البيان والتبيين ــ تحقيق حسن السندوبي ،ط٢ ، المكتبة التجارية الكبرى مصر ١٩٣٢ ج١ : ٣٢ ، ٢ : ١٧١

١٢ــ الجاحظ ــ أبو عثمان عمرو بن بحر .
الحيوان ــ تحقيق عبدالسلام محمد هارون ــ نشر المجمع العلمي العربي الإسلامي ــ ط ٣ ج ٥ ، بيروت ١٩٥٩ .

١٣ــ حامد عبدالقادر
صيغة فعلون في غير اللغة العربية من اللغات السامية ــ مجلة مجمع اللغة العربية ، ، الجزء ٢١ ص ٦٦ ــ ٦٨القاهرة ، ١٩٦٦ .

١٤ــ حسن عبدالباقي الموصلي (١١٠٠ــ ١١٥٧هـ/ ١٦٨٨ ــ ١٧٤٤م)
ديوان حسن عبدالباقي الموصلي ــ نشره محمد صديق الجليلي ، مطبعة الجمهورية ، الموصل ١٩٦٦ .

١٥ــ الخنساء ــ تماضر بنت عمرو (ت ٢٤ هـ / ٦٤٦ م)
ديوان الخنساء ، مطبعة التقدم التجارية ، القاهرة ، ١٣٤٨ هـ .

١٦ــ الرازي ــ ابو بكرمحمد بن زكريا (٢٥١ــ٣١٣هـ / ٨٦٥ ــ ٩٢٥ م)
المنصوري في الطب (مخطوط في مدرسة يحيى باشا الجليلي في الموصل)

١٧ــ رشدي ــ زكية محمد .
السريانيّة ، نحوها وصرفها ــ دار الثقافة للطباعة والنشر ط٢ ، القاهرة ١٩٧٨ .

١٨ــ الزبيدي ــ محمد مرتضى الحسيني (١١٤٥ــ١٢٠٥ هـ/ ١٧٣٢ــ١٧٩١م)
تاج العروس من جواهر القاموس ــ ج ٢ ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ١٣٠٧ هـ ، (طبعة اوفست)

١٩- الزوزوني - ابوعبدالله الحسيني بن احمد (ت ٤٨٦ هـ / ١٠٩٢م)
شرح المعلقات السبع - تحقيق محمد علي حمدالله - المكتبة الاموية ، دمشق ١٩٦٣ .

٢٠- ابن سيدة - ابو الحسن علي بن اسماعيل (٣٩٨-٤٥٨ هـ / ١٠٠٧ - ١٠٦٦ م) .
المخصَّص ، المطبعة الاميرية ببولاق ، السفر الرابع عشر ، ط ١ ، مصر ١٣٢٠ هـ .

٢١- ابن سينا - ابو علي الحسين بن علي
القانون في الطب ، مجلّدان ، دار الطباعة (بولاق) ، مصر ١٢٩٤ هـ

٢٢- شرف - محمد
معجم العلوم الطبية والطبيعيّة ، ط ٢ ، المطبعة الاميرية، القاهرة ١٩٢٨.

٢٣- الفيروزابادي - مجدالدين محمد بن يعقوب (٧٢٩ - ٨١٧ هـ / ١٣٢٩ - ١٤١٥ م) .
القاموس المحيط والقاموس البسيط ، المطبعة المصرية ط ٣ ، القاهرة ١٩٣٣ و ١٩٣٥ .

٢٤- كنون - عبدالله
هل اسم خلدون ونحوه مكبّر على الطريقة الاسبانيّة-البحوث والمحاضرات الدورة ٣١ - مجمع اللغة العربية بالقاهرة.١٩٦٤-١٩٦٥ ، ص ٤٣-٥١.

٢٥- مجمع اللغة العربية في القاهرة .
مجموعة القرارات العلمية من الدورة ١ إلى ٢٨ ، القاهرة ١٩٦٣ .

٢٦- المجمع العلمي العراقي
مصطلحات علمية ، مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد ، ١٩٨٢ .
مصطلحات علم الاحياء ص ٧٠ و ٧١ من الترقيم العام ص ٨ و ٩ من

الترقيم الخاص بعلم الاحياء . مصطلحات الفيزياء ص ٢٤ من الترقيم العام ص ٨ ، ٩ من الترقيم الخاص .

٢٧- المسعودي - علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٦ م) .
اخبار الزمان ومن اباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران ، مطبعة حنفي ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٣٨ .

٢٨- ابن منظور - جمال الدين محمد بن مكرّم الانصاري (٦٣٠ -٧١١هـ / ١٢٣٢ - ١٣١٠ م) .
لسان العرب الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصوّرة عن طبعة بولاق مصر : ١٣٠٨ هـ ، ج ٦ (سير ،، قطر)

٢٩- المقريزي - تقي الدين احمد بن علي
ترجمة ابن خلدون في درر العقود الفريدة - نشرها محمود الجليلي - مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد ١٣ ص ٢٠١ - ٢٤٦ ، بغداد ١٩٦٥

٣٠- ولفنسون ، أ .
تاريخ اللغات السامية . طبعة (بالأوفست) ١٩٨٠ .

٣١- ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م)
معجم البلدان خمسة اجزاء ، دار صادر ودار بيروت ، بيروت ١٩٥٧.

٣٢-
Dorland's Illustrated Medical Dictionary.
W. B. Sunders Co., U. S. A. 26thed., 1981.

٣٣-
Mc Graw - Hill Dictionary of Physics and Mathematics ed. D. N. Lapedes, 1978.

٣٤-
Elseviers Dictionary of Nuclear Science and Technology, in Six Languages - W. E. Clason Elsevier Publishing Co., Amsterdam, 2nd ed. 1970.

المصطلح العلمي ووحدة الفكر

الدكتور جميل الملائكة

الأستاذ بجامعة بغداد

(عضو المجمع)

(١) اللغة خاضعة لسنّة النمو والتطور

لاجدال في ان كل لغة حية في مجتمع نام متطور يجب ان تخضع لسنّة النمو وسنة التطور :

فهي يجب ان تنموَ لأن ذلك من علائم الحياة ، ولأن حياة اللغة متصلة بحيوية الفكر الانساني وتقدمه ، فهي اداة تفكيره ووسيلة تعبيره ، وتوقفها عن النمو معناه سبيلها الى الفناء والزوال ، مثلما يقود ركود الفكر نحو التخلف والضمور والاضمحلال . ونموُّ اللغة يعني تزايداً مستمراً في محتواها من المصطلح الحضاري والعلمي للوفاء بمتطلبات التقدم العلمي والتقني والحضاري ، وهي متطلبات تتنامى يوما بعد يوم . ومن هنا نجد معجمات العالم المتقدم اليوم غير ما كانت عليه في مطلع القرن الماضي مثلا . فالانكليزية – على سبيل المثال – اضيف اليها باستمرار الفاظٌ جديدة مثلُ

vitamin, radio, telephone, radar, adsorption, television , isotopes, transistor, helicopter, plutonium,

وكثير سواها من المصطلحات . وعلى غرار ذلك لابد من استمرار نمو المفردات في لغتنا العربية لتضمّ مقابلات لهذه المصطلحات وآلافاً اخرى من المصطلحات الجديدة ، على غرار (الهاتف) و (المذياع) و (النظائر) و (الامتزاز) و (التنافذ) و (الطائرة العمودية)و (المكبحة)و (العادم) و (الحذّافة)

و (الحادلة) و (الكرّاءة) و (براءة الاختراع) و (التأمين) و (المسدس) و (الرشاشة) و (الغواصة) و (البارجة) و (الباخرة) و (المقطورة) و (المستوصف) و (المحافظة) و (المؤسسة) و (المصلحة) و (المنشأة) وامثالها مما لم يوجد في معجمنا القديم .

واللغة يجب ان تتطور لان التطور سنة الحياة ، ولان متطلبات الحياة اليومية تتجدد باستمرار لعواملَ مختلفة أقلها أنّ الكثير من المفاهيم والوسائل والادوات قد يصبح بدائياً بمرور الزمن فيزول ويحُلّ سواه محلّه . ويتبع ذلك ان الفاظا كثيرة قد يتضاءل استعمالها ، مثلَ (الدِّمنة) لآثار الدار المهجورة . و (النُّؤْي) للخندق يحفر حول الدار لمنع السيل . ومنها ما يكاد يهجر ويصبح في عداد الكلمات المماتة ، ومن ذلك آلاف الالفاظ المهملة التي لا نكاد نجدها الا في المعجمات الكبيرة والقديم من مأثور الكلام ، مثلُ (الشُّنْتُرة) للاصبَع ، و (السّلْءِ) للضرب، و (الزُّعبولة) للخرقة الممزقة ، و(الطِّنْءِ) للمنزل ، و (الشّماقة) للنشاط ، و (الشّرَنبَث) للأسد ، و (السّجَنجَل) للمرآة .

وقد يتغير مدلول بعض تلك الالفاظ مع تقادم الزمن تَبَعا لقانون التطور هذا فلا تكاد تستعمل لما كانت تحمله من معانٍ بل تتخذ مدلولات اخرى لسدّ حاجات حضارية او علمية جديدة ، كما في لفظ (الرسم) الذي أصله آثار الدار الباقيةُ على الارض ، وقد تطور معناه الى ما نحدثه بالقلم من أثر على ورقة او سطح لتمثيل شيء ما . ولفظ (القَلَمِ) نفسُه اصل معناه القصبُ ونحوُه بعد قَلْمِهِ أي قطعِهِ ، وتطوّر الى القصبة التي تُبرَى للكتابة ، ثم الى القلم الذي نكتب به الآن ، الذي لم يبق له في بعض اشكاله علاقة بالبري ولا بالقصب ، كما في قلم الحبر والحبر الجافّ .

قيل إنّ مسؤولاً انكليزياً زار منذ قرنين ونيِّفٍ احدى المُنشآت الحديثة البناءِ ، وبعد ان أكمل ناظر المبنى الفخورُ التجوالَ معه سأله رأيه فيها . ولقد سُرّ الناظرُ بجواب الزائر الذي كان I find it awful and artificial .

ولا ريب انه لو حدثت هذه القصة في هذه الايام لاغتاظ الناظر من جواب الزائر . فــان عبــارة awful and artificial التي اراد بها الزائـــر آنذاك awe - inspiring and artistic اي (مؤثرة ومتميزة بالفن الرفيع) باتت تعني في هذه الايام (فظيعة ومصطنعة) .

المهم ان اللغة في المجتمع الحيّ النامي من طبيعتها ان تتطور وتنموَ باستمرار لمواكبة التقدم والتطور الحضاريّ والعلمي ، لان الفكر واللغة صنوان ولا سبيل الى تقدم احدهما مع تو قف الآخر .

(٢) رَقابة لغوية دقيقة على المصطلحات :

ان هذا النموّ السريع في لغتنا العربية ، الذي تقتضيه متطلبات استمرار التقدم العلمي والفكري في مجتمعنا العربي ، والذي يستلزم مواصلةَ اغنائها بالمفردات العلمية والحضارية ، وتقبّلها لسدّ حاجات هذا التقدم ، يستدعي بذل اقصى العناية في توخي الدقة العلمية وتجنبَ كلّ ما من شأنه ان يسبب اللبس والغموض . وهو من ثم يقتضي فرض رَقابة دقيقة وصارمة ازاء هذا السيل الجارف من الاسماء والمصطلحات التي تتطلبها المفاهيم والمداليل الجديدة لضمان اتباع السبل القويمة في اختيارها . صحيح أنّ لغتنا العربية يجب ان تتطور ، غير أنّ علينا مع هذا التطور السريع ان نحرص على عدم انجرافها في تيار حشد كبير من الفاظ الدخيل والمفردات العامية والاشتقاقات والصيغ المغلوطة ، فنحافظَ على سلامتها ونحفظَ لها اصالتها وهُويتها .

(٣) تعذر تحديدِ قواعدَ صارمةٍ لوضع المصطلحات :

على انه يجدر هنا التذكير بالفرق ما بين علوم اللغة والعلوم المضبوطة من حيث الخصائصُ والطرائقُ والوسائل . فبينما يمكن رسم القواعد الواضحة وبيانُ الخطوات اللازمة للوصول الى حلّ فريد لكل مسألة في الرياضيات مثلا ، يتعذر تحديد قواعد تفصيلية دقيقة وصارمة لطريقة اختيار المصطلح لمعنى محدد ،

فضلا عن انه قد يتيسر الخيار من بين مجموعة من الالفاظ او الاشتقاقات المختلفة للتعبير عن مدلول واحد معين . فقد يصح مثلا الاصطلاح بلفظ (التثليم) او بلفظ (التحزيز) او (التفريض) او (التفليل) وحتى (التسنين) او (التضريس) ، او غيرها ، لتقابل مـدلول indentation . وقد ينفـع اتباع قاعدة في استعمال وزن صرفي لوضع مصطلح في حالة ما ولا تنفع تلك القاعدة في حالة مشابهة ، لما قد يقع من لَبْس في المصطلح مع مدلولات اخرى . فمع صحة قولنا (ماء شروب) للماء الصالح للشرب لا يصحّ ان نقول (سمك أكول) لشدة احتمال التباسه بالسمك النّهِم الكثير الاكل . ومن هنا لن يعدوَ ما يمكن التطرق اليه في مثل هذه الدراسة المبادىء والاصولَ العامة التي تمكن الافادة منها والاهتداء بها في اختيار المصطلح ووضعه توخيًا لسلامة العربية ودقة التعبير ووضوح الأداء .

(٤) في وَحدة مبادئ وضع المصطلح أدنى متطلبات وَحدة الفكر :

ولا جرَم أنّ في وحدة المباديء العامة التي يحسن السير على هديها في هذا الموضوع المهم ادنى مستلزمات وحدة الفكر القومي . فلئن كانت وحدة المصطلح نفسه هي غايةَ هذه المستلزمات فانّ أولى وسائل تحقيقها وحدةُ المبادىء والاسس والاصول التي يجمل الاتفاق عليها للاسترشاد والعمل بها في المؤتمرات والندوات والاجتماعات التي تعقدها المجامع والهيئات واللجان المختصة بدراسة المصطلحات وفي المجهودات التي يُبذلها العلماء والباحثون في هذا الشأن ، وفي النِّتاجات العلمية التي يقدمونها .

شاركت منذ امد قريب في ندوة عقدت في بلد عربي لتدارس بعض مشاكل ادخال اللغة العربية فيهذا الجهاز المشهور المدعوّ بالانكليزية computer . واذ لم يجاوز عدد المشاركين بضعة عشر عضوا من ثمانية اقطار عربية ، كان مما يدعو الى العجب والأسف حقاً ان الاسماء المختلفة التي عبّر بها المشاركون

هذا الجهاز شمَلَت (الحاسب الالكترونيّ) و (العقلَ الالكترونيّ) و (الحاسبة الالكترونية) و (المحسابَ) و (النظّامةَ) و (الحَسّابةَ) و (الحُسّابةَ ـ بضمّ الحاء ـ) و (المِحسبةَ) و (الحاسوبَ) و (الحيسوبَ) و (الكمبيوتر) . لقد كان ثمة اختلاف في بعض هذه التسميات حتى في القطر الواحد .

وقد يمكن القول بان مثل هذا التعدّد في الاسماء متوقّع لمثل هذا الجهاز المهم الذي انتشر استعماله في الاقطار العربية بسرعة تعدّ كبيرة في حسابات ازمنة نموّ اللغات وتطورها ، فلم يتيسر الوقت الكافي للاتفاق على التسمية غير أنه لو توفر للمعنيين بوضع هذه الاسماء دليل يشتمل على بعض المبادئ العامة في وضع المصطلح لاختُزِل هذا العدد الى مالا يزيد على النصف في اسوأ الاحتمالات .

(٥) توحيد المصطلح رهن بالاستعمال :

ولا يخفى ما للقاءات والمؤتمرات التي تعقدها الهيئات المختصة واللجان العلمية على كلا المستويين القطري والقومي من اهمية كبيرة في التواضع على المصطلحات التي تستدعيها الحاجة العلمية في مختلف الاختصاصات .

غير ان من نافلة القول ان توحيد المصطلح سيبقى في الآخر ، في جميع الاحوال ، رهنا باستعماله وتداوله . ولوسائل الاعلام ، والصحف والمجلات والكتب ، وسائر مواطن التداول الاخرى اعمق الآثار في ذلك . فالاستعمال وحده هو الذي ينخل ويغربل ، ومن ثمّ يستبقي المصطلح الموحّد بقانون البقاء للأقوى أو الأنسب .

(٦) يُنظَر الى المدلول الاصطلاحيّ للمصطلح الاجنبيّ قبل معناه اللغويّ :

ولعل اهم مبدأ يجب الاخذ به عند وضع مقابل عربي لمصطلح اجنبي هو ان يُنظر الى المدلول الاصطلاحي للفظ الاجنبي قبل معناه اللغوي ، ومن

ثم يختار اللفظ العربي المناسب لذلك المدلول . ذلك ان كثيراً من المصطلحات الحضارية والعلمية قد لا يؤدي معناها اللغوي الا جزءاً ضئيلا من مدلولهـــا الاصطلاحي او لا يربط بين هذين فيها الاّ علاقة ضعيفة . ولكن واضعي المصطلح يتواضعون على اضفاء مدلول معيّن على لفظه عندما لا يجدون اللفظ او الالفاظ القليلة التي تؤدي ذلك المدلول وتستوعبه، أو لأيّ سبب آخر قد نجهلـــه . فمن ذلك ان المعنى اللغوي الظاهـــر لمصطلح adopted street في الهندسة مثلا هو (الشارع المتبنّى) او (الشارع المختار) ، غير أنّ المراد به اصطلاحاً هو أنّه (طريق تشرف عليه ادارة محلية) ، وهذا مدلول بعيد بعض الشيء عن المدلول اللغويّ للمصطلح . وقد يمكن على اية حال الاصطلاح على تسميته بالعربية (الطريق المحلّي) . ومثل ذلك لفظ shop الذي معناه اللغويّ (الحانوت) ولكنّ مدلولَه الاصطلاحيّ في الهندسة هو (موضعُ الشغل) ، ولذا لا تصحّ تسميته (الحانوتَ) او (الدكّان) . ولكن يمكن ان يُصطلح على تسميته (المَشغَلَ) لانه المعنى الاصطلاحيُّ المقصود .

(٧) تصحّ الترجمة الحرفية للمصطلح اذا طابق معناه اللغوي مدلوله الاصلاحّي :

بيد انه قد يكفي لاختيار المصطلح العربي في بعض الحالات الخاصة ان يترجم المصطلح الاجنبي حرفياً الى اللغة العربية ، وذلك اذا تحقق لدى المترجم ان المعنى اللغوي للمصطلح الاجنبي ومداولَه الاصطلاحي شيء واحد ، او ان بعضها قريب جدا من بعض . وهكـــذا امكن مثلا ان يُختار لمصطلح resistance (المقاومةُ) ، و friction (الاحتكـــاكُ) ، و velocity (السرعـــةُ) ، و ventilation (التهـــويةُ) ، و work (الشـــغلُ) ، و fire extinguisher (مُطفِئـــةُ الحـــريق) ، و shock absorber (مُمتصُّ الصدمات) . اما اذا ازدادت شقة الاختلاف بين المدلولاين اللغوي والاصطلاحي للفظ الاجنبي ، كما هو حاصل كثيرا ، فلا بدّ عندئذ من الاعتماد

على المداول الاصطلاحي في وضع المقابل العربي ، كما سبق بيانه ، والاّ أدّت الترجمة الحرفية للنصوص العلمية الى ارتكاب افدح الاخطاء .

(٨) يلزم لواضعي المصطلحات اتقان لغتين فضلا عن التخصّص العلمي :

من كل هذا يتبين ان وضع مصطلحات جديدة في اية لغة لتقابل الفاظاً اختصاصية مستحدثة في لغة اخرى من الاعمال المتخصصة التي يلزم لمن يقوم بها ان يكون متمكناً في كلتا اللغتين فضلا عن وجوب المعرفة الدقيقة بالمدلولات العلمية او الحضارية لتلك الالفاظ . ولما كان كثيرون من المتخصصين في العلوم، ولا سيما بعض الذين حصلوا على تخصّصهم في بلاد اجنبية ، تعوزهم المعرفة الكافية باللغة العربية ووسائلها في الاشتقاق ونحوه ، فلا بدّ لهم في هذه الحالة من الاستعانة بأهل اللغة عند وضع المصطلح العربي او اختياره . ولمثل هذه الاسباب لا يكفي واضعَ المصطلح ان يكون عارفاً باللغتين متمكناً فيهما لقيامه بهذه المهمة ، لأنّ ذلك لا يمكن أن يُغنيَهُ عن العالم المتخصص في مادة المصطلح العارف بدقائق مدلولاته العلمية التي كثيراً ما تَقْصُر الدلالةُ اللغوية عن اظهارها .

لقد كان عدم ايفاء هذه الناحية حقها من الاهتمام ، او التساهل فيها ، سببا في تفشي كثير من المصطلحات المغلوطة والاختيارات غير الموفقة ، او ادخال الفاظ كثيرة من الدخيل على لغتنا مما لم يكن داع لإدخاله . فمن امثلة الغلط الناتج عن عدم الاحاطة بالمدلول العلمي للمصطلح ما سبق ان اوردته مقتضباً في بحث سابق (١) من وضع بعضهم مصطلح (المركز البينيّ) ليقابل المصطلحَ الاجنبيّ (metacentre) الذي يراد به نقطة التقاء الخطّ الرأسي المرسوم من نقطة طفو جسم عائم بالخطّ الرأسي المرسوم من نقطة طفوه

(١) «في مستلزمات المصطلح العلمي» ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد ٢٤ ، ص ٩ ــ ١٨ بغداد ١٩٧٤ وكان البحث قد القي في مؤتمر التعريب الثاني في الجزائر عام ١٩٧٣م .

الجديدة بعد امالته قليلا . ان هذه النقطة المهمة في دراسات توازن السفن تقع (فوق) كل من مركز الطفو ومركز ثِقل الجسم العائم (وليس بينهما) . وكان الصحيحُ ان تدعى (المركز الفوقيّ) او (المركزَ الأعلى) او (المركز الأبعد). غير أنه يبدو انّ واضع المصطلح العربي لم يكن لديه ادراك واضح لمدلوله العلمي فاختار اشهر معنى للسابقة meta وهو (بين) ، مع انها قد تعني ايضا (بَعْد) ، كما في دلالة metaphysics على علم (ما وراء الطبيعـة) . ولقد شاع مصطلح (المركز البيني) على خطئه فورد هكذا في معجم المصطلحات الفنية (٢) ، وقاموس المورد (٣) ، ومعجم المصطلحات العلمية والفنية (٤) . وقد زاد المورد في الطين بِلّة بأن عرّف هذه النقطة بانها (مركز ثقل الجزء غير المغمور من جسم طاف) وهو تعريف مغلوط لا علاقة له اطلاقاً بمدلول المصطلح . اما المعجم العسكري الموحّد (٥) فقد وقع في الخطأ ايضاً بان التبس فيـه مداول metacentre بمدلول centre of buoyancy فكلاهما فيـه (مركـز الطفو) ، مـع ان ابـرز فـرق بين المركزين انّ احدهمـا فوق مستوى سطح السائل وثانيهما دونه . إنّ في كل هذا ارباكاً ما بعده ارباك ، ولعلّه كان من الافضل ان لا يُدرج هذا المصطلح الدقيق المعنى وامثاله في أيّ من هذه المعجمات ما دام مدلوله غير واضح كل الوضوح .

ولمثل تلك الاسباب ايضا تداول الناس الفاظا اجنبية كثيرة من امثال (الريبورتاج) ، و (الكوادر) ، و (السكيتش) ، و (الگراج) ، و

---

(٢) معجم المصطلحات الفنية ، القوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة، ط ١ ، القاهرة ١٩٦٢ .

(٣) المورد ، منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٧ .

(٤) معجم المصطلحات العلمية والفنية ، احمد شفيق الخطيب ، ط ٥ ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨٠ .

(٥) المعجم العسكري الموحد ، لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية ، القسم الاول (انكليزي ــ عربي) ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ .

(الشّفِل) ، و (الفرامل)،و (الديكور)، و (البندول)، و (البترول)، ومئات غيرها . وكان بالامكان التفادي من انتشار استعمالها لو أنّ أوّل مَن استعملها كان اكثر حذرا وحرصا على اصالة لغتنا والنفع العام . فان اتخاذ الفاظ عربية عوضا عن تلك الالفاظ الغريبة ، مثلِ (التقريرِ) ، و (المَلاكات) و(المخطّط)، و (المَرأب)، و (الجرّافة)،و (المِكبحة) ، و (الزينة)، وِ (الرقّاص) ، و (النّفط) هو بلا شك اكثر قبولاً عند عامة الناس واسرع الى فهمهم ، واسهل عندهم في النطق ، وهو من ثم يستحقّ ما يبذل له من قليل الجهد .

(٩) دراسة المدلولات المتقاربة علمياً ووضع مصطلحاتها في آن واحد :

ويتضح من مثال (المركز الفوقي ومركز الثقل ومركز الطفو) في الفقرة السابقة بما لايقبل الشك انه لو كانت صورة المراكز او النقاط جميعاً ماثلة امام واضع مصطلحاتها لأمكن تحامي ماحصل من خطأ ومداخلة . إنّ مبدأ دراسة المداولات المتقاربة (او المصطلحات الاجنبية المتقاربة المدلول) جملة، ومن ثمّ وضع المصطلحات العربية لها، بدلاً من وضع مصطلح عربي لكل مداول او مصطلح اجنبي بصورة مستقلة ومن غير دراسة المدلولات او المصطلحات المقاربة له لهو من المبادئ التي كثيرا ما يفوت واضعي المصطلحات الاهتمامِ لها والأخذ بها فيسبّبُ تجاهلُها الغموضَ واللّبس في الأقلّ ، ان لم يُؤدِّ الى خطأ في التعبير .

فمن ذلك ما حصل من فَوضى التسميات في اللغة الانكليزية لثلاثة انواع من الكثافة ، اولها — كتلة وحدة الحجوم ، وثانيها — ثقل وحدة الحجوم ، وثالثها — نسبة كتلة حجم من مادة الى كتلة حجم مماثل من مادة معينة كالماء .

ولما كان وصف المادة باحدى هذه الكثافات غالبا ما يغني عن الآخرين . فكثيرا ما اكتفوا بواحدة منها وتسميتها على التسهيل density اي (الكثافة)

غير ان ذلك كان سببا للّبس والغموض ، لاسيما وانهم قد يتخذون من الغرام وحـدة كتلةٍ تارةً ووحدةَ ثِقَلٍ تارة اخـرى ، وكثيرا ما حـاول بعضهم تمييز نوع الكثافـة التي يستعملها باختيار تسمية لها ، فنتج عن ذلك تعدد الاسـماء لكل من هـذه الانواع الثـلاثة ، فقالوا في الاولى density و specific mass و unit mass و mass density اي ما ترجمتـه (الكثافة) و (الكتلة النوعية) و (كتلة الوَحدة) و (الكثافة الكتليـة) ، وفي الثانية density و weight و specific weight و unit weight و weight density وحتى specific gravity ، وترجمته الحرفية (الكثافة) و(الثِقل النوعي) و (ثِقَل الوَحدة) و (الكثافة الثّقلية) و (الجاذبية النوعبة) . وفي الثالثة density و specific gravity و specific density و relative density اي (الكثافة) و (الجاذبية النوعية) و (الكثافة النوعيـة) و (الكثافة النسبية) . وكان من نتيجة كلّ ذلك ان التبس مدلول بعض هذه المصطلحات ببعض ، لاسيما وان لفظي weight و gravity لا يختلفان كثيرا من حيث المعنى . وقد حصلت التباسات مماثلة ايضا في المقابلات العربية من امثال (الثقل النوعي) و (الوزن النوعي) و (الكثافة) و (الكثافة النوعية) . ولا ريب في انه لو كان واضعو هذه التسميات قـد تدارسوا الانواع الثـلاثة من الكثافة ومدلولاتها البسيطة جملـة وسمّوها في وقت واحـد ، بدلا من اختيـار اسمائها كلا على حدته وفي زمن مستقل ، لكانوا اختاروا لها الاسـماء المتميزة الواضحة من مثل mass density و weight density و relative density أي (الكثافة الكتاية) و (الكثافة الثقلية) و (الكثافة النسبية) ، ولما حصلت هذه البابلة التي استمرت بضع مئات من السنين ولما تكد تنتهي .

(١٠) دخول المصطلح المعجم المتخصص قبل ظهوره في المعجم العام :

وقد يكون مبدأ دراسة المصطلحات المتقاربة المدلول في وقت واحد اقرب الى المتناول لدى مترجمي الكتب العلمية المتخصصة ومؤلفيها ، لانهم يتناولون كل مادة علمية من جوانبها المختلفة فتعرض لهم هذه المدلولات المتقاربة التي تتطلب وضع المصطلحات المتميزة لها . غير أنّ ذلك يجب ان لا يُعفي واضعي مجاميع المصطلحات ومعجماتها من تلك التّبِعة المهمة . ومن هنا تتضح خطورة ادخال أيٍّ مصطلح جديد في المعجمات العامة قبل التحقق من سبق دراسته من قبل الاختصاصيين ذوي المؤهلات الكافية . ان كل هذا يشير الى ضرورة السير حثيثا في عمل المعجمات الاختصاصية يُعهَد بها الى لجان متخصصة مؤهلة علمياولغويا التدارس مداول المصطلح الاجنبي في الاختصاص الدقيق مع مداولات المصطلحات المقاربة له تُقَلِّبُها على وجوهها المختلفة لتضعَ أوتختار المقابلاتِ العربية الملائمة لكلٍّ منها وتُودعَها المعجمَ الاختصاصيّ تمهيدا لدخولها المعجمَ العام .

(١١) ضرورة تعريف المصطلح او الاشارة الى مظانٍّ تعريفه :

ولا جدال في ان معجم المصطلحات الأمثل هو الذي يورد تعريفا لكل مصطلح يرد فيه . غير أننا نشهد اليوم نهضة واسعة لتعريب العلوم ، وهذه النهضة تتطلب الاسراع في تهيئة المعجمات الاختصاصية ، ذات الفوائد غير المحدودة للعلماء والباحثين والطلبة . ان هذه الحالة قد تسوِّغ في الكثير من الاحيان الاكتفاء بادراج المصطلح العربيّ المختار بازاء المصطلح الاجنبيّ ، مع شريطة الاحالة على المعجم الاجنبي الذي اعتمد عليه في تعريفات هــذه المصطلحات . وهذا المبدأ معمول به في كثير من معجمات المصطلحات الاوربية المتعددة اللغات (٦) .

---

(٦) انظر مثلا :
French — English Science Dictionary, Louis De Vries, 5th. Edition, New York, 1940.

غير ان مما يدعو للأسف صدورَ معجمات اختصاصية كثيرة لأفراد وهيئات مختلفة في الاقطار العربية على هذه الشاكلة من غير اشارة الى المرجع الذي يمكن العود اليه للتعرف على مداول المصطلحات الواردة فيها . ان مثل هذا الاغفال في المعجم الاختصاصي كثيراً ما يسبب اللبس والوقوع في الخطأ لدى التراجمة والكتاب الذين يستعملون بعض هذه المصطلحات ، لا سيما وان ثمة مصطلحات اجنبيةً لها مداولات اخرى في الاختصاص ذاته قد لا يوردها المعجم . فان لفظ hardness مثلا يراد به في الهندسة المدنية في الاكثر (مقاومة الاجسام الصُلبة للخدش)، وهو ما اصطلح على تسميته (بالجُسوءة). فلواورد معجم في الهندسة المدنية هذا اللفظ الاجنبيّ ووضع بازائه لفظ (الجُسوءة)، من غير تعريف له ولا إشارة الى المصدر الذي فيه تعريفٌ للفظ الاجنبيّ ، فقد يكون ذلك سبباً للبس والغموض ومدعاةً للخطأ في بعض الحالات ، لأن مصطلح hardness قد يراد به ايضاً في بعض استعمالات الهندسة المدنية معنى (عدم صلاحية الماء للاستعمالات المنزلية) ، لاحتوائه على املاح معدنية معينة ، وهي الخاصة المدعوة (بالعسرة) ، وهذا مدلول قد يغفله المعجم .

(١٢) تجنب استعمال اللفظ الواحد لاكثر من مدلول ، قدر الاستطاعة :

ومن طبيعة اي لغة ، كما سبقت الاشارة اليه في الكلام على تطور اللغات ، ان يصبح فيها الفاظها اكثر من مداول واحد ، سواء اكان ذلك في المصطلحات العلمية على غرار ما أوردنا في مثال hardness باللغة الانكليزية في الفقرة السابقة ، ام في المصطلحات الحضارية كما في لفظ society الذي قد يعنى (المجتمع) وقد يعني (الجمعية) . ومثل ذلك في العربية كثير ايضاً كما في لفظ (المكتب) الذي قد يراد به مرة (خِوانُ الكتابة) وتارة (مكانُ ادارة العمل) ، وكان ايضاً حتى عهد قريب يستعمل بمعنى (المدرسة) . غير أن هذا لا يُعفي واضع المصطلحات العلمية والحضارية من ضرورة بذل الجهد قدر الاستطاعة في تجنب مثلِ هذه الازدواجية عند اختيار ايِّ مصطلح .

وقديماً نبّه على هذا ابو علي الفارسي (ت : ٣٧٧ هـ) اذ يقول ة فيما ينسبه اليه ابن سيده (٧) (ت ٤٥٨ هـ) .

« . . . اتفاقُ اللفظين واختلافُ المعنيين ينبغي ألاّ يكون قصدا في الوضع ولا اصلا ، ولكنه من لغات تداخلت ، او ان تكون لفظة تستعمل لمعنى ثم تستعار لشيء فتكثر وتصير بمنزلة الاصل » .

ان من دواعي اللّبس مثلا ما جاء في بعض معجمات المصطلحات من استعمال مصطلح الهندسة المدنية (الاستقرار) ليدل مرة على (ميل الجسم الذي هو في حالة تزازن الى العودة الى حالته هذه بعد زحزحته) ، وهي الخاصة المدعوة بالانكليزية stability ، ومرة ليدل على (الهبوط التدريجي لمبنى) ، او ما يدعى settlement ، وهو مداول علمي يختلف عن المداول الاول كل الاختلاف : وكان في الامكان تسمية هذا الأخير (الهبوط) لتمييزه عن الاول . ومثله ما جاء من استعمال مصطلح الهندسة الميكانيكية (التبريد) ليدل مرة على (تبريد الهواء في المباني) او ما يقابل cooling ، وتارة ليُرادَ به (خفضُ درجة حرارة الطعام ونحوه بوضعه في الثلاجة لوقايته) ، او ما يقابل refrigeration . وكان ممكناً تسمية هذا الأخير (التثليجَ) مثلا لتمييزه عن الاول .

(١٣) الإفادة من الخزين الكبير من الالفاظ القديمة المُماتة :

لمثل هذه الاسباب يفيد في كثير من الاحيان العود الى الالفاظ القديمة المماتة ، ولا سيما السهل الذي لايجافي الذوق منها ، للاصطلاح بها للدلالات العلمية والحضارية الحديثة ، وفي معجماتنا العربية خزين كبير من هذه المفردات التي لا نكاد نستعملها اليوم. وهذه الطريقة تكاد تكون هي الاداة الرئيسة المستعملة اليوم لوضع المصطلحات الجديدة في اللغات الاوربية ، وان اختلفت

(٧) المخصص ، لابن سيده ، جـ ١٣ ، ص ٢٥٩ ، بولاق ١٣١٦ هـ .

طبيعة تلك اللغات بعض الشيء عن لغتنا العربية . فهم يرجعون في الاكثر الى اصول في اللغة اللاتينية او اليونانية القديمة ، وكلتاهما لم تعودا من اللغات الواسعة الاستعمال ليستفيدوا منها في صياغة مفرداتهم المتنامية والمتطورة باستمرار . وعلى هذه الشاكلة اختاروا مثـــلا مصطلح helicopter للدلالة على (الطائرة التي تقتصر في استنادها في الجو على ردّ فعل تيار الهواء الذي تدفعه الى اسفل رفاساتها الدائرة حول محور عمودي) او ماندعوه (بالطائرة العمودية) . وأصـــلُ المصطلح من اللفظين اليونانيين helicos بمعنى (لولبي) و pteron بمعنى (جَناح) .

وعلى غرار ذلك اختير اللفظُ العربيُّ القديم (القِطار) الذي اصل معناه (جماعة الابل يلي بعضها بعضاً في نسق واحد) واصطلُح به للدلالة على (السلسلة المتصلة من مركبات النقل المتحركة على سكة الحديد) ، او اللفظ القديم (الجابية) التي اصل معناها (الحوضُ يُجبَى فيه الماء أي يُجمَع) للاصطلاح بها على (رقعة الارض التي تُمِدّ نهراً او بحيرة في نقطة معينة وتقع بين حرفين مرتفعين في اعلى تلك النقطة) وهي التي تدعى بالانكليزية watershed او drainage area .

(١٤) يُوضَعُ المصطلح لادنى عَلاقة بين معناه اللغويّ والاصطلاحيّ :

ولعلّ أمثلةَ الفِقرة السابقة ستُفضي بنا في الحال الى مبدأ مُهِمّ في وضع المصطلحات فحواه جوازُ اختيارِ المصطاح او وضعِه لأدنى عَلاقة او ملابسة بالمداول . فانّ التعريف العلمي الدقيق لما اصطلح عليه في اللغة الانكليزية بلفظ helicopter المأخوذ من اليونانيـــة لا يمكـــن ان يستوعبَه هذا اللفظ البسيط الذي لايعدو معناه (الجناحَ اللوابيَّ) كما رأينا .

ومثل ذلك المصطلح العربي (الجابية) الذي اصل معناه اللغويّ (الحوض يجمع فيه الماء) ولكنه استُعمل لمدلول علمي معقد ، لأدنى علاقة بين المعنى

اللغوي والدلالة العلمية . ولو لم يُؤخذ بهذا المبدأ لصعب التعبير بلفظ او اثنين عن امثال هذه المدلولات العلمية المعقدة .

(١٥) اللفظ المهـ.ور يضفي على المصطلح خصوصية لا يوفرها الشائع المتداول :

وكذلك يُستدلّ من الامثلة المذكورة على ان العود الى الفاظ مماتة في وضع المصطلح يعطيه خصوصية لاتوفّرها الالفاظ المتداولة ذات الدلالات الشائعة المعروفة . فلو اختير لفظ (الحوض) مثلا عوضاً عن (الجابية) لبات من الصعب إضفاءُ ذلك المدلول العلميّ المعقد الخاص عليه ، لشيوع لفظ الحوض وبساطة دلالته واحتمال وقوع اللبس .

ومثل ذلك يقـال في مصطلح helicopter اليوناني الاصل ، المتميـز بخصوصية قـد لا يجدها الانكليزيُّ في ترجمته الحرفيـة spiral wing البسيطة المداول لو استعملها بدلاً منه . وعلى غراره مصطلح aquaplane الذي اطلقوه على (اللوح الذي يُربَط بمؤخّر زورق بخاري مسرع ليركبه الرياضي واقفاً على الماء) . وهو مكون من لفظ plane بمعنى (السطح المستوى) ، مُصَدَّراً باللفظ اللاتيني aqua بمعنى (المـاء) . ولا يخفى انه لـو سُمّي waterplane لالتبس مداولـه بالطائرة المائيـة لمناظرته لمصطلح airplane اي الطائرة الهوائية .

(١٦) الافادة من المترادفات في مصطلحات المدلولات العلمية المتقاربة :

ومهما اختلف بعض اهل اللغة في وجود الترادف او عدمه فان هذه الالفاظ المدعوة بالمترافات ذات فائدة كبيرة فيتوسيع آفاق الاصطلاحالحضاري والعلمي وسدّ الحاجة في التفريق بين المداولات العلمية المتقاربة . فمن المترادف مثلا ان يقال (أذاع فلان الخبر) او (نشره) . ولكن من مصطلحاتنا الحضارية الشائعة اليوم اطلاقَ اسمِ (المذيع) على الشخص (الذي يقدم البرامج من محطات الاذاعة المسموعة او المرئية) ، في حين أن (الناشر)

هو (الذي يُصْدِرِ المطبوعاتِ ويَعرِضها للبيع او التوزيع) . ومثلَ ذلك فرقّوا في الانكليزية مثــلا بين مصطلح hydroplane للدلالة على (الطائرة المائيـــة) ومصطلح aquaplane للدلالة على (اللوح الذي يُربَط بزورق بخاريٍّ ليقفَ عليه المُتَريِّضُ متزلقاً فوق الماء) ، مع أنّ المصطلحين مترادفان لغوياً لأنّ كــلا لفظي hydro ، اليونانيِّ الاصل من hydor ، و aqua اللاتينيِّ الأصل ، يعنيان الماء .

(١٧) يُتّخَذُ مصطلح واحد للمدلول العلمي الواحد :

ولئن اقررنا بوجود المترادفات في اللغات فايس من الصواب قَبولُ مبدأ الترادف في المصطلحات العلمية ، بل لابدّ ، على العكس ، من التنبيه على وجوب الامتناع من استعمال عِدّة الفاظ لمدلولٍ علميٍّ واحد ، فذلك مخالف لمبدأ توحيد المصطلح ، وهو من ثَمَّ مَدعاةٌ للّبس وسبب لصعوبة إشاعة المصطلحات الموحّدةِ المُثلَى . ولئن جاز للأديب او الشاعر ان يستعملَ المترادفاتِ ليُضفِيَ على نِتاجه طِلاوةً ورونقاً فما على مترجِمِ كتابٍ علميّ او مؤلِّفِهِ او كاتبِ بحث الا ان يلتزمَ لكلِّ مدلولٍ علمي مصطلحاً واحداً لايغيرِّه في كتابه او بحثِهِ لمِا قد يسبّبه ذلك لقارئه من ارباكٍ وعدمِ وضوح .

وأخطر من ذلك ان يَنشُرَ الأفــراد العلميون والهيئاتُ الاختصاصية مجاميعَ المصطلحات والمعجمات المتخصصة يُدرِجون فيها بازاء كل مصطلح اجنبي عدداً من المصطلحات العربية المترادفة يحار قارئها في أيٍّ يختار منها للاستعمال . لاشك أنّ هؤلاء هم أحرى من القارئ بدراسة هذه المترادفات ومناقشتها وموازنتها واختيار اكثرها مناسَبَةً للمدلول العلمي .

ولئن اقررنا بوجود مشكلة تعدُّد المصطلحات المستعملة في الأقطار العربية المختلفة ، على غرار ماأوردنا في مثال (الحاسبةِ والحَسّابةِ والحُسّابة

والحاسوب والحيسوب والنّظّامة والكمبيوتر) ، فما على كل هيئة ان تَزيدَ في الطين بلّةً فتخترعَ او تُقِرَّ أعداداً إضافيةً من هذه المترادفات للمدلول العلميِّ او الحضاريِّ الواحد .

(١٨) فائدة المجاز في الاصطلاح العلميِّ والحضاريّ :

ويُعَدُّ المجازُ من الرسائل المهمة في وضع المصطلحات ويُمكن به توسيعُ المعنى وتقوية التعبير . فإنّ مصطلحَ (الرياضيات) مثلا ، وهو متّخَذٌ للدلالة على (العلمِ الذي يتناول العلائقَ بين الكميات ، والفِكَرَ التجريديةَ المختلفةَ لتلك العلائق) ، لاتربُطه بمدلوله العلميِّ إلاّ عَلاقةٌ مجازية ، باعتبار مايتطلبه ويؤدي اليه هذا العلمُ من رياضة عقلية . ومصطلح (مُمتصِّ الصَّدَمات) الذي هو ترجمةٌ حرفية للمصطلح الانكليزيّ shock absorber فيه ايضاً استعمال مجازيّ لانه ليس في هذا الجهاز أيُّ نوعٍ من الامتصاص ، وهو في الحقيقة يخفِّف الصدمة ولا يمتصّها ، ولكنه سُمِّيَ هكذا من باب المجاز ، وفي التسمية تقوية للمعنى . ومِثلُه مصطلح (الخَرْسانة المسلّحة) الذي هو ترجمة للمصطلح الفرنسيِّ beton armé . فليس في الخَرْسانة تسليحٌ بل فيها تقوية بقضبان الحديد ، ولكنّ مختارَ المصطلح العربي فضّلَ ترجمة المصطلح الفرنسيّ ذي الاستعمال المجازيّ على ترجمة مقابِله الانكليزيّ reinforced concrete أي (الخرسانة المقوّاة) توخياً لقوة المعنى والتعبير . وهكذا يمكن توفير امكانات واسعة للاصطلاح العلمي بالاستعمالات المجازية .

(١٩) لا يُقتَصَرُ في وضع المصطلح على لغة اجنبية واحدة :

ويقودنا مثال الفِقرة السابقة ، الذي رجحت فيه ترجمة المصطلح الفرنسي على الانكليزيّ ، الى مبدأ مفيد آخر في وضع المصطلحات ، وهو أن لايُقْتَصَرَ دائماً في وضع مقابل عربي لمصطلح اجنبيّ على لغة اجنبية

واحدة . فقد لايكون في الدلالة اللغوية لمصطلح انكليزيٍّ مثلا علاقة واضحة بمدلوله الاصطلاحيّ .ويستعصي على واضع مقابله العربي اختيارُ المصطلح المناسب. وقد يكون من المفيد في مثل هذه الحالة العودُ الى مُقابِلاتٍ لهذا المصطلح في لغاتٍ حية اخرى . فمن ذلك مثلا المصطلحُ الانكليزيّ head ، الذي يدُلُّ في الهندسة على (طاقة وَحدةِ الثِّقَلِ من مائع) ، والذي لايُوحي مقابلُهُ العربيُّ (الرأسُ) بشيء من مدلوله العلميِّ . وقد وجَدَ واضع المصطلح العربيِّ ضالّتَه بالرجوع الى المقابل الفرنسي لهـذا المصطلح وهو charge اي (الشَّحْنَةُ) فاختارها لعَلاقتها الوثيقة بالمراد بالمصطلح .

(٢٠) قابليةُ العربيةِ العظيمةُ للنموِّ بالاشتقاق :

ولعلّ اللغةَ العربية من أوسع اللغات قابليةً للنموِّ بالاشتقاق . وقد أحصى أهـل اللغـة مئاتٍ من الاوزان الاشتقاقيـة التي مكنت لهذه اللغة الشريفةِ ان تُصبحَ من اغنى لغات العالم واغزرها عَطاءاً . ان هذه القابليةَ الاشتقاقيةَ تضع في أيدي العاملين في حقل المصطلحات اداةً فعالةً وتوفِّرُ لهم إمكاناتٍ واسعة في صياغة الالفاظ للمداولات العلمية المتزايدة يوماً بعد يوم .

لقد اختلف النحاة منذ ان وجد النحو في موضوع اللغة أهي سماع ام قياس ، ووضعوا في هذا الموضوع مجلداتٍ كثيرة . بعضهم يرى ان « ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب » (٨) ، في حين يصرّ بعض على انه « ليس لنا اليوم ان نخترعَ ، ولا ان نقولَ غيرَ ما قالوه... و... أنّ اللغة

(٨) ابو عثمان بكر بن محمد المازني (ت ٢٤٩هـ) ، انظر مثلا : الاقتراح في علم اصول النحو ، للسيوطي ، تحقيق الدكتور احمد محمد قاسم ، ص ١٠٨، القاهرة ، ١٩٧٦م .

لا تؤخذ قياسا نقيسُه الآنَ نحن » (٩) . ولعلّ من الانصاف ، وهذا الجدل الطويل لم ينَته بعد، ان يقال بأن بعض الصيغ يمكن القياس عليه وان بعضا لا يؤخذ الا بالسماع . فليس لاحد مثلا ان يعترضَ على قياس اسم المفعول بزنة (مفعول) من ايّ ثلاثيٍّ صحيح متعدٍ ، وان لم يَرِدْ كلّه في السّماع ولم يُذكرْ في المعجمات . و هكذا يطّرِد قياسُ (معلومٍ ومجهولٍ ومحسوبٍ ومعدودٍ ومجذوبٍ ومسحوبٍ) وآلافِ اسماء المفاعيل غيرِها بهذه الصيغة. ومثاه اننا نقيس مصدر كلّ فعلٍ صحيح وزنه (تفعّلَ) على (تفعُّل) فنقولُ (التحسُّنُ والتجمّلُ والتقدّمُ والتأخّرُ) حتى لو لم نسمعْ بعضَه ولم يَرِدْ في المعجمات. غير أنه ليس لنا مثلا أن نقيسَ مصادر على غرار (علانيَةٍ ورفاهيَةٍ وكراهيَةٍ وصلاحيَةٍ) من كل فعل ثلاثيّ فنقولَ (صَعادِيةٌ ونَزالِيَة) ، ولا أن نقيسَ على وزن (مَوهبةٍ ومَعرفةٍ ومَوجدة ومَعصية) فنقولَ (مَذهِبةٌ ومأتية) فمثلُ هذه الاشياء لا يؤخذُ الا بالسّماع ، والاّ انفلت زمام اللغة وتشوّهت هويّتها .

وبين هذين الطرفين المتباعدين حالات كثيرة وُسطى لا يصِحُّ فيها اغلاقُ باب القياس ، ولا اطلاقُه على مصراعيَه . ولذا لابدّ من التذكير بأنّه ينبغي للمعنيين بوضع المصطلحات من اهل العلوم الافادة في ذلك من رأى العالم باللغة المتمرس بصرفها واشتقاقها الممتلكِ لرهافة الذوق والحِسِّ اللغويِّ ، مع وجوبِ تجنّبِ كل ما من شأنه اللّبسُ في جميع الاحوال ، كما مرّ بيانُه . ولعلّ من المناسب التطرقَ الى بعض ما يهمّنا نحن المشتغلين بالعلوم من هذه الصيغ والاوزان ، مع التوكيد مرة اخرى أنّه لا يمكن اتخاذ قواعدَ صارمةٍ في مثل هذه الاشياء لأنّ ما يشِذُّ في اللغة اكثر من ان يُحصَى .

(٩) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، لأحمد بن فارس (ت : ٣٩٥ هـ) ، ص ٣٣ ، المكتبة السلفية ، القاهرة ، ١٣٢٨ هـ .

(أ) اسم الآلة – وقد يمكن مبدئيا اختيار اوزانه بحسب تسلسل حجم الاداة او الجهاز او الآلة كالآتي :–

– (مِفْعَلٌ) و (مِفْعالٌ) و (مِفْعَلَة) وتصاغ من الثلاثيّ المتعدي ، مثلُ (المِلقَطِ) و (المِسَنّ) ، و (المِيزان) و (المِقياس) ، و (المِعزقَة) و (المِرَشّة)و (المِصفَاةِ) .

– و (صيغةُ اسم الفاعل مذكراً او مؤنثاً) ، مثلُ (الكاتمِ) و (العادمِ)، و (المُفاعِلِ) و (المُرسِلِ) و (المُستقبِلِ) و (المُكَثِّف) و (المُشِعِّ)، و (الطائرةِ) و (القاطرةِ) و (الحادلةِ) ، و (المُبَرِّدةِ) و(المُجَلْفِطة) و (المُبرمجة) .

– و (صيغةُ مبالغةِ اسم الفاعل تذكيراً أو تأنيثاً) ، مثلُ (الرفّاسِ) و (السيّارةِ) و (الدّبابة)و (الغوّاصة) و (النّسّافة) .

اما ما عدا ذلك من الاوزان فيؤخَذُ سَماعاً ، مثلُ (سِدادٍ) و (صِمامٍ) و (رِتاجٍ) و (عِنانٍ) و (لِجامٍ) . فليس لنا مثــلا ان نقيسَ ألفاظا مثلَ (فِتاح) و (نِساف) و (جِماد) و (لقاط) لمدلولات (المفتاحِ والنّسّافة والمُجَمِّدةِ والمِلقط) ،ولو فعلنا ذلك لكان غريبا مردودا . ومثلُ ذلك الصِّيَغُ السّماعيّةُ الأخرى نحو (المُنخُلِ) و(المُنْخُل) و (المُكْحُلةِ) و (السّاطور) وغيرها .

(ب) التعّدية – وهي مهمة لكثير مما تَقُومُ به الأجهزةُ العلميّةُ من عمليات ، مثلِ (الإحماءِ والإمرارِ والإخمادِ والإزاحةِ والإماعةِ والإسالةِ ، والتجميد والتبريد والتسخين) ، وكلها مصادرُ مصوغة من أفعالٍ عُدِّيَتْ من أصول لازمة . وتكاد تَطّرِدُ قاعدةُ تعدية الثلاثيّ اللازم بالهمزة ، مثل (أحمَى وأخمَدَ وأزاح وأسال) من (حَمِيَ ، وخَمَدَ ، وزَاح ، وسال) إلاّ ما اشتهرت وجازت ايضاً تعديتُهُ بالتضعيف مثلُ (بَرَّدَ ، وجَمّدَ)

من (بَرَدَ ، وجَمَدَ) ، وعدا ما يلتبس بافعال هذه صيغتُها ولها دلالاتٌ تختلف عن تلك ، مثلَ (أكرَمَ ،وأحسنَ ، وأقامَ ، وكرَّمَ ، وقتّلَ ، وجوَّلَ ، وطوّفَ) وغيرها .

وتفيد الهمزةُ ايضا في جَعْل المتعدّي لواحدٍ متعدّياً لإثنينِ مثلَ (ألبَسَ وأركبَ وأحْمَلَ) من (لَبِسَ وركبَ وحَمَلَ) .

(ج) **المطاوعة** – وهي صيغة مفيدة في لغة العلوم لدلالتها على التأثّرِ بفعلٍ خارجيّ . وتكثُرُ صياغتُها بوزن (انْفَعَلَ) من الثلاثيّ المتعدّي مثلِ (انقطع ، وانكشفَ ، وانشَقَّ) ، من (قَطَعَ ، وكَشَفَ ، وشَقَّ) ، عدا ما اشتهرت مطاوعته بوزن (افْتَعَلَ) مثل (اجْتَمَعَ ، وانْتَشَرَ) . من (جمع ونشر) ومصدر هذين (الانفعالُ والافتعال) ، وهما كثير في لغة العلوم ، مثل (الانخفاضِ ، والانحرافِ ، والانصهارِ ، والانحلالِ ، والانتشار ، والارتفاع ، والالتصاق) وغيرِها .

ويكثر استعمال وزن (تَفَعّلَ) لمطاوعة (فَعّلَ) المضعّف العين المتعدّي ، ومصدره (التفعُّل) مثلُ (التجمُّدِ ، والتجمّعِ ، والتحلّل ، والتجزؤ) .

(د) **التشريك** – وهو مهم جداً ايضاً في لغة العلوم لدلالته على العلائق أو العمليات المتبَادلة ، وزِنَةُ فعلهِ (تَفَاعَلَ) ، ومصدرُهُ (التفاعُلُ) مثلُ التناظُرِ ، والتماثُلِ ، والتفاعُلِ ، والتبادلِ ، والتجانسِ ، والتعادل) وكثيرٍ غيرِها من مصطلحات العلوم .

(هـ) **الاشتقاق من أسماء الأعلام والأعيان** – وهو أسلوب شائع في لغة العلوم ، فقد تَرِدُ مصطلحات اجنبية مشتقةٌ أساساً من اسماء أعلامٍ مثـــلِ galvanization و pasteurization و voltage من گالفـــن ، وپاستور ، وڤولط ، فتشتقّ لها مصادرُ بطريقة متشابهة ، مثلُ (الغلونة)

و (البسترة) ، و (القُلطية) ، وهذا الاخير مصدر صناعي .

ويكثر الاشتقاق من اسماء الاعيان لسد حاجات علمية او حضارية . ومن امثلة المصادر التي اشتقوها منها قديماً (التوشيح ، والتفضيض ، والتبلر ، والتزفيت ، والتكليس ، والإنجاد) من (الوِشاحِ ، والفِضّةِ ، والبِلَّوْر ، والزِّفتِ ، والكِلس ، ونَجْدٍ) . وكثيرا مانحتاج اليه اليوم في لغة العلوم ، كما في الفاظ (التأميمِ ، والتسويقِ ، والتحديثِ ، والتقعيد) من (الأمّةِ ، والسُّوقِ ، والحَدَاثة ، والقاعدة) . وكذلك ماهو مشتقّ من اسم العَيْنِ الدخيل ، مثلُ (التأيُّنِ ، والتأكسدِ ، والمغنطةِ ، والتكهربِ ، والتصبّنِ ، والهدرجةِ) منَ (الأيُونِ ، والأكسجين ، والمغنطيس ، والكهرباء ، والصابونِ ،والهدروجين) . غير أن كل ذلك يجب ان يَخضعَ لاحكام الضرورة العلمية المُلْزِمة والرقابةِ اللغويةِ الدقيقة .

(و) **المصدر الصناعي** – وهذا يفيد في التعبير عن مداولات كثيرة في مصطلح الحضارة والعلوم . ويصاغ بالحاق ياء النسبة والهاء بآخرِ الاسمِ او الصفةِ او المصدر ، أو حتى الجملةِ في بعض الاحيان . ومنه الفاظُ (الاقليميةِ ، والجاهليةِ ، والانعزاليةِ ، واللاأدرية ، والافضلية ، والأسبقية ، والارجحية ، والحساسيّةِ ، والتلقائية ، والاحتماليةِ ، والمُنْفِذِيةِ ، والمَطِيلية ، والمَطّاطيّةِ) وكثيرٌ غيرُها .

(ز) **التسمية بالمصدر والتسمية بالصفة** – من الخواصّ اللغويةِ المفيدة في وضع المصطلحات.إمكانُ التسمية بالمصدر ، وهو اسلوبٌ اتبِع منذ القِدَمِ في اختيار الكثير من الاسماء . فمن ذلك تسمية كتاب اللهِ العزيز (القرآنَ) . وأصل معنى القرآن القراءةُ ، ولكنه مصــدر انتقل الى الاســمية فصار يطلق على هذا الكتاب الذي نقرأه.ومثلُه (التنزيلُ) وهو مصدر أُريدَ به انزالُ القرآن واستعُمِلَ ايضاً بمعنى القرآن نفسه ، و (التأريخ) وهو مصدر بمعنى

تسجيل الاحداث واسم لِسِجِلّ الاحداث ، و (الجمعُ) انتقل الى معنى جماعة الناس . فقالوا (جاء في التنزيل كذا ، وكتب فلان تأريخاً ، والتقى الجمعان) .

وهذا الاسلوب موجود في بعض اللغات الاخرى ايضاً ، ففي الانكليزية مثلا يعني لفظُ allowance (التخصيص) ويُستعمل ايضاً اســماً (للمبلغِ المخصصّ) .

وفي هذا الباب مجال واسع لاغناء المصطلح العلمي والحضاريّ . وبه نقلوا (التمرينَ) وهو مصدر بمعنى التدريب ، الى اسمٍ لمَا يُقْتَرَحُ او يُنْصَحُ به للتدريب ، فقالوا مثلا (حلّ خمسةَ تمارينَ في الحساب) . ومثلهُ نقــلُ (التصوير) الى الصورة نفسها و (التقريرِ) الى المادة التي تُقَرَّرُ وتُكْتَب . ومثلُ هذا كثيرٌ في المصطلح العلميّ والحضاريّ الجديد .

ويقاربُ هذا بابُ التسمية بالصفة ، وهو ايضاً اسلوب مُعْرِقٌ في القِدَم ومنه (الدقيقـــة) يُراد بها المـــدةُ الزمنيةُ الدقيقة ، و(الأحياءُ) للناس الاحياء ، و(الحَسَنَةُ) للمعروف ، ومئاتُ الالفاظ الاخرى . وعــلى غِرارِهِ في الانكليزية استعمالُ لفظ adhesive مثلا صفةً واسماً ، فإنّ اصلَ معناه (شديدُ الالتصاق) ولكنهم يستعملونه ايضاً (للمادّة اللاصقة) نفسِها .

وهذه الخاصةُ اللغوية في امكان استعمالِ صيغةِ الوصف لمعنى الاسميةِ مفيدةٌ جداً في وضع المصطلحات ، ولا سيما في وضع اسماء الاعيانِ . ومن امثلتها في المصطلح الحديث اتخاذُ لفظ (الدَّريئةِ) لما تُدْرَأ به النُّفَايَاتُ ، و(النَّبيطَةِ) للأداةِ المستنبَطة ، و (اللَّصوقِ) للمادةِ اللاصقة ، ومئاتٍ من الالفاظ على غِرارِها .

هذا غيض من فيض مما تمكن الافادة منه في الاشتقاق للأغراض العلمية . وهو اقرب الى التمثيل منه الى الاستيعاب ، فانه لايشمُل الصِّيَغَ القياسيةَ

الكثيرة الاخرى ذاتَ الدّلالاتِ اللغويةِ المختلفةِ التي يُمكنُ ايضاً الافادةُ منها في صياغة المصطلح .

(٢١) لا حاجةَ لنا بتقليب الحروف او تبديلها لا شتقاق الفاظ جديدة :

في كل هذا مَغناهٌ عمّا صارت ترتفع به اصواتُ بعضهم من المناداة بتقليب حروف الكَلِمِ العربيِّ لاستحداثِ الفاظ جديدة ، كأن نصوغَ من(ضَمِنَ) الفاظاً مثلَ (مَنَضَ ،ومَضَنَ ،وضَنَمَ)، كأنّ معجماتِناخلت وخوت من الآف الالفاظ المهجورة فاصبحنا بمسيس الحاجة الى مثل هذه المستحدثات الغريبة .

ومثلُهُ مايدعو اليه آخرون من الاستبدال ببعض حروف الكَلِمِ حروفاً مقاربةً لها لتوايد الفاظ جديدة * ، كأن نولّد (الإزغاءَ ، والإسغاءَ) من (الإصغاء) . وكلٌّ ذلك مُجَافٍ للذوق السليم وفيه تشويهٌ للعربية وتجاوز على هُويتِها .

ولئن تَمَسّكَ دُعاةُ هذه التقاليب والتباديل بأن بعضَ الاوائل عُنُوا بها فانّ تلك العنايةَ لم تَعْدُ الدراسةَ العلميةَ للعلائق اللغوية بين الالفاظ المقلّبةِ او المُبْدَلة حروفُها ، فضلا عن أنّ الخليلَ بن احمد (ت : ١٧٥هـ) كان أوّلَ من اتّخذَ التقاليبَ اساساً في ترتيب الفاظ معجمه (العَيْن) . ولم يُسْمَعْ عن أولاء الدارسين ، وأشهرهُم ابوعليٍّ الفارسيّ (ت: ٣٧٧هـ) ، ومِن بَعْدِهِ تلميذُه ابنُ جِنيّ (ت : ٣٩٢هـ) ، أنْ دَعَوْا الى اتّخاذ هذه التقاليبِ او التباديلِ سبيلاً الى توايد الفاظٍ جديدة .

---

* يسمي بعض الصرفيين توليد الألفاظ بتقليب الحروف (الاشتقاق الكبير) وتوليدها بتبديل بعض الحروف (الاشتقاق الأكبر) ، ويعكس آخرون ذلك فيجعلون (الأكبر) للتقليب و (الكبير) للتبديل . وقد آثرنا الاقتصار على (التقليب) و (التبديل) وترك مصطلح (الاشتقاق) الى الاشتقاق الصرفي المعمول به ، وهو الذي استهانوا به فسموه (الاشتقاق الصغير) .

(٢٢) الالفاظُ الاجنبيةُ في اللغة العربية :

ويُضطَرُّ أهلُ العلوم والناسُ عامّةً الى إدخال الفاظٍ اجنبيةٍ علميةٍ وحضاريةٍ في اللغة العربية يوماً بعد يوم ، للحاجة المُلِحّةِ ولعدم توفّر مقابلاتها العربية ،وقد ينطقون بهذه الالفاظ كما يُنطَقُ بها في لغاتها الاصلية ، وقد يحوّرونها بعض الشيء محاولين بذلك جعل اصواتها واوزانها تقارب اصواتَ اللغة العربية واوزانها فيما يُدعَى (بالتعريب) .

ومهما قيل في أُصول هذا التعريب وقواعده فيبدو انها مازالت غامضةً غير واضحة المعالم . فالمعروف أنهم كانوا في تعريبهم قديماً يتخذون الفاظاً على غرار (الاسطرونوميا ، والبويطيقي ، والريطوريقي ، والارتماطيقا) لمعاني (الفَلَكِ ، والشعر ، والخَطابةِ ، والحساب) . فأين تلك الالفاظ من الاوزان الاشتقاقية العربية ؟ صحيح أنّهم غيّروا بعض الالفاظ وجعلوها بأوزان عربية مثلَ (الهرطقةِ ، والزندقة) ، ولكنهم في الاغلب لم يتبعوا ذلك او لم يتمكنوا منه لاستحالته .

ولقد غيّروا اصوات بعض الحروف فجعلوا حرف T طاءاً ، وحرف C قافاً ، كمايظهر من الامثلة المذكورة ، وحرف P باءاً كمافي(البويطيقي) ، وقد يجعلونه فاءاً كما في (فيثاغورس) ، وجعاوا حرف G غَيناً كما في (الجغرافية،وغرناطة) ، وحرف D طاءاً ، كما في (غرناطة ، ومُجريط ، وقرطبة) ، وحرف V تارة باءاً ، كما في (إشبيلية ، والبندقية) ، وتارة واواً كما في (قزوين ، والقوقاز) . وتَجَنّبُوا بدءَ كلمةٍ بحرف ساكن . بأن وضعوا قبلها همزةً مكسورة ، كما في (إسْبَرطَة) . وتجنبوا التقاءَ الساكنين الصحيحين بتحريك احدهما . وقد يُقْصِرون الألِفَ الليّنةَ التي يايها ساكن فيجعلونها فتحةً ، ومثلها جعلُ الواوِ ضَمّةً والياءِ كسرةً .

المهم انه سيصعُب علينا ، كما صعُبَ عليهم قديماً ، ان نُغَيِّرَ صيغة بعض الالفاظ الاجنبية لجعلها بأوزان عربية . فلو فرضنا جدلا أنّنَا أردنا تعريبَ لفظِ (جيومورفولوجيا) او (انثروپولوجيا) وجعلَه بوزن اشتقاقيٍّ عربيٍّ فهل يتسنى لنا ذلك ؟ الجواب لا ، لان كلا اللفظين بعيد جداً عن الاوزان الاشتقاقية العربية .

لنعـد الآنَ الى ماختـاروه قديماً لاصـوات الحروف الاجنبيـة .

فلو اتّبعنا الآن بعضَ تلك القواعد في تغيير اصـوات الحروف لوجب علينا ان نقولَ (انغلترا) و (اللغةُ الانغليزية) و (سيارةُ طويوطا) و (جريدةُ إبْرَبْدَه او إفْرَوْدَه) و (سـيارةُ بولبو او وواوو) و (آبارُ بابا غُرْغُر) و (علمُ الميقانيقا) و (لَدَيَّ مِائةُ إغْرامٍ من الفِضّةِ وعشرون إفرنكاً إفرنسياً) .

لقد سبقت الاشارةُ الى أنّ الصوابَ اختيارُ الفاظ عربية لكل مصطلح اجنبيٍّ وان تُضَاعَفَ الجهودُ المبذولة لهذا الامر ولا يُتَسَاهَلَ فيه . غير أنّه لابدّ من استمرار استعمال الكثير من الاسماء الاجنبية ، كبعض العناصر والمركّبات الكيمياوية مثلِ (البوتاسيوم ، وأُكسيد الكَلسيوم) ، وبعضِ الأدوية والعقاقيرِ مثـلِ (الأمبسلين ، والمركروكروم) ، والمقاييسِ والوَحَدَات مثلِ (الفرنك ، والكيلوغرام) ، وكثيرٍ من اسماء الاعلام الاجنبية والمواقع والمعالم الجغرافية ، فضلا عن المصطلحات الاجنبية الكثيرة التي شاع استعمالها ولم تَحلَّ الفاظ عربية مَحلَّها بعدُ ، مثلِ (الميكانيك ، والترانزستر) وغيرِها . فكيف سيُنْطَقُ بكلٍّ هذه الاسماء ، وكيف ستُكتَب ؟ لعلّ من الأفضل ان يُنْطَقَ بها ، وأنْ تُكْتَبَ ، مثلما ينطق بها اهلها ، بالقَدَر المستطاع فانّ ذلك أدعىَ الى الفهم واضمن في إزالة اللبس .

ولا جَرَمَ أنّ ذلك يستلزم صُوَراً لبعض الاصوات اذا أُريدَ تمييزُها

في الكتابة، ولا سيما مايرد منها في بعض الأعلام الجغرافية والاسماء الكيمياوية. وتكاد تُجْمعُ المجامع والهيئاتُ العلمية في أحدث مقرراتها على رسم صوت G بصورة الكاف بشرطتين (گ)، وصوت P بصورة باء بثلاث نُقَط (پ)، وصوت Ch بصورة جيم بثلاث نُقَط (چ)، وصوت V بصورة فاء بثلاث نُقَط (ڤ)، وصوت S كما في measure بصورة زاي بثلاث نُقَط (ژ).

فأن لم تتيسر هذه الصورُ رُسِم صوتُ G غيناً الا اذا شاع رسمُهُ في الكلمة جيماً، و V فاءاً، و P باءاً، و Ch جيما او تاءاً و شيناً.

اما بشأن التقاء الساكنين فثمة نوعان منه، أولهُما أن يكونَ كلاهما حرفاً صحيحاً، وهو الأغربُ والأبعدُ عن اللسان العربي. وكانوا قديماً يجتنبونه بتحوير اللفظ، كما فعلوا في لفظة astrolabe الأجنبيةِ التي اجتمع فيهاالسينُ والتاءُ الساكنانفحركوا ثانيَهما وقلبوه طاءاً في لفظ(الأَسْطُرْلاب). ومثلُهُ في المصطلح الحديث الكافُ والتاءُ في (الالَكْتْرون) واللامُ والسينُ في (الكَلَسْيوم). فإنَّ اكثرَ المثقفين ينطقون بهذين اللفظين كما ينطق بهما اهلهما، ولكن بعضهم يكسر كافَ الاول ولامَ الثاني بموجَب القاعدة فيقول فيقول (الألَكِتْرون، والكَلَسِيوم). ويُضطَرّ بعضُ عامةِ الناس الى تحوير اللفظ الاول الى (الألِكِتْرَون) للتخفيف من بعض غرابته.

اما النوع الثاني من التقاء الساكنين فهو ان يكون اولهما حرفاً ليناً كما في (الكارْبون) carbon. وهذا ليس غريباً ولا ممتنعاً على اللسانِ العربي، فهو معروف في كثير من الالفاظ مثلِ (الصافّاتِ، والضالّين، والدابّةِ، والدُّوَيْبّة)، التي لايختلف أيٌّ منها عن مثال (الكارْبون) الا بكون ثاني ساكنَيْهِ مُدْغَماً بما يليه. وفيما عدا ذلك فهي من أمثلة الالفاظ العربية

التي يلتقي فيها ساكنان ، ولهذا يتعذّر مثلاً على الشاعر العربيّ استعمالُها في اوزان الشعر المعروفة ، لأنها لايُمكِن ان يلتقيَ في داخلها ساكنان ** .

لكلٍّ هذا لاتبدو ضرورةٌ للالحاح الشديد على الناس بلزوم حذف الألِف ، او تحريكِ الحرفِ الصحيحِ بعدَها ، مما جاء على غرار (كارْبُون، ومانْطَه ، وڤارْنَا ، والملاريا) ، او حذفِ الواو او تحريكِ مابعدها في أمثال (بُورْصَه ، وستوكْهُولْم ، وجُونْيَه) ، أو حذفِ الياء او تحريك مابعدها في أمثال (كِينْيا ، ومرْسيانْيا،وكيپْتَاوْن) ، ففي ذلك اغلاءٌ وتعسفٌ لا ازومَ لهما .

(٢٣) ليس النحتُ مِن طبيعة اللغة العربية :

والنحت أنْ يُختَزَل تركيبٌ من لفظينِ او أكثرُ باقتطاع حرفٍ او أكثرَ من كلٍّ لفظٍ وادماجِها بلفظةٍ واحدة . ومن ذلك ما وضعه بعض المعنيين باللغة العربية والمصطلح العلميٍّ والحضاريّ من منحوتاتٍ على غِرار (الكُبَاكَحْدِ) لكبريتات الحديد ، و (المَصْطَعْلاجِدة) للمصادرالطبيعية اللا متجددة ، و (الخامَدْرَسيّ) لما هو خارجُ المدرسة ،و (الحِزْضَر) للحزام الاخضر (١٠) .

** من طريف ما يروى ان أحدهم اراد ان يطلب (دابة) من زميل له ببيتمن الشعر فكتب له بما يأتي :

اردت الركوب الى حاجة   فمر لي بفاعلة من (دببت)

(١٠) ينظر في ذلك البحث الممتع الذي نشره الاستاذ وجيه السمان في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد ٥٧ ، ج ١ و ٢ ، ص ٩٢–١١٤ ، نيسان ١٩٨٢ ، و ج ٣ ، ص ٣٤٣–٣٦٤ ، آب ١٩٨٢ . والمصطلحات المذكورة في أعلاه هي لكل من عبدالله امين في كتابه (الاشتقاق) ، القاهرة، ١٩٥٦ ، وعبدالحق فاضل ، مجلة اللسان العربي ، مجلد ١٢ ، ج ١ ، الرباط ، ١٩٧٥ ، وساطع الحصري ، مجلة التربية والتعليم ، بغداد ١٩٢٨ ، ووجيه السمان في بحثه المذكور .

ان هذه الالفاظ ، لا مَحَالَةَ ، تبدو غريبةً على الأذن العربية ، مجافيةً للذوق ، متنافرةَ اصواتِ الحروف ، واكثرها مخالف للاوزان الاشتقاقية العربية . وغنيّ عن القول أنّ النحتَ لم يكن يوما من وسائل نموّ اللغة العربية او تطورها خلال تاريخها المعروف . فمن المعروف لدى دارسي تاريخ اللغة اللغة ان ما نحته العربُ الخُلّصُ قبل الاسلام لم يتجاوز خمسة الفاظ لا غيرها، استعملوها في النسبة الى بعض اسماء القبائل المركبة تركيباً إضافياً ، وهي (تَيْمَلِّيٌّ ، وعَبْدَرِيّ ، وعَبْشَمِيّ ، وعَبْقَسِيّ ، ومَرْقَسِيّ) نسبةً الى (تَيْمِ اللاّتِ ، وعبدِ الدارِ ، وعبدِ شمسٍ ، وعبدِ القيس ، وامْرِىء القيس) . ومثلُ هذا العدد التافه لا يعتدّ به في القياس اللغوي .

اما ما اخترعه بعضهم في العصر الاسلامي من الفاظ على غرار (بَسْمَلَ) بمعنى (قال بسم الله الرحمن الرحيم) ، و (حَمْدَلَ) بمعنى (قال الحمد لله رب العالمين)، و (سَبْحَلَ) بمعنى (قال سبحان الله) ، و (طَلْبَقَ) بمعنى (قال اطال الله بقاءك) ، و(دَمْعَزَ) بمعنى (قال دام عِزّك) فليست من ذلك بشيء . وانما هي (أفعالٌ) ومصادرُها ارادوا بها (حكايةَ أقوالٍ مشهورةٍ معروفة) . وهي على ذلك الفاظ معدودات تُعَدُّ من النادرِ في القياس اللُّغَويّ .

ولكنّ بعضَ الداعين الى النحت في هذه الايام لم يشاؤوا الاّ دَعْمَ دعوتِهم هذه بالاصرار على أنّه مما يَخْضَع للقياس . فتشبثوا لذلك بان أضافوا الى شـواهدهم المشار اليها ألفاظـاً من مثلِ (الصِّلْدِمِ ، والجُمْهُور ، و الفَرَزْدَقِ) وما اشبهها من الرباعيات والخماسيات التي كـانت ضمن ما تدارسه بعض الصرفيين الاوائل وعدّوه من المنحوتات القديمة . غير ان تلك الالفاظِ كانت قد صيغت وانتهت صياغتها في زمن تكوين اللغة العربية،ولم يَتِمّ وضعها في حقبة تأريخها المعروف . ومن لا يُعْرَف على وجه التأكيد

كيف وُضِعت وكيف نُحِتَت . وكل ما اورده الصرفيون من كون بعض الرباعيّ والخماسيّ منحوتا كان من باب الحدس والتخمين .

ولا يغب عن البال ان تلك الالفاظ لا تختلف في هذا الشأن عن سائر الفاظ اللغة . فالثلاثيات مثلا يمكن ايضا ان يقال إنّها نحتت من حرفين اضيف اليها حرف ثالث ، كما في (قَطَّ ، وقَطَعَ ، وقَطَمَ ، وقطف ، وقَطَبَ ، وقَطَلَ). ولكنّ كلَّ ذلك مجهول لدينا ، وليس لنا ان نقيس عليه ، لانه حصل في زمن التكوين ، وانتهى بعد ان استقرت اصول اللغة واساسياتها . هذا فضلا عن ان الصّرفيين الاوائل ، واشهرهم أبنُ فارس (١١) (ت : ٣٩٥ هـ)، قالوا بهذا ولكنّ أحداً لم يقل بالقياس عليه .

ولابد من القول بان اقرار النحت يناقض فكرة توحيد المصطلح العربي . فلو أخذنا على سبيل المثال متضايفين بسيطين مثل (علم الجبر) واحصينا الرباعيات والخماسيات الممكن نحتها منهما بعد حذف الالف واللام ، مع التزام الحفاظ على توالي الحروف فيهما ، على غرار (عَلْمَجٍ ، وعَمْجَبٍ ، وعَلَجْبَرٍ ، وعَلَمْجَب)، اوجدنا بعملية احصائية بسيطة ان ثمة سبعَ عشْرَةَ صيغةً ممكنة لهذا النحت . ولا شك أنّ عددَ هذه الامكاناتِ سيتضاعف بسرعة اذا زاد عدد الحروف او المتضايفات ، كما في مصطلح (القشريات العديمة الأجنحة) مثلا ، الذي يمكن ان يُصاغَ منه مئاتُ المنحوتات الرباعية والخماسية بالطريقة نفسها ، ولا جرمَ أنّنا لو أجزْنا النحت ، على مانعرفه من ضَعفِ وسائل توحيد المصطلح بين الخليج والمحيط في الوقت الحاضر (كما رأينا في مثال الحاسبة والحُسّابة والحاسوب والنظّامة واشباهها) ، لفتحنا الباب لانتشار عشرات المنحوتات الغريبة المبهمة لكل مدلول علمي واحد ، وفي ذلك اقصى درجات تشويه اللغة العربية وتفتيت وَحدة الفكر القومي .

(١١) مقاييس اللغة ، لاحمد بن فارس ، تحقيق عبدالسلام هارون ، ج ١ ، ص ٣٢٨-٣٢٩ ، ط ١ ، القاهرة ١٣٦٦ هـ .

وتجدر الاشارة الى انه لم يتيسّرْ للقائلين بجواز النحت وضعُ قواعد سهلة وواضحة له ، عدا ماقيل في ذلك من وجوب المحافظة على الذوق السليم ، وتجنب الجمع بين الحروف المتنافرة ، والتزام الاوزان الاشتقاقية العربية .

ومن المناسب لأجل هذا عرضُ أمثلةٍ اخرى لمنحوتات اقترحها بعض علماء اللغة المعنيين بدراسة النحت الداعين الى اجازته وسيلةً من وسائل وضع المصطلحات العلمية . فمن بين مااقترحه عبدالله امين صاحبُ كتاب (الاشتقاق) (الفَحْسَكُ ، والقَحْبَرُ ، والسُّمأرُ ، والدَّرْطَعُ ، والكَبَنْحَسُ ، والأزْكفْضُ ، والكُباكَحْدُ ، والكَبَنْسَنح ، والتَّتَصْدَاتُ) . ومما نحته عالم الكيمياء صلاح الكواكبيّ (الماغَوْلُ ، والماسَلْ ، والَخزْلَدَةُ) . ومما اقترحه المربّي ساطعُ الحَصْريّ : (الفَوْسَوِيّ ، والقبتاريخيٌّ ، والخامدرسي والتَّحْشعوريّ) . ومما نحته الأديب الشاعر عبدالحق فاضل (الكَثَاسَكْنُ ، والنَّعْتَوطَنُ ، والمَصْطَعْجَدَةُ ، والمَصْعَصْلاَجَدَةُ ، والتَّوْنَوْحد ، والمَنْذَبيثيٌّ ، والمَحْطَبْخَاصَةُ ، والتَّبَلْطَعْبَشَريٌّ ، والصَّمَّمْدِينيٌّ ، والمَحْطَعْمَرْعيّة) .

فإنْ كان هذا قُصارى ماتوصل اليه دارسو النحت من اهل الذوق الادبي والمعرفة اللغوية ، فأنّى للمشتغلين بالعلوم ، وجُلُّهُم أقصر باعاً في دقائق اللغة ومسالكها ، أن يُوَفَّقُوا فيماينحتونه ؟

ليس علينا ان نُخْضِعَ لغتَنا لأساليب لغةٍ اجنبية . فإنْ كانت اللغاتُ الاوربية (الصاقيّةً) تنقاد الى النحت فلا يعني ذلك أنّ علينا ان نشوّه لغتَنا وهي (اشتقاقيّةٌ) وليس من طبيعتها النحتُ . ولكلٍّ لغة ميزاتُها وخصائصُها وطرائقُها . فقد اقول بالعربية (استَنْجَدَ) ولا يمكن للانكليزيّ ان يقولَها الا بأربع كلمات he asked for help او أقولُ (تلاقيا) فيترجمها هو they met each other . ولَئِنْ يُقَلْ (سمعي

بصريّ، او سمع بصريّ، وقبلَ تاريخيّ(١٢)، وشبهُ زلاليّ، ودُونَ الذرّيّ، وشبهُ قِلَويّ) لهو افضلُ كثيراً من ان يقال (سَمْبَصيٌّ ، وقَبْتاريخيٌّ ، وشِبزاليٌّ ، ودُوذَرِّيّ ، وشبقليّ) وغيرُها من هذه المشَوَّهات التي هي اقرب الى العجمة منها الى الكلمات والأوزان العربية .

(١٢) قد ينسبون بعض المركب تركيب اضافة الى صدره كما في (ديراني) نسبة الى (دير القمر) ، أو الى عجزه كما في (منافي) نسبة الى (عبد مناف) . وقد ينسبون الى المركب الاضافي برمته تشبيها له بالمركب المزجي كما في (وادي آشي ، وعين حوري) نسبة الى (وادي آش ، وعين حور) .

مُعاذ بن جَبَل الأنصاري الخزرجي

الصحابي العالم السفير المجاهد

« أَعْلَمُ أُمّتي بالحلال والحرام مُعاذ بن جبل »

محمد رسول الله

صلّى الله عليه وسلّم

اللواء الركن محمود شيت خطّاب

(عضو المجمع)

نسبه وأيّامه الأولى

هو مُعَاذ بن جبَل بن عمرو بن أَوْس بن عائِذ بن عَدِيّ بن كَعْب ابن عمرو بن أُدَيّ بن سَعْد ، وأُدَيّ بن سعد ، هو أخو سَلِمَة بن سعد(١) ، وأُدى بن سَعْد بن عليّ بن أَسد بن سارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن الخَزْرَج(٢) الأنصاري الخزرجيّ ثمّ الجُشَمِيّ . وأُدَي الذي يُنسب إليه هو أخو سَلِمَة بن سعد القبيلة التي ينسب إليها من الأنصار ، وقد نسبه بعضهم في بني سَلِمَة ، وادّعته بنو سلمة لأنّه كان أخا سَهْل بن محمّد بن الجَدّ بن قيس لأمّه ، وسَهْل من بني سَلِمَة ، بينما معاذ من بني أُدَيّ ، ولم يبق من بني أُدَيّ أحد ، وعدادهم في بني سَلِمَة (٣) .

---

(١) طبقات ابن سعد (٥٨٣/٣) .

(٢) جمهرة أنساب العرب (٣٥٨) وانظر أسد الغابة (٣٧٦/٤) والاستيعاب (١٤٠٢/٣) وفيها : يزيد بن جشم .

(٣) أسد الغابة (٣٧٦/٤) والاستيعاب (١٤٠٣/٣) .

أمّه : هِنْد بنت سَهْل بن جُهَيْنَة ثم من بني الرَّبْعَة (٤) .

يُكنى : أبا عبدالرحمن (٥) ، وقد شهد بيعة العَقَبَة الثانية (٦) مع السبعين من الأنصار (٧) ، والصواب مع ثلاث وسبعين رجلاً وامرأتين من الأنصار (٨) ، فبايعوا رسول الله صلّى الله عليه وسلم عند العَقَبَة على أن يمنعوه مـمّا يمنعون منه نساءهم وآباءهم وأُزُرَهم (٩) وأن يرحل هو إليهم وأصحابه (١٠) ، وكان ذلك في السنة الثالثة عشرة من النبوّة (١١) .

ولما قدم الأنصار الذين بايعوا النبي صلّى الله عليه وسلّم المدينة ، أظهروا الإسلام بها ، وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشِّرك ، منهم عمرو بن الجَمُوْح بن زيد بن حَرَام بن كَعب بن غَنْم بن كعب بن سَلِمَة . وكان ابنه مُعاذ بن عمرو الذي شهد العَقَبَة وبايع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكان عمرو بن الجَمُوْح سيِّداً من سادات بني سَلِمَة وشريفاً من أشرافهم ، وكان قد اتّخذ في داره صَنَماً من خشب يقال له : مَنَاة ، كما كانت الأشراف يصنعون ، تتّخذ إلَهاً تُعظِّمه وتُطهّره ، فلما أسلم فتيان بني سَلِمَة : معاذ بن جبل ، ومعاذ بن عمرو ، وفتيان منهم ممّن أسلم وشهد العَقَبَة ، فكانوا يدلجون باللّيل على صَنَم عمرو بن الجموح ،

---

(٤) طبقات ابن سعد (٣/٥٨٣) وانظر المعارف (٢٥٤) ، وهي اي أمه من جهينة.
(٥) طبقات ابن سعد (٣/٥٨٣) واسد الغابة (٤/٣٧٦) والاصابة (٦/١٠٦) والاستيعاب (٣/١٤٠٣) .
(٦) اسد الغابة (٤/٣٧٦) .
(٧) طبقات ابن سعد (٣/٥٨٣) .
(٨) سيرة ابن هشام (٢/٤٩) وجوامع السيرة (٧٥) .
(٩) الأزر : جمع ازار ، وهو كناية عن المراة والنفس ، والثانية هي المقصودة هنا .
(١٠) جوامع السيرة (٧٤) والدرر (٧٤) .
(١١) البدء والتاريخ (٤/١٦٦) .

فيحملونه ويطرحونه في بعض حُفر بني سَلِمَة وفيها عِذَرُ(١٢) الناسُ مُنكّساً على رأسه ، فإذا أصبح عمرو قال « ويلكم ! مَنْ عدا على آلهتنا هذه اللّيلة ؟ ! » ثمّ يلتمس الصَّنَم ، حتى إذا وجده غَسَله وطهّره وطيّبه ثم قال : « أما والله لو أعلم مَنْ فعل هذا بك لأُخزِيَنّهُ » ، فإذا أمسى ونام عمرو عَدَوا عليه ففعلوا به مثل ذلك ، فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى ، فيغسله ويطهّره ويُطَيِّبه . ثمّ يَعْدون عليه إذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك ، فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوماً فغسله وطهّره وطيّبه ، ثمّ جاء بسيفه فعلّقه عليه ، ثمّ قال له : « إني والله ما أعلمَ مَنْ يَصْنع بك ما ترى ، فإن كان فيك خَيْرٌ فامتنع ، فهذا السّيف معك » ، فلما أمسى ونامَ عمرو عَدَوا على صَنَمه ، فأخذوا السّيف من عُنُقه ، ثمّ أخذوا كلباً مَيْتاً فقرنوه به . بحَبْلٍ . ثمّ أَلْقَوْه في بئر من آبار بني سلمة فيها عِذَرمن عِذَر النّاس ، وغَدَا عمرو بن الجَموح فلم يجده في مكانه الذي كان به ، فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر مُنَكّساً ، مقروناً بكلبٍ ميت ، فلما رآه أبصر شأنه وكلّمه مَنْ أسلم من قومه ، فأسلم رحمه الله وحسن إسلامه (١٣) . وكان معاذ بن جبل يكسر أصنام بني سَلِمَة لما أسلم هو وثَعْلَبَة بن عَنَمَة وعبدالله بن أُنَيْس (١٤). فكان داعياً إلى الله ولا يسكت عن الذين لا يهتدون من قومه ، فيكسر أصنامهم .

وكان عُمُرُ معاذ لما أسلم ثماني عشرة سنة (١٥) ، وكان من أفضل شباب الأنصار حلماً وحياءً وسخاء (١٦) .

---

(١٢) عذر : جمع عذرة ، وهي الغائط .
(١٣) سيرة ابن هشام (٢/٦١ – ٦٢) .
(١٤) طبقات ابن سعد (٣/٥٨٣) وانظر أسد الغابة (٤/٣٧٨) .
(١٥) أسد الغابة (٤/٣٧٦) وتهذيب التهذيب (١٠/١٨٦) .
(١٦) الاصابة (٦/١٠٧) .

وفي رواية أخرى . أنّ سبب إسلام معاذ ، أنّ عبدالله بنَ رَوَاحة كان أخاً لمعاذ في الجاهليّة ، وكان لمعاذ صَنَمٌ ، فأتى عبدُ الله منزل معاذ ، ومعاذٌ غائب ، ففلذ (١٧) صنم معاذ فِلَذاً ، فاما رجع معاذ وجد امرأته تبكي ، فقال : « ما وراءك ؟ ! » ، فأخبرته بصنيع ابن رَوَاحة بإلهه ، فتفكّر معاذ في نفسه وقال : « لو كان عند هذا طائل ، لامتنع » ، ثمّ جاء إلى عبدالله بن رَوَاحة ، وقال : « انطلق بنا إلى رسول الله » فانطلق به فأسلم (١٨) ، حيث رافقه إلى بيعة العَقَبَة التي شهدها معاذ وشهدها عبدالله بن رَوَاحة أيضاً ، اختار النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ابن رَوَاحة نقيباً من بين اثني عشر نقيباً اختارهم عليه الصّلاة والسلام (١٩) .

لقد كان معاذ من أوائل من أقبل على اعتناق الإسلام من الأنصار ، فأقبل على اعتناقه وإقبال الشباب على ما يحبّ ، فسعى إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في موطنه مكّة ، قبل هجرة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من مكّة إلى المدينة ، فلما عاد معاذ من رحلة الإيمان إلى المدينة ، عاد إليها داعياً إلى الله ، يعيش للدعوة لا لنفسه ، وينتظر مع الأنصار هجرة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهجرة المهاجرين إلى دار الهجرة ، ليكونوا يداً واحدة في خدمة الإسلام والمسلمين .

جهاده

شهد معاذ غزوة (بَدْر) الكبرى (٢٠) الحاسمة التي كانت في شهر

(١٧) فلذ الشيء فلذا : قطعه . والفلذ : جمع الفلذة ، وهي القطعة من الكبد واللحم والذهب والفضة .
(١٨) البدء والتاريخ (٥/١١٧ – ١١٨) .
(١٩) سيرة ابن هشام (٢/٦٧) وانساب الأشراف (١/٢٤٤) والمحبر (٢٦٩) .
(٢٠) سيرة ابن هشام (٢/٣٤٧) ومغازى الواقدي (١/١٧٠) والدرر (١٣٤) وجوامع السيرة (١٣٩) .

رمضان من السنة الثانية الهجريّة ، وقد شهد هذه الغزوة وهو ابن عشرين أو إحدى وعشرين سنة (٢١) .

وشهد معاذ غزوة (أُحُد) (٢٢) التي كانت في شهر شوّال من السنة الثالثة الهجريّة ، وفي هذه الغزوة استشهد حمزة بن عبدالمطلب عمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كما هو معروف ، فمضى سعد بن مُعاذ رضي الله عنه إلى نسائه وساقهن ، فلم تبق امرأة إلاّ جاء بها إلى بيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فبكين بين المغرب والعشاء حمزة رضي الله عنه ، فلما سمع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم البكاء قال : « ما هذا ؟ ! » ، فقيل : نساء الأنصار يبكين على حمزة ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « رضي الله عنكنّ وعن أولادكُنّ ! » ، وأمر أن ترد النساء إلى منازلهم ، وكان معاذ بن جبل قد جاء بنساء بني سَلِمَة فبكيْنَ على حَمْزَة مع نساء الأنصار (٢٣) .

وشهد معاذ غزوة (المُرَيْسِيع)(٢٤)، وكان مع المسلمين ثلاثون فرساً : في المهاجرين منها عشرة ، وفي الأنصار عشرون ، وكان معاذ من بين الأنصار فارساً ، (٢٥) وكانت هذه الغزوة في شهر شعبان من السنة الخامسة الهجريّة .

وشهد غزوة يهود بني (قُرَيْظة) ، وكان مع المسلمين ستة وثلاثون فرساً ، وكان معاذ أحد فرسان الأنصار (٢٦) ، وكانت هذه الغزوة في شهر ذي القعدة من السنة الخامسة الهجرية .

---

(٢١) طبقات ابن سعد (٥٩٠/٣) .
(٢٢) أسد الغابة (٣٧٦/٤) .
(٢٣) مغازي الواقدي (٣١٦/١ ـ ٣١٧) .
(٢٤) المريسيع : اسم ماء في ناحية قديد الى الساحل ، انظر معجم البلدان (٤١/٨) ، وهو ماء لخزاعة ، بينه وبين الفرع نحو يوم ، انظر وفاء الوفا (٣٧٣/٢) .
(٢٥) مغازي الواقدي (٤٠٥/١) .
(٢٦) مغازي الواقدي (٤٩٨/٢) .

وشهد معاذ غزوة (خَيْبَر) ، فقسم النبي صلّى الله عليه وسلّم الغنائم بين المسلمين ، وجعل رؤساء على المسلمين ، لكلٍ مائة رجل منهم رئيس ، وكان رئيس بني سَلِمَة معاذ (٢٧) ، وكانت هذه الغزوة في شهر المحرّم من السنة السّابعة الهجريّة .

وشهد غزوة فتح (مكّة) فاستعمله النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على أهل مكّة يُعلِّمهم السُّنَنَ والفقه ، ثم خرج عليه الصّلاة والسّلام مع الصّحابة إلى (حُنَيْن)(٢٨) ، وكانت غزوة فتح مكّة في شهر رمضان من السنة الثامنة الهجريّة .

وبعد عودة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالمسلمين من غزوة (حُنَيْن) والطّائف إلى مكة ، وعودته بهم من مكّة إلى المدينة ، خلّف معاذ بن جبل في مكّة يعلِّم الناس القرآن والفِقه (٢٩) فنهض بواجبه التعليمي على أحسن وجه.

وشهد معاذ غزوة (تَبُوْك) ، وكان الناس مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ثلاثين ألفاً ، ومن الخيل عشرة آلاف فرس . وأمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كلّ بَطْنٍ من الأنصار أن يتخذوا راية ، والقبائل من العرب فيها الرايات والألوية . وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد دفع راية بني مالك بن النّجّار إلى عُمَارَة بن حَزْم . فأدرك رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم زيدُ بن ثابت ، فأعطاه الرّاية . قال عُمارة : « يا رسول الله ! لعلّك وَجَدْتَ عليّ ! » (٣٠) ، قال : « لا واللهِ ، ولكن قدِّموا

(٢٧) مغازى الواقدي (٢/٦٨٩ – ٦٩٠) .
(٢٨) مغازى الواقدي (٣/٨٨٩) وطبقات ابن سعد (٢/٣٤٨) وانساب الاشراف (١/٣٩٥) وابن الاثير (٢/٢٧٢) .
(٢٩) مغازى الواقدي (٣/٩٥٩) وسيرة ابن هشام (٤/١٤٩) .
(٣٠) وجد على : غضب على ، انظر النهاية (٤/١٩٦) .

القرآن ، وكان أكثر أخذاً للقرآن منك ، والقرآن يُقَدِّم ، وإن كان عبداً أسود مُجَدَّعا » (٣١) . وأمر في الأوس والخزرج أن يحمل راياتهم أكثرهم أخذاً للقرآن ، وكان معاذ بن جبل يحمل راية بني سَلِمَة (٣٢) .

وكان كعْب بن مالك الأنصاري أحد الثلاثة الذين خُلِّفوا ، فلم يشهد غزوة تبوك مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فذكر كعب قصّة تخلّفه فقال : « . . . وغزا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تلك الغزوة — حين طابت الثمار ، وأُحِبّت الظِّلال ، فالناس إليها صُعْر (٣٣) ، فتجهّز رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وتجهّز المسلمون معه ، وجعلتُ أغدو لأتجهّز معهم ، فأرجع ولم أقض حاجة ، فأقول في نفسي : أنا قادر على ذلك إذا أردتُ ، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى شَمّرَ بالناس الجِد ، فأصبح رسول الله صلّى الله عليه وسلّم غادياً والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً ، فقلت : أتجهّز بعده بيوم أو يومين ثم ألحق بهم ، فغدوتُ بعد أن فَصَلُوا لأتجهّزَ ، فرجعتُ ولم أقْضِ شيئاً ، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئاً ، فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى أسرعوا وتَفَرَّطَ (٣٤) الغزو ، فهممت أن أرتحل فأدركهم وليتني فعلت ، فلم أفعل . وجعلت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فطُفْتُ فيهم يُحْزِنني أني لا أرى إلاّ رجلاً مَغْمُوْصاً عليه (٣٥) في النفاق ، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء . ولم يذكرني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حتى بلغ

(٣١) المجدع : المقطوع الأنف ، انظر النهاية (١/١٤٨) .

(٣٢) مغازي الواقدي (٣/١٠٠٢ — ١٠٠٣) .

(٣٣) صعر : بضم فسكون ، جمع اصعر ، وهو المائل ، ومنه قوله تعالى : (ولا تصعر خدك للناس) ، أي لاتعرض عنهم ولاتمل وجهك الى جهة اخرى .

(٣٤) تفرط الغزو : فات وسبقني ، والفارط والفرط ــ كبطل ــ السابق المتقدم ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : «أنا فرطكم في الحوض» .

(٣٥) مغموصا عليه : مطعونا عليه ، تقول : غمصت الرجل : اذا طعنت عليه .

تبوك ، فقال وهو جالس في القوم بتبوك : ما فعل كعبُ بن مالك ؟ ! فقال رجل من بني سَلِمَة : يا رسول الله ! حَبَسَهُ بُرْداه والنّظَر في عِطْفَيْهِ ! فقال له مُعاذ : بئس ما قلتَ ، والله يا رسول الله ما علمنا منه إلاّ خيراً (٣٦) .

وهكذا يدافع معاذ عن الحقّ بالحق ، ولا يسكت عن غمز أحد إخوانه بدون حق .

ولما عاد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالمسلمين من تبوك إلى المدينة المنوّرة ، فسأل كعب بن مالك عن سبب تخلّفه ، قال كعب : « . . . والله ما كان لي عذر ، والله ما كنت أقوى ولا أيسرَ مني حين تخلّفت عنك ! » ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « أما أنت ، فقد صدقت ، فَقُمْ حتى يقضي الله عزّ وجلّ فيك » ، فقام كعب ، وقام معه رجال من بني سَلِمَة ، فقالوا له : « والله ما علمناك كنتَ أذنبت ذنباً قبل هذا ! وقد عجزت الاّ تكون اعتذرت إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بما اعتذر إليه المُخلّفون ، فقد كان كافيك ذَنْبَكَ استغفارُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لك » . فما زالوا به يؤنبونه حتى أراد أن يرجع إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فيكذّب نفسه ، ولكنه لقي معاذ بن جبل وأبا قَتَادَة ، فقالا له : « لا تُطِعْ أصحابَك وأَقِمْ على الصِّدْق ، فإنّ الله سيجعل لك فرجاً ومخرجا إن شاء الله ! » (٣٧) .

وهكذا دافع معاذ عن الحق ، وأمر بالصِّدق ، وأنقذ صاحبه من الوقوع في الكذب ، والنجاة في الصِّدق وحده .

وكانت غزوة تبوك في شهر رجب من السنة التاسعة الهجريّة ، وكانت

(٣٦) سيرة ابن هشام (١٨٨/٤ ـ ١٨٩) .
(٣٧) مغازي الواقدي (١٠٥٠/٣) ، وانظر سيرة أبي قتادة في كتابنا : قادة النبي صلى الله عليه وسلم .

آخر غزوات النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وقد شهد معاذ مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم المشاهد كلّها (٣٨) ، ولم يتخلّف عن مشهد من المشاهد ، إلا غزوة (حُنَيْن) وغزوة (الطّائف) ، فقد خلّفه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في مكّة لتعليم أهلها السُّنَن (٣٩) .

وقد ذكرنا الغزوات التي ورد ذكر معاذ فيها . في المصادر المعتمدة المتيسرة بين يديّ ، ولم يرد ذكره في الغزوات الأخرى ، إذ لا يمكن أن تذكر أسماء جميع الصحابة الذين شهدوا كلّ غزوة من غزوات النبيّ صلّى الله عليه وسلم وحسب أحدهم أن يذكر في بعض الغزوات . ويذكر بأنه شهد المشاهد كلّها مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أو شهد قسماً منها ولم يشهد قسماً آخر منها لسبب أو لآخر .

وبذلك نال معاذ شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء النبي صلّى الله عليه وسلّم .

السفير :

كتب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى ملوك اليمن : الحارث ، ومَسْروح ، ونُعَيْم بن عبد كُلاَل من حِمْيَر ، يدعوهم إلى الإسلام .

وكان نص كتاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم :

سِلْم أنتم ما آمنتم بالله ورسوله . وإنّ الله وحده لا شريك له ، بعث موسى بآياته ، وخلق عيسى لكلماته ، قالت اليهود : عُزَيْرٌ ابن الله ، وقالت النصارى : الله ثالثُ ثلاثةٍ ، عيسى ابن الله (٤٠) .

علامة الختم — الله / رسول / محمد

(٣٨) اسد الغابة (٣٧٦/٤) والاستيعاب (١٤٠٢/٣) والجامع (٤٩٣/٤) .
(٣٩) انساب الأشراف (٣٥٦/١) .
(٤٠) انظر تفاصيل المصادر والمراجع في : مجموعة الوثائق السياسية (١٤٣) .

ولا نعلم مَن حمـــل رسالة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى ملوك حِمْيَر ، ولا موعد إرسال هذه الرسالة ولكن من الواضح أنها أرسلت بعد فتح مكّة الذي كان في رمضان من السنة الثامنة الهجرية ، لأنّه لا يمكن إرسال مثل هذه الرسالة قبل الفتح ، لأنّ مكّة التي كانت بيد قريش كانت الحاجز بين المنطقة الإسلامية التي مقرّها المدينة ، وبين المنطقة غير الإسلامية التي مقرّها مكة وتمتد نحو الجنوب إلى اليمن وجنوبي الجزيرة العربية . ويحتمل أنّه أرسلَ كتابه هذا إلى ملوك اليمن مُنْصرفه من (الجِعْرانَة) (٤١) في طريقه إلى مكّة للعُمْرَة، كما فعل في إرسال كتب أخرى إلى ملوك ورؤساء آخرين (٤٢) إذ أصبح الطريق إلى اليمن وإلى غيرها سالكاً مفتوحاً .

وكان مُنْصَرَفُ النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم من الجِعْرانَة في شهر ذي القعدة من السنة الثامنة الهجرية (٤٣) .

وفي شهر رمضان السنة التاسعة الهجريّة ، قَدِم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كتاب ملوك حِمْيَر مَقْدَمَه من تَبوكَ رسولهم إليه بإسلامهم : الحارث بن عبد كُلال ، ونُعَيْم بن عبد كُلال ، والنُّعمان قَيْل ذي رُعَيْن ، وهَمْدان ، ومَعافِر ، كما بعث زُرْعَة ذو يَزَن إليه مالك بن مُرَّة الرَّهاويّ باسلامه وإسلام ملوك اليمن ، ومفارقتهم الشّرك وأهله (٤٤) .

وكتب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، إلى أهل اليمن كتاباً يخبرهم فيــه بشرائــع الإسلام وفرائض الصَّدقة في المواشي والأموال ، ويوصيهم بأصحابه ورسله خيراً ، وكان رسوله إليهم مُعاذ ومالك بن مُرارة .

---

(٤١) الجعرانة : ماء بين الطائف ومكة ، وهي الى مكة اقرب ، نزلها النبي صلى الله عليه وسلم فقسم غنائم هوازن مرجعه من غزاة حنين ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٠٥/٣) .

(٤٢) طبقات ابن سعد (٢٦٣/١) .

(٤٣) طبقات ابن سعد (١٧٠/٢) .

(٤٤) الطبري (١٢٠/٣) .

والصواب أنّه مالك بن مُرارة الرَّهاويّ (٤٥) منسوب إلى رَهاء بن مُنَبِّة بن حرب قبيلة من مَذْحج (٤٦) .

وكتب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى عدّة من أهل اليمن سمّاهم ، منهم : الحارث بن عبد كُلال ، وشُرَيْح بن عبد كُلال ، ونُعَيْم بن عبد كُلال ، ونعمان قَيْل (٤٧) ذي يَزَن ، ومَعَافِر ، وهَمْدان ، وزُرْعة ذي رُعَيْن ، وكان قد أسلم من أوّل حِمْيرا ، وأمرهم أن يجمعوا الصّدقة والجزية فيدفعوهما إلى معاذ بن جبل ومالك بن مُرارة ، رسول أهل اليمن إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بإسلامهم وطاعتهم ، فكتب إليهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، أنّ مالك بن مُرارة قد بلّغ الخبر وحفظ الغيب .

وكتب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى بني معاوية من كِنْدَة ، بمثل ذلك .

وكتب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى بني عمرو من حِمْيَر يدعوهم إلى الإسلام (٤٨) .

وكان نصّ جواب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على كتاب ملوك اليمن الذي بعثوه إليه بإسلامهم :

بسم الله الرحمن الرحيم

من : محمّد رسول الله النبيّ .

الى : الحارث بن عبد كُلال ، وإلى نُعَيْم بن عبد كُلال . وإلى النُّعْمان قَيْل ذي رُعَيْن ومَعَافِر وهَمْدان :

---

(٤٥) انظر سيرته في : أسد الغابة (٢٩٣/٤) والاصابة (٣١/٦) والاستيعاب (١٣٥٨/٣) .

(٤٦) الاصابة (٣١/٦) .

(٤٧) القيل : يقال هو الملك ، ويقال بل هو دون الملك الاعلى ، وهذا هو الاكثر. وسمي بذلك لانه ذو القول ، أي : الذي اذا قال لم يرد أحد قوله .

(٤٨) طبقات ابن سعد (٢٦٤/١ ــ ٢٦٥) .

أما بَعْد ذلكم ، فإني أحمد إليكُم الله الذي لا إله إلاّ هو .

أما بَعْدُ ، فإنه قد وَقَعَ بنا رسولُكم مُنْقَلَبنا من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة ، فبلّغ ما أرسلتُم به ، وخبّرَ ما قِبَلَكُمْ ، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ، وأنّ الله قد هداكم بهُداه إنْ أصلحتُم وأطعتم الله ورسولَه وأقمتم الصّلاةَ وآتيتُمُ الزّكاةَ وأعطيتم من المغانم خُمُسَ الله وسَهْم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وَصَفِيّهُ (٤٩) وما كُتِب على المؤمنين من الصّدقة من العَقَار (٥٠) عشر ما سقت العَيْنُ وسقت السّماء ، وعلى ما سقى الغَرْبُ (٥١) نصف العُشْر . إنّ في الإبل الأربعين ابنة لَبُوْن ، وفي كلِّ عشر من الإبل شاتان ، وفي كلّ أربعين من البقر بَقَرة ، وفي كلٍّ ثلاثين من البقر تَبِيع (٥٣ جذَع (٥٤) أو جذعة ، وفي كل أربعين من الغَنَم سائمة وحدها شاة ، وإنّها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير له ، ومَنْ أدّى ذلك وأشْهَدَ على إسلامه وظاهَرَ المؤمنين (٥٥) على المشركين فإنّه من المؤمنين : له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، وله ذمّة الله وذمّة رسوله ، وإنّه من أسلم من يهوديّ أو نصرانيّ فإنه من المؤمنين : له مالهم ، وعليه ما عليهم ومَن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنّه لا يُردّ عنها وعليه الجِزْيَة على كل (٥٦) حالمٍ ذكر أو أنثى

(٤٩) الصفي : مايصطفيه الرئيس من الغنيمة قبل أن تقسم الغنائم ، وهو فعيل بمعنى مفعول .
(٥٠) العقار ــ بزنة سحاب : هو ههنا الارض التي تزرع .
(٥١) الغرب ــ بفتح وسكون : هي الدلو العظيمة .
(٥٢) ابن لبون : ولد الناقة اذا استكمل السنة الثانية ودخل في الثالثة ، لان امه ولدت غيره فصار لها لبن ، وهي ابنة لبون وبنت لبون .
(٥٣) التبيع : ولد البقرة .
(٥٤) الجذع : ما استكمل سنتين ودخل في الثالثة .
(٥٥) ظاهر المؤمنين : عاونهم وقواهم وكان معهم على من سواهم . عاون وآزر .
(٥٦) الجزية : خراج الارض ، وما يؤخذ من أهل الذمة .

حر أو عبدٍ دينار وافٍ من قيمة المعافر (٥٧) أو عوضه ثياباً ، فمن أدّى ذلك إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فإن له ذمّة الله ورسوله ، ومَنْ منعه فإنّه عدوٌ لله وارسوله .

أما بَعْدُ ، فإنّ رسول الله محمّداً النبيّ أرسل إلى زُرعَة ذي يَزَن ، أن إذا أتاكم رُسُلي فأوصيكم بهم خيراً : مُعَاذ بن جَبَل ، وعبدالله بن زَيْد ، ومالك بن عُبَادة ، وعُقْبَة بن نَمِر ، ومالك بن مُرَّة وأصحابهم ، وأن اجمعوا ما عندكم من الصّدقة والجزية من مخاليفكم (٥٨) وأبلغوها رُسُلي ، وإن أميرهم معاذ بن جبل ، فلا ينقلبنّ إلاّ راضياً .

أما بَعْدُ ، فإنّ محمّداً يشهد أن لا إلَهَ إلاّ الله ، وأنّه عبده ورسوله .

ثمّ إنّ مالك بن مُرَّة الرَّهاوي قد حدثني أنّك أسلمتَ من أوّل حِمْيَر وقتلت المشركين . فأبشرْ بخيرٍ ، وآمرك بحِمْيَر خيراً ، ولا تخونوا ، ولا تَخَاذَلُوا ، فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هو مولى غنيّكم وفقيركم ، وإنّ الصدقة لا تحلّ لمحمّد ولا لأهل بيته ، إنّما هي زكاةٌ يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل . وإنّ مالكاً قد بلّغ الخبر وحَفِظَ الغَيْبَ ، وآمركم به خيراً ، وإني قد أرسلت إليكم من صالحي أهلي وأولى دينهم وأولى علمهم ، وآمركم بهم خيراً ، فإنهم منظورٌ إليهم ، والسّلام عليكم ورحمة الله وبركاته (٥٩) .

الله

علامة الختم رسول

محمد

---

(٥٧) المعافر : ثياب من ثياب اليمن .

(٥٨) المخاليف : جمع مخلاف ، وهي الكورة ، وفي الاصطلاح الحديث : المحافظة .

(٥٩) نص كتاب النبي صلى الله عليه وسلم من سيرة ابن هشام (٤/٢٥٨–٢٦٠)، وانظر الطبري (٣/١٢٠ – ١٢٢) واليعقوبي (٢/٦٤ – ٦٥) ، وانظر تفاصيل المصادر – والمراجع من : مجموعة الوثائق السياسية (١٤٤) وبعض الاختلاف في بعض النصوص من (١٤٧ – ١٤٨) .

وحين بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مُعَاذاً ، أوصاه وعهد إليه ، ثمّ قال : « يَسِّر ولا تُعَسِّرْ ، وبَشِّر ولا تُنَفِّرْ ، وإنّك ستقدم على قوم من أهل الكتاب يسألونك : ما مفتاح الجنّة ؟ فقل : شهادة ألاّ إله إلاّ الله وحده لا شريك له » (٦٠)

كما كتب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى عَرِيْب بن عبد كُلال وهو أخو الحارث بن عبدُ كُلال ، وكان إليهما أمر حِمْيَر (٦١) في اليمن .

ولم يُرْوَ نص الكتاب .

وكتب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى فَهَد الحِمْيَريّ من أقيال أهـل اليمن ممن أسلم ، وفيه يقول الشّاعر :

ألا إنّ خير النّاس كلّهم فَهْدُ وعبد كُلال خيرسائرهم بَعْدُ (٦٢)

ولم يُرْوَ نصّ الكتاب .

وكتب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى عبدالعزيز بن سَيْف بن ذي يَزَن الحِمْيَرِي ، والمشهورأنّ النبيّ صلّىالله عليه وسلّم كتب إلى أخيه زُرْعَة(٦٣)

كما كتب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى عُمَيْر ذي مرّان (٦٤) أحد رؤساء هَمْدان ، وهو عُمَير بن أفلَح بن شرَاحيل بن ربيعة وهو ناعِط ، وقيل اسمه : عُمَيْرَة (٦٥) ، والأول أصحّ .

وكان نصّ الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب ، من : محمّد رسول الله .

---

(٦٠) سيرة ابن هشام (٤/٢٦٠) .
(٦١) أسد الغابة (٣/٤٠٧) والاصابة (٥/١٠٦) .
(٦٢) الاصابة (٥/٢١٩) .
(٦٣) أسد الغابة (٣/٣٢٩) والاصابة (٤/١٨٩) .
(٦٤) انظر ترجمته في : أسد الغابة (٤/١٤٧) .
(٦٥) جمهرة انساب العرب (٣٩٣) .

الى : عُمَيْر ذي مَرَّان ، ومَنْ أسلم من هَمْدان .

سِلْمٌ أنتم . فإني أحمد الله إليكم الذي لا إلَه إلاّ هو .

اما بعْدَ ذلك : فإنّه بلغني إسلامكم مرجعنا من أرض الرُّوم ، فأبشروا فإنّ الله قد هداكم بهُداه . وإنكم إذا شهدتم أن لا إلَه إلاّ الله ، وأنّ محمّداً عبدالله ورسوله ، وأقمتم الصّلاة ، وآتيتم الزّكاة ، فإنّ لكم ذمّة الله وذمّة رسوله ، على دمائكم وأموالكم وأرض البور التي أسلتم عليها ، سهلها وجبلها وعيونها وفروعها ، غير مظلومين ولا مضيّق عليكم .

وإنّ الصَّدقة لا تحلّ لمحمّد ولا لأهل بيته ، إنّما هي زكاة تزكونها عن أموالكم لفقراء المسلمين .

وإنّ مالك بن مُرَارة الرَّهاويّ قد حفظ الغيب وبلّغ الخبر ، فآمركم به خيراً ، فإنّه منظور إليه .

وكتب عليّ بن أبي طالب (٦٦)

الله

علامة الختم رسول

محمّد

لقد بعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مُعَاذ بن جَبَل الى اليمن في شهر ربيع الآخر من السنة التاسعة الهجريّة (٦٧) ، والصواب انه بعثه بعد غزوة (تَبوك) (٦٨) التي كانت في شهر رجب من السنة التاسعة الهجرية التي شهدها مُعاذ مع النبي صلّى الله عليه وسلّم ، وبعد شهر رمضان المبارك من السنة التاسعة الهجريّة كما ورد في نصّ رسالة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم الجوابية

(٦٦) أسد الغابة (١٤٧/٤) واليعقوبي (٦٥/٢) ، وانظر المصادر والمراجع الاخرى في : مجموعة الوثائق السياسية (١٥٢ ـ ١٥٣) .

(٦٧) طبقات ابن سعد (٥٨٤/٣) .

(٦٨) الجامع (٤٩٢/٤) .

إلى ملوك اليمن ، فقد قدم المدينة رسولهم في رمضان المبارك بإسلامهم ، فأجابهم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وحمل رسالته إليهم معاذ .

وقد بعثه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى اليمن سفيراً ، وقاضياً ، ومرشداً (٦٩) يعلّم الناس القرآن وشرائع الإسلام (٧٠) ويقبض الصّدقة من عمّال اليمن (٧١).

وقد حمل ما بعث به النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من رسائل إلى ملوك اليمن ، فبلّغ الملوك وأدّى الأمانة ، فكان نعم السفير .

ولكن لم يقتصر واجبه على السفارة ، بل كان قاضياً يقضي بين الناس بالعدل ، ومرشداً يرشدهم إلى طريق الحق ، ومعلّماً يعلّم القرآن والسنن وشرائع الإسلام ، وواليًا يجبى الزكاة والصّدقة من العمال الآخرين .

لقد أدّى معاذ واجبه بالرغم من ثقله وصعوبته على أحسن وجه .

في حروب ردّة اليَمَن

كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد بعث معاذاً قاضياً إلى (الجَنَد) (٧٢) من اليمن ، يعلّم الناس القرآن وشرائع الإسلام ، ويقضي بينهم ، وجعل إليه قبض الصدقات من العُمّال الذين باليمن .

وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد قسم اليمن على خمسة رجال : خالد بن سعيد (٧٣) على صَنْعَاء ، والمهاجر بن أبي أُمَيّة (٧٤) على

---

(٦٩) الجامع (٤٩٢/٤) . (٧٠) الاستيعاب (١٤٠٣/٣) .

(٧١) أنساب الأشراف (٥٢٩/١) .

(٧٢) الجند : أعظم أقسام اليمن ، وهي من أرض السكاسك ، وبين الجند وصنعاء ثمانية وخمسون فرسخا ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٤٧/٣ ـ ١٤٩) .

(٧٣) هو خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي ، انظر تفاصيل سيرته في : أسد الغابة (١٨٢/٢ ـ ٨٤) والاستيعاب (٤٢٠/٢ ـ ٤٢٤) والاصابة (٩١/٢ ـ ٩٢) .

(٧٤) المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ، انظر تفاصيل سيرته في : أسد الغابة (٤٢٢/٤ ـ ٤٢٣) والاصابة (١٤٤/٦ ـ ١٤٥) .

(كِنْدَه)(٧٥) وزياد بن لبيد(٧٦) على حَضْرَمَوْت ، ومُعَاذ بن جَبَل على الجَنَد ، وابي موسى الأشعري (٧٧) على (زَبِيْد)(٧٨) وعَدَن والسّاحل (٧٩) ، وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لمعاذ حين وجّهه إلى اليمن : « بِمَ تَقضي ؟ » ، قال : « بما في كتاب الله » ، قال : « فإن لم تَجِد ؟ » ، قال : « بمـا في سُنّة رسول الله » ، قال : « فإن لم تجد ؟ » ، قال : « أجْتَهِدُ رأيي » ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « الحمد لله الذي وفّق رسولَ رسول الله لما يحب رسول الله » (٨٠) ، فكان معاذ على الجَنَد بخاصة ، ولكنّـه كان معلّما يتنقّل في عمالة كلّ عامل باليمن وحَضْرَمَوْت (٨١) .

وكان الأسود العَنْسِيّ ، واسمه: عَيْهَلَة بن كعب العَنْسِيّ ، وعَنْس بطن

---

(٧٥) كندة : مخلاف باليمن على اسم كندة القبيلة ، انظر معجم البلدان (٢٨٤/٧) ، وكندة قبيلة عظيمة من قبائل اليمن ، وكندة اسمه ثور بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن ادد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، انظر جمهرة انساب العرب (٤٢٥ ـ ٤٢٩) .

(٧٦) زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنداد الانصاري الخزرجي ، انظر تفاصيل سيرته في : اسد الغابة (٢١٧/٢) والاستيعاب (٥٣٣/٢ ـ ٥٣٤) والاصابة (٢٠/٣) وطبقات ابن سعد (٥٩٨/٣) .

(٧٧) أبو موسى الاشعري : انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح فارس (١٧٨ ـ ١٩٢) .

(٧٨) زبيد : اسم وادي به مدينة يقال لها : الحصيب ، ثم غلب عليها اسم الوادي ، فلا تعرف الا به ، وهي مدينة مشهورة باليمن وبازائها ساحل المندب ، انظر التفاصيل من معجم البلدان (٣٧٥/٤ ـ ٣٧٦) .

(٧٩) الاستيعاب (١٤٠٣/٣) والطبري (٤٢٧/٣) وابن الأثير (٤٢١/٢) والمحبر (١٢٦) وانساب الاشراف (٥٢٩/١) وتاريخ خليفة بن خياط (٦٢/١) . وانظر طبقات ابن اسعد (٥٨٦/٣) .

(٨٠) رواه ابو داود واحمد ، انظر المعجم المفهرس لالفاظ الحديث (٢٦٦/٧) .

(٨١) الطبري (٢٢٨/٣) وابن الأثير (٣٣٦/٢) .

من مَذْحِج ،وكان يلقب : ذا الخمار ، لأنّه كان معتماً متخمراً أبدا (٨٢) .

ولما عاد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من حجة الوداع التي كانت سنة عشر الهجرية (٨٣) إلى المدينة المنوّرة وتمرّض من السفر غير مرض موته ، بلغ الأسود العَنْسي ذلك ، فادّعى النبوّة ، وكان مُشعبذاً يُريهم الأعاجيب ، فاتّبعته مَذْحِج ، وكانت رِدّة الأسود أوّل رِدّة في الإسلام على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وغزا (نَجْران) (٨٤)فأخرج عنها عمرو بن حَزْم (٨٥) وخالد بن سعيد .

ووثب قيس بن عبد يغوث بن مَكْشُوح (٨٦) على فَرْوة بن مُسَيْك(٨٧) وهو على مُراد (٨٨) ، فأجلاه ونزل منزله .

وسار الأسود عن نجران إلى صَنْعاء . فخرج إليه شَهْر بن باذان (٨٩) فلقيه ، فقُتل شَهْر لخمس وعشرين ليلة من خروج الأسود .

وانحاز معاذ بأبي موسى الأشعري وهو بـ (مَأْرِب) (٩٠) ، فلحقا

---

(٨٢) ابن الأثير (٢/٣٣٩) وانظر جمهرة انساب العرب (٤٠٥-١٢) .

(٨٣) العبر (١/١٢) .

(٨٤) نجران : من مخاليف اليمن من ناحية
معجم البلدان (٨/٢٥٨ - ٢٦٥) .

(٨٥) عمرو بن حزم الانصاري الخزرجي النجاري ، انظر سيرته المفصلة في أسد الغابة (٤/٩٨) والاصابة (٤/٢٩٣) والاستيعاب (٣/١١٧٢) .

(٨٦) قيس بن عبد يغوث بن مكشوح المرادي ، انظر سيرته في أسد الغابة (٤/٢٢٢) و (٤/٢٢٧) و الاصابة (٥/٢٦٥) .

(٨٧) فروة بن مسيك المرادي ، انظر سيرته المفصلة في : أسد الغابة (٤/١٨٠) والاصابة (٥/٢٠٩) والاستيعاب (٣/١٢٦١) .

(٨٨) مراد بن مالك بن ادد بن مذحج ، انظر جمهرة انساب العرب (٤٠٦) .

(٨٩) شهر بن باذان : انظر سيرته المفصلة في أسد الغابة (٣/٦) والاصابة (٣/٢٢٦) .

(٩٠) مأرب : بلاد الازد باليمن ، واسم قصر كان لهم ، وقيل : هو اسم لكل ملك كان يلي سبأ ، واسم سد في اليمن ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/٣٥٤) .

بحضرموت ، ولحق بفَروَة بن مُسَيْك مَنْ تَمَّ على إسلامه من مَذْحِج .
واستتبَّ للأسود مُلْك اليمن ، ولحق أمراء اليمن إلى الطّاهر بن أبي أبي هالة (٩١) والطّاهربجبال (عَكّ)(٩٢) وجبال صنعاء ،وغلب الأسود على ما بين مفازة حضرموت إلى الطّائف إلى البحرين والأحساء إلى عَدَن ، واستطار أمره كالحريق ، وكان معه سبعمائة فارس يوم لقي شَهْراً سوى الركبان ! ولكنّ أمره استغلظ ، وكان خليفته على مَذْحِج عمرو بن مَعْدِي كَرِب (٩٣) ، وكان خليفته على جنده قيس بن عبد يغوث ، وأمر الأبناء (الفُرْس) إلى فيروز وداذَوَيْه .

وكان الأسود تزوّج امرأة شهر بن باذان بعد قتله ، ولأهي ابنة عم فيروز وخاف مَن بحضرموت من المسلمين أن يبعث الأسود إليهم جيشاً أو يظهر بها كذّاب مثل الأسود ، فتزوّج معاذ الى قبيلة السّكُون (٩٤) ، فعطفوا عليه .

وجاء إليهم وإلى مَنْ باليمن من المسلمين كُتُبُ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يأمرهم بقتال الأسود ، فقام معاذ في ذلك ، وقويت نفوس المسلمين ، وكان الذي قدم بما كتب النبي صلّى الله عليه وسلّم وَبْرَة بن يُحَنِّس الأَزْدِي (٩٥) . قال جِشْنَس الدَّيْلَمي (٩٦) : « فجاءتنا كتب النبيّ صلّى

---

(٩١) الطاهر بن أبي هالة الاسدي التميمي : انظر تفاصيل سيرته في أسد الغابة (٣/٥٠) والاصابة (٣/٢٨٣) .
(٩٢) عك بن عدنان ، انظر جمهرة أنساب العرب (٣٢٨) ، وهي قبيلة يضاف اليها مخلاف باليمن ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٢٠٤) .
(٩٣) عمرو بن معدي كرب الزبيدي ، انظر تفاصيل سيرته في أسد الغابة (٤/١٣٢) والاصابة (٥/١٨) والاستيعاب (٣/١٢٠١) .
(٩٤) هي قبيلة السكون بن أشرس بن كندة اليمنية ، انظر جمهرة انساب العرب (٤٢٩) .
(٩٥) انظر سيرته المفصلة في : أسد الغابة (٥/٨٣) والاصابة (٦/٣١٤) والاستيعاب (٤/١٥٥١) .
(٩٦) احد الفرس الذين كانوا في اليمن حينذاك ، والد يلم من الفرس .

الله عليه وسلّم يأمرنا بقتاله إما مصادمةً أو غيلة – يعني إليه وإلى فيروز وداذَويه – وأن نكاتب مَنْ عنده دِينٌ ، فعملنا في ذلك ، فرأينا أمراً كثيفاً . وكان الأسود قد تغيّر لقيس بن عبد يَغوث ، فقلنا : إنّ قيساً يخاف على دمه ، فهو لأوّل دعوة ، فدعوناه وأبلغناه عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فكأنّنا نزلنا عليه من السّماء ، فأجابنا . وكاتبنا النّاسّ ، فدعا قيساً وأخبره أنّه يشكّ في أمره لأنّه يميل إلى عدوّه ، فحلف قيس للأسود : لأنتَ اعظم في نفسي من أن أُحدّث نفسي بذلك .

« وأتانا قيس ، فقال : يا جِشْنَس ويا فَيْروز ويا داذَوَيه : إنّ الأسود خامره الشكّ في أمري ! فبينما نحن معه يحدّثنا ، إذ أرسل إلينا الأسود يتهدّدنا ، فاعتذرنا إليه ونجونا منه ولم نكَدْ وهو مرتاب بنا ونحن نحذره ، فبينما نحن على ذلك إذ جاءتنا كتب عامِر بن شَهْر (٩٧) وذي زَوْدٍ وذي مُرّان وذي الكَلاَع وذي ظُلَيْم يبذلون لنا النّصر ، فكاتبناهم وأمرناهم أن لا يفعلوا شيئاً حتى نُبرِم أمرنا . وإنما اهتاجوا لذلك حين كاتبهم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وكتب أيضاً إلى أهل نَجْران فأجابوه ، وبلغ ذلك الأسود ، وأحسّ بالهلاك .

« فدخلت على آزاد ، وهي امرأته التي تزوّجها بعد قتل زوجها شهر بن باذان ، فدعوتها إلى ما نحن عليه ، وذكرتها قتل زوجها شهر وإهـلاك عشيرتها وفضيحة النساء . فأجابت : والله ما خلقَ اللهُ شخصاً أبغض إليّ منه ، ما يقوم لله على حقّ ولا ينتهي عن مُحَرَّم ، فأعلموني أمركم أخبركم بوجه الأمـر .

« وخرجت وأخبرت فيروز وداذويه وقيساً ، فجاء رجل دعا قيساً إلى إلى الأسود ، فدخل في عشرة من مَذْحِج وهَمَدان ، فلم يقدر على قتله

(٩٧) انظر سيرته في : أسد الغابة (٣/٨٣) والاصابة (٤/٩) والاستيعاب (٢/٧٩٢) .

معهم ، ولكنّه كشف له شكوكه في إخلاصه له ، ولكن قيساً أكّد له أخلاصه له » .

وأخيراً اتّفقوا على نقب الدار التي فيها الأسود ، فدخلوا عليه : فيروز وداذَويه وجِشْنَس وقيس ، فقتل فيروزُ الاسودَ ليلاً ، فلما طلع الفجر نادوا بالأذان : أشهد أنّ محمداً رسول الله ، وأنّ عَبْهَلَة كذّاب .

وتراجع أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى اعمالهم ، وكان معاذ يصلي بالمسلمين ، وكتب الى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في حياته بمقتل الأسود العَنْسِيّ .

وكان أوّل أمر العَنْسِيّ إلى آخره ثلاثة أشهر ، وقيل : قريب من أربعة أشهر وكان قدوم البشير بقتله في آخر ربيع الأول بعد موت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فكان أوّل بشارة أتت أبا بكر وهو بالمدينة (٩٨) .

وكان الأسود قد كتب إلى معاذ وعمال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الآخرين : « أيّها المتوردّون علينا ! أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا ، ووفّروا ما جمعتم ، فنحن أولى به ، وأنتم على ما أنتم عليه » (٩٩) ، فكان السبب المباشر لرِدّته وكذبه هو طمعه في الصدقات ورغبته بالاستئثار بها دون المسلمين ، فكان ذلك سبباً من أسباب اندحاره .

كما أنّه استخفّ بأقرب المقربين إليه الذين يتولّون قيادات رجاله : قيس بن عبد يغوث قائد جند الأسود ، وفيروز وداذَويه قائدى الفُرس في اليمن (١٠٠) ، مما أثار حفيظتهم وحقدهم وجعلهم صفاً واحداً ويداً واحدةعليه.

وكان لكتب النبي صلّى الله عليه وسلّم أثر معنوي عظيم على المسلمين في اليمن : « إذ جاءَتنا كُتُب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يأمرنا فيها أن نبعث الرّجال لمجاولته أو لمصاولته . ونُبْلِغ كلّ مَنْ رَجَاعنده شيئاً من ذلك عن

(٩٨) انظر التفاصيل في الطبري (٢٢٧/٣ ـ ٢٤٠) وابن الاثير (٣٣٦/٢-٣٤١).
(٩٩) الطبري (٢٢٩/٣) .

النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فقام معاذ في ذلك بالذي أمِر به ، فعرفنا القوّة ووثقنا بالنّصر » (١٠١) ، فكان أثر معاذ في القضاء على فتنة الأسود عظيماً .

وكان الأسود من أهل اليمن ، وكان معاذ من أهل المدينة ، ولكنّ الأسود لم يستطع أن يحوز على ثقة أحد من أهل اليمن ، بينما كان معاذ موضع ثقة المسلمين كافة في اليمن ، كما كانت له مكانة خاصة في السّكون ، فقد تزوّج معاذ إلى بني بَكْرَة حيّ من السّكُون ، امرأة أخوالها بنو زَنْكَبِيل يقال لها : رَمْلَة ، فَحَدِبوا لصهره على معاذ وعلى المسلمين أيضاً ، وكان معاذ معجَباً ، فإنّه كان ليقول فيما يدعو الله به : « اللّهم ابعثني يوم القيامة مع السّكون » ، ويقول أحياناً : « اللّهم اغفر للسّكون » (١٠٢) مما جعله موضع ثقة هذه القبيلة القويّة وموضع حمايتها له ، واندفاعها في مصاولة أعداء المسلمين ، فقد انحاز معاذ إلى السّكُون (١٠٣) فعطفوا عليه (١٠٤) وعلى مَنْ معه من المسلمين .

كلّ هذه الأسباب جعلت الأسود العَنْسِيّ يخسر المعركة ويخسر حياته أمام المسلمين في اليمن ، فانتصر الحق وانهزم الباطل .

ولم تُرو نصوص كتب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى معاذ وغيره من مسلمي اليمن ، كما لم تُرْوَ نصوص الكتب التي كتبها معاذ وغيره من المسلمين إلى أنصارهم في اليمن للتعاون في حرب الأسود .

انتصر المسلمون على الأسود كتبوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالخبر ، ولم يرو نصّ الكتاب(١٠٥) .

ولما قُتِلَ الأسود عاد أمر المسلمين في اليمن كما كان ، فأرساوا إلى معاذ

(١٠٠) الطبري (٣/٢٣٠) .
(١٠١) الطبري (٣/٢٣١) .
(١٠٢) الطبري (٣/٢٣٠) وانظر ابن الاثير (٢/٣٣٨).
(١٠٤) ابن الاثير (٢/٣٣٨) .
(١٠٥) انظر التفاصيل في : مجموعة الوثائق السياسية (٢٥٦ ـ ٢٥٨) .

فصلّى بالمسلمين ، وهم راجون مؤملون لم يبق شيْ يكرهونه إلاّ شراذم من أصحاب الأسود ، فأتى موت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فانتقضت الأمور واضطربت الأرض (١٠٦) من جديد ، فقد كان الذين أسلموا في اليمن حديثي عهد بالجاهلية (١٠٧) ، أسلموا وما حسن إسلامهم بَعْدُ .

واستمرّ معاذ بعد القضاء على فتنة الأسود معلّما يعلّم أهل اليمن ، يتنقّل في عَمَل كلّ (١٠٨) عامل ، يفقّه الناس في الدّين .

وحارب أبو بكر الصدّيق رضي الله عنه المرتَدَّة جميعاً بالرّسل والكتب ، كما كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حاربهم ، حتى رجع أُسامة بن زيد(١٠٩) من الشام (١١٠) ، فتيسّر لأبي بكر الصدّيق أن يبعث لقتال المرتدين في اليمن قوات المسلمين ، فقدم عِكْرِمة بن أبي جَهْل(١١١) اليمن من (مَهْرَة)(١١٢) وأقبل المهاجر بن أبي أميّة (١١٣) في جمع من أهل مكّة والطائف وبَجيْلَة (١١٤) مع جرير بن عبدالله البَجَليّ(١١٥) إلى نَجْران ، فانضمّ إلى قوّات المُهَاجر بعد قدومه فَرْوَة بن مُسَيْك المُرَادِيّ بمن معه من مسلمي اليمن ، فاستطاعت

(١٠٦) ابن الاثير (٢/٣٤١) .
(١٠٧) الطبري (٣/٢٣٩) .
(١٠٨) الطبري (٣/٣١٨) .
(١٠٩) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة الشام ومصر (٣١ ـ ٥١) .
(١١٠) الطبري (٣/٣١٩) .
(١١١) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح الشام ومصر (٨٥ ـ ٩٥) .
(١١٢) مهرة : اسم قبيلة يمنية تنسب اليها الابل المهرية ، ولهم مخلاف باليمن بينه وبين عمان شهر وبينه وبين حضرموت شهر ايضا ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٢١١) .
(١١٣) المهاجر بن ابي امية المخزومي : انظر سيرته في اسد الغابة (٤/٤٢٢) . والاصابة (٦/١٤٤) .
(١١٤) بجيلة بن أنمار بن اراش بن عمرو الذي هو اخو الأزد ، وهي قبيلة يمنية، انظر اسد الغابة (١/٢٤٢) والاستيعاب (١/٢٣٦) .
(١١٥) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح العراق والجزيرة (٣٥٦ـ٣٧١) ـ ط ٢ .

قوّات المسلمين أن تقضي على مقاومة المرتدين نهائياً ، واستسلم قادتهم للمسلمين، وعاد المرتدون إلى حظيرة الإسلام ، وكاذ ذلك سنة إحدى عشرة الهجريّة (١١٦)

كما انتهت فتنة المرتدين في حضرموت وكِنْدة ، وعاد المرتدون إلى الإسلام من جديد ، وكان ذلك سنة إحدى عشرة الهجرية أيضاً (١١٧) .

ولما أكمل واجبه دعوةً وجهاداً ، وتعليماً وقضاءً ، في اليمن وما حولها من المناطق ، واستقرّ الإسلام والمسلمون هناك ، ونشأ فيها ناشئة من الدعاة والقضاء ، والمعلمين ، والمجاهدين ، آن لمعاذ أن يعود إلى عاصمة المسلمين الأولى ، فانصرف معاذ من اليمن في سنة إحدى عشرة الهجرية من اليمن إلى المدينة المنوّرة (١١٨) ، فقد انتهى من واجباته في تلك المنطقة العربيـــة الإسلامية ، فعاد ليستأنف واجبات جديدة في مناطق أخرى ، وكان قد تلقّى واجباته الأولى من النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فلما التحق عليه الصّلاة والسّلام بالرفيق الأعلى ، استأنف معاذ واجباته الجديدة في خدمة الإسلام والمسلمين بإرشاد خلفاء النبيّ صلّى الله عليه وسلم .

لقد بقي معاذ في اليمن من رمضان سنة تسع الهجريّة إلى ذي الحجّة سنة إحدى عشرة الهجريّة ، أي أنّه بقي في اليمن سنتين وثلاثة أشهر تقريباً ، فكان أول من غرس جذور علوم الدين حديثاً وفقهاً وقرآنا في اليمن السعيد ، فبقي هذا القطر العربي الإسلاميّ متميِّزاً في علوم الدين واللّغة العربية بفضل معلّمة الأول معاذ منذ أربعة عشر قرناً حتى اليوم ، مما يدلّ على مبلغ عمق آثار معاذ في أهل اليمن ومبلغ إخلاصه النادر في أداء واجباته على صعوبتها

(١١٦) انظر التفاصيل في الطبري (٣/٣٢٣ – ٣٢٨) وابن الأثير (٢/٣٧٥ – ٣٧٨) .

(١١٧) انظر التفاصيل في الطبري (٣/٣٣٠ – ٣٤٢) وابن الأثير (٢/٣٧٨ – ٣٨٢) .

(١١٨) طبقات ابن سعد (٣/٥٨٥) .

وضخامة مسؤولياتها وأهميتها لحاضر الإسلام والمسلمين ومستقبلهم في السّلام والحرب.

لقد أدّى واجبه قاضياً ، ففرض العدالة والاستقامة والنّزاهة المطلقة في قضائه ، في مجتمع قبليّ صعب المراس ، وأدّى واجبه معلماً للقرآن والحديث والفقه ، فغرس بذور علوم الدين غرساً مباركاً طيّباً نافعاً ، وحمل السّيف مجاهداً في حرب المرتدين ، فكان بحق ربّ السيف والقلم ، الداعية المجاهد ، الموحِّد من أجل الجهاد ، والمجاهد من أجل التوحيد .

الإنسان

١ ـ العالم

كان معاذ ممّن يُفْتي بالمدينة ويُقْتدى من به من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبعد ذلك (١١٩) علي بن أبي طالب ، وعبدالرحمن بن عوْف ، وأُبَيّ بن كعب ، وعبدالله بن مسعود ، وأبو موسى الأشعريّ ، ومُعاذ بن جبَل ، فكان من أصحاب الفتيا على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم (١٢٠) .

وكان يُصَلّي مع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، ثمّ يجيء فيؤمّ قومه(١٢١) بني سَلِمَة ومَن يُصلّي معهم في مسجدهم .

وعن أنس رضي الله عنه قال : « جمع القرآن على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أربعة كلّهم من الأنصار ، أُبَيّ بن كعب (١٢٢)، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت (١٢٣)،وابو زيد» (١٢٤) ، رواه البخاري ومسلم(١٢٥)

(١١٩) انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٢/٣٣٤ ـ ٣٥٠) .
(١٢٠) أصحاب الفتيا ـ ملحق بجوامع السيرة (٣٢٠) وأسد الغابة (٤/٣٣٠).
(١٢١) طبقات ابن سعد (٣/٣٨٦) والاستيعاب ١٣٧) .
(١٢٢) انظر سيرته في طبقات ابن سعد (٢/٣٤٠ ـ ٣٤١) .
(١٢٣) انظر سيرته في طبقات ابن سعد (٢/٣٥٨ ـ ٣٦٢) .
(١٢٤) انظر سيرته في أسد الغابة (٥/٢٠٣ ـ ٢٠٤) .
(١٢٥) تهذيب الاسماء واللغات (٢/٩٩) والاصابة (٦/١٠٦) .

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال : « سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : خذوا القرآن من أربعة : عبدالله بن مسعود (١٢٦) ، وسالم مولى أبي حُذَيْفَة (١٢٧) ، ومعاذ بن جبل ، وأُبَيّ بن كعب » رواه البخاري ومسلم (١٢٨) .

لقد كان احد حفاظ القرآن على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ولم يقتصر على جمع القرآن ، بل كان يعلّم المسلمين القرآن الكريم .

روى عن النبي صلّى الله عليه وسلّم مائة حديث وسبعة وخمسين حديثاً ، اتّفق البخاري ومسلم على حديثين ، وانفرد البخاري بثلاثة ومسلم بحديث ، روى عنه ابن عمر وابن عبّاس وابن عمرو بن العاص وأبو قَتَادة وجابر بن عبدالله وأبو أُمَامة الباهِلِيّ وأبو ثعلبة وعبدالرحمن بن سَمُرَة وآخرون من الصّحابة رضوان الله عليهم وخلائق من التابعين (١٢٩) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : « قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أرحم أمتي لأُمتي أبو بكر ، وأشدّهم في أمر الله عمر ، وأشدّهم حياءً عثمان ، وأعلمهم بالحلال والحرام مُعَاذ بن جبل . واحرصهم زيد بن ثابت . وأقرؤهم أُبَيّ ، ولكلّ أمّة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عُبَيْدة بن الجرّاح (١٣٠)

---

(١٢٦) انظر سيرته في طبقات ابن سعد (٣٤٢/٢ ـ ٣٤٤) .
(١٢٧) انظر سيرته في تهذيب الاسماء واللغات (٢٠٦/١) .
(١٢٨) التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح (٦٠/١) وانظر تهذيب الاسماء واللغات (٩٩/٢) واسد الغابة (٣٧٨/٤) وانساب الأشراف (٢٦٤/١) وحلية الأولياء (٢٢٩/١) .
(١٢٩) تهذيب الاسماء واللغات (٩٨/٢) وانظر تهذيب التهذيب (١٨٦/١٠ ـ ١٨٧) وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال (٣٧٩) وأسماء الصحابة الرواة ـ ملحق بجوامع السيرة (٢٧٧) .
(١٣٠) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة بأسانيد صحيحة حسنة ، وقال الترمذي : هو حديث حسن صحيح ، انظر تهذيب الاسماء واللغات (٩٩/٢) .

وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : : « أعلم أُمّتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل» ، وقال: « معاذ بن جبل أعلمُ الناس بحلال الله وحرامه»(١٣٢) فهو أعلم الصّحابة عليهم رضوان الله .

وقال عليه الصّلاة والسّلام : « يأتي معاذ بن جبل يوم القيامة أمام العلماء برَتْوَة »(١٣٣) ، والرَتْوَة رمية سهم ، وقيل: ميل. وقيل : مدّ البَصَر (١٣٤)

وقال عليه الصّلاة والسّلام : « معاذ بن جبل له نَبْذَة بين يدي العلماء يوم القيامة » (١٣٥) ، وقد خلّف معاذاً بمكّة حين وجّه إلى حُنَيْن يفقّه أهل مكّة ويُقرئهم القرآن ، كما ذكرنا .

وخطب عمر بن الخطّاب رضي الله عنه بـ (الجَابِيَة) (١٣٦) فقال : « مَنْ كان يريد أن يسأل من الفقه ، فليأتِ معاذَ بن جبل » . وكان عمر بن الخطاب يقول حين خرج معاذ إلى الشّام : « لقد أخَلّ خروجه بالمدينة وأهلها في الفقه وما كان يُفتيهم به ، ولقد كنتُ كلّمتُ أبا بكرٍ رحمه الله ، أن يَحبسه بحاجة الناس إليه ، فأبى عَليّ وقال : رجل أراد وجهاً يريد الشّهادة ، فلا أحبسه ! فقلت : والله إنّ الرّجل ليُرْزَق الشّهادة وهو على فراشه وفي بيته عظيمُ الغنى عن مِصْرِه » ، وقال كعب بن مالك : « كان معاذ بن جبل يُفتي بالمدينة في حياة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأبي

(١٣١) طبقات ابن سعد (٣٤٧/٢) و (٥٨٦/٣) والاستبصار (٤٨) و (١٣٦) وتهذيب التهذيب (١٨٧/١٠) والبداية والنهاية (٩٥/٧) وحلية الاولياء (٢٢٨/١) .

(١٣٢) حلية الاولياء (٢٢٨/١) .

(١٣٣) طبقات ابن سعد (٣٤٧/٢) واسد الغابة (٣٧٨/٤) وتهذيب الاسماء واللغات (٩٩/٢) والاستبصار (١٣٦) وتهذيب التهذيب (١٨٧/١٠) وحلية الاولياء (٢٢٩/١) .

(١٣٤) انظر هامش أسد الغابة (٣٧٨/٤) نقلا عن النهاية لابن الاثير .

(١٣٥) طبقات ابن سعد (٣٤٧/٢) .

(١٣٦) الجابية : قرية من اعمال دمشق من ناحية الجولان قرب مرج الصفر في شمالي حوران ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٣/٣) .

بكر » . وقال عمر بن الخطّاب : « إنّ العلماء إذا حضروا يوم القيامة ، كان معاذ بن جبل بين أيديهم قذفةً بحجر » (١٣٧) .

وذكر أبو إدريس الخَوْلاني أنّه دخل مسجد دمشق ، فإذا فتىً برّاق الثنايا ، وإذا ناس معه اذا اختلفوا في شيءٍ أسندوه إليه وصدروا عن رأيه ، فسأل عنه ، فقالوا : هذا معاذ بن جبل. قال أبو إدريس: « فلما كان من الغد هجّرت(١٣٨) فوجدته قد سبقني بالتّهجير ، فوجدته يُصلّي ، فانتظرته حتى قضى صلاته ، ثم جئته من قِبَلِ وجهه ، فسلمّت عليه ، وقلتُ له : والله إنّي لأحبّك لله ، فقال : اللهِ ؟ فقلت : اللهِ ، فقال : اللهِ ؟ فقلت : اللهِ ، فأخذ بحُبْوَة(١٣٩) ردائي فجبذني إليه وقال : أبْشِر ، فإنّي سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : قال الله تبارك وتعالى : وجَبَتْ رحمتي للمتحابّين فيّ والمتجالسين فِيّ والمُتزاورين فِيّ » (١٤٠) .

وذكروا أنّ رجلاً دخل مسجد حِمْص ، فإذا بحَلْقَة فيهم رجل آدم (١٤١) جميل وضّاح الثنايا ، وفي القوم مَنْ هو أسنّ منه، وهم مقبلون عليه يستمعون حديثه ، فقال له الرجل : مَنْ أنت ؟ » ، فقال : « مَعَاذ بن جبل » (١٤٢) .

وذكر أبو مُسْلِم الخَوْلاني قال : « دخلت مسجد حِمْص ، فإذا فيه نحواً من ثلاثين كهلاً من اصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم . وإذا فيهم شاب أكحل العينين برّاق الثنايا لا يتكلّم . فإذا امترى القوم في شيءٍ أقبلوا عليه فسألوه ، فقلت لجليس لي : مَنْ هذا ؟ فقال : معاذ بن جبل رضي

---

(١٣٧) طبقات ابن سعد (٣٤٨/٢) .
(١٣٨) هجرت : سار في الهاجرة ، وهجر النهار : انتصف واشتد جره . وهجر الى الشيء : بكر وبادر اليه .
(١٣٩) الحبوة : بضم الحاء وفتحها وكسرها — ما يحتبى به من ثوب وغيره .
(١٤٠) طبقات ابن سعد (٥٨٦/٣ — ٥٨٧) .
(١٤١) آدم : شديد السمرة .
(١٤٢) طبقات ابن سعد (٥٨٧/٢) .

الله تعالى عنه ، فوقع في نفسي حبّه ، فكنت معهم حتى تفرّقوا »

وقال عايد الله بن عبدالله ((١٤٣) : « دخلت المسجد يوماً مع أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في أول إمره عمر بن الخطّاب ، فجلست مجلساً فيه بضع وثلاثون كلّهم يذكرون حديثاً عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وفي الحلقة فتىً شاب شديد الأدمة حلو المنطق وضيء ، وهو أشبّ القوم سناً ، فإذا اشتبه عليهم من أحاديث القوم شيء ردّوه إليه فحدّثهم ، ولا يحدّثهم شيئاً إلاّ أن يسألوه ، قلت : مَنْ أنت يا عبدالله ؟ فقال : معاذ بن جبل » .

وروى : « أنّه دخل مسجد حمص ، فإذا أنا بفتى حوله الناس ، جَعْد (١٤٤) ، قَطَط (١٤٥) ، فإذا تكلّم كأنّما يخرج من فيه نور ولؤلؤ فقلت مَنْ هذا ؟ قالوا : معاذ بن جبل رضي الله عنه » .

وقال شهر من حَوْشب : « كان أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إذا تحدّثوا وفيهم معاذ بن جبل ، نظروا إليه هيبة له »(١٤٦) .

وكان شعار معاذ في تعلم العلم وتعليمه كما كان يوصى به مَنْ حوله من العلماء والمتعلمين وسائر الناس ، « خُذ العِلْم أنى أتاك » (١٤٧) .

وقال رجل لمعاذ : « علّمني ! » ، قال : « وهل أنت مطيعي ؟ » ، قال : « إني على طاعتك لحريص ، قال : صَمْ وأفطر ، وصَلّ ونَمْ ، واكتسب ولا تأثم ولا تموتن إلاّ وأنت مسلم ، وإياك ودعوة المظلوم » (١٤٨)

وكان يحثّ على أخذ العلم من منابعه الأصيلة ومن العلماء الثقات ، وينهى

(١٤٣) عايذ الله بن عبدالله ابو ادريس الخولاني : انظر ترجمته في : تاريخ مدينة دمشق ــ تحقيق د. شكري فيصل (٤٨٥ ــ ٤٩٧) .

(١٤٤) جعد : يقال وجه جعد : مستدير قليل اللحم .

(١٤٥) قطط : يقال : شعر قطط : قصير جعد .

(١٤٦) انظر التفاصيل في حلية الأولياء (١/٢٣٠ ــ ٢٣١) .

(١٤٧) طبقات ابن سعد (٢/٣٥٠) .

عن الانحراف والبدع ، ومن أقواله في ذلك : « إنّ وراءكم فتناً يكثر فيها المال ، ويفتح فيها القرآن ، حتى يأخذه المؤمن والمنافق ، والرّجل والمرأة . والصغير والكبير ، والحرّ والعبد . فيوشك قائل أن يقول : ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن ! ما هم بمتبعتي حتى أبتدع لهم غيره ! فإيّاكم وما يُبْتَدَع ، فإن ما ابتدع ضلالة ، وأحذّركم زيغة الحكيم ، فإنّ الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم . وقد يقول المنافق كلمة الحق ! » ، فقيل له : « ما يدريني رحمك الله أنّ الحكيم يقول كلمة الضلالة ، وأنّ المنافق يقول كلمة الحق ؟ ! » ، قال : « بلى اجتنِبْ من كلام الحكيم المستهترات التي يقال ، ما هذه ؟ ! ولا يثنيك ذلك عنه ، فإنّه لعلّه يرجع ويتّبع الحق إذا سمعه ، فإنّ على الحق نوراً » (١٤٩) ، فهو يريد من العاماء والمتعلمين أن يستعملوا عقلهم في تلقّي العلم ، وألاّ يقاطعوا العالم إذا أخطأ مرّة ، بل عليهم أن يعينوه على العودة إلى الصواب ، فلا يخسره العلم ولا يخسره العلماء والمتعلمون .

ومن أقواله : « وأحذركم زيغة الحكيم ، فإنّ الشيطان يقول في الحكيم بكلمة الضلالة ، وقد يقول المنافق كلمة الحق ، فاقبلوا الحق ، فإنّ على الحق نوراً » ، فقالوا : وما يدرينا رحمك الله أنّ الحكيم قد يقول كلمة الضلالة ؟ قال : « هي كلمة تنكرونها منه ، وتقولون : ما هذه ! ! ! فلا يثنيكم ، فأنه يوشك أن يفيء ويراجع بعض ما تعرفون ، وإن العلم والإيمان مكانهما إلى يوم القيامة ، مَنْ ابتغاهما وجدهما (١٥٠)

وجاء أحد طلاّب معاذ إليه ، فجعل يبكي ، فقال : « ما يبكيك ؟ ! »

(١٤٨) حلية الاولياء (٢٣٣/١) .

(١٤٩) حلية الأولياء (٢٣٢/١ ــ ٢٣٣) ، وورد قول معاذ في روايتين ، الاولى رواها أبو ادريس الخولاني ، والثانية رواها أبو يزيد بن عميرة ، والروايتان متقاربتان في المعنى مختلفتان قليلا في المبني .

(١٥٠) حلية الأولياء (٢٣٢/١ ــ ٢٣٣) .

قال : « والله ما ابكي لقرابة بيني وبينك . ولا لدنيا كنت أصيبها منك ، ولكن كنتُ أصيب منك علماً ، فأخاف أن يكون قد انقطع » ، فقال معاذ : « فلا تبكِ ، فإنّه مَنْ يرد العلم والإيمان يؤته الله تعالى كما آتى إبراهيم عليه السّلام ، ولم يكن يومئذ علم ولا إيمان (١٥١) ، وهذا دليل على شدّة تعلّق طلابه به وحبّهم له ، ودليل على إسداء النصح والتوجه لهم بما يفيدهم في حياتهم العلميّة .

وقال معاذ : « تعلّموا العلم ، فإنّ تعلّمه لله تعالى خشية ، وطلبه عبادة ، ومذكراته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلم صدقة ، وبذله لأهله قُرْبَة ؛ لأنّه معالم الحلال والحرام ، ومنار أهل الجنّة ، والأُنس في الوحشة ، والصّاحب في الغربة ، والمحدّث في الخلوة . والدليل على السّراء والضرّاء ، والسّلاح على الأعداء ، والدين عند الأجلاء ، يرفع الله به أقواماً ، ويجعلهم في الخير قادة وأئمة ، تُقتبس آثارهم ، ويُقتدى بفعالهم ، ويُنتهى إلى رأيهم ، ترغب الملائكة في خلّتهم ، وبأجنحتها تمسهم . يستغفر لهم كلّ رطب ويابس ، حتى الحيتان في البحر وهوامه ، وسباع الطير وأنعامه لأنّ العلم حياة القلوب من الجهل ، ومصباح الأبصار من الظلم ، يبلغ بالعلم منازل الأخيار ، والدرجة العليا في الدنيا والآخرة ، والتفكير فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام . به توصل الأرحام ، ويعرف الحلال من الحرام ، إمام العمّال والعمل تابعه، يلهمه السُّعداء ، ويحرمه الأشقياء »(١٥٢) . ولا أعرف عالماً من العلماء في مختلف العصور ومن مختلف الأجناس ، كرّم العلم والعلماء والمتعلمين ووصفهم بأبلغ وصف وأشمله ، وشجّع على العلم ، وأمر به وكرّمه ووضعه في الموضع اللائق به ، كما فعل معاذ في كلماته القايلة عددا الغزيرة مددا .

(١٥١) حلية الاولياء (٢٣٤/١) .
(١٥٢) حلية الأولياء (٢٣٩/١) ، وقد رواه عن معاذ رجاء بن حيوة .

وعن معاذ رضي الله عنه قال : « تصدّيت لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو يطوف ، فقلت يا رسول الله ! أرنا الناس » ، فقال : « سلوا عن الخير ولا تسألوا عن الشّر ، شرار الناس شرار العلماء في الناس » (١٥٣) ، البزار عن معاذ (١٥٤) .

وروى أنس بن مالك ، قال : « أتاني معاذ بن جبل من عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال : مَنْ شهد أن لا إله إلاّ الله مخلصاً بها قلبه دخل الجنّة ، فذهبت إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقلت : يا رسول الله ! حدثني معاذ أنّك قلت : مَنْ شهد أن لا إله إلاّ الله مخلصاً بها قلبه دخل الجنة ، قال : صدق مُعاذ ، صدق معاذ ، صدق معاذ » (١٥٥) ، حديث حسن (١٥٦) .

وكان الذين يفتون على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من المهاجرين عمر وعثمان وعليّ ، وثلاثة من الأنصار : أُبَيّ بن كعب ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت (١٥٧) : وذكرنا أنه كان من اصحاب الفتيا من الصحابة . وفي باب (ميراث الأخوات مع البنات عصبة) في كتاب (الفرائض) من صحيـح البخاري : « قضى فينا معاذ بن جبل ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم : النصف للابنة والنصف للأخت » (١٥٨) .

لقد كان معاذ أفقه الناس ، وأعلم أُمّة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالحلال

(١٥٣) حلية الاولياء (١/٢٤٢) .
(١٥٤) حديث حسن ، انظر مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي (٢/٦٤).
(١٥٥) أسد الغابة (٤/٣٧٧) .
(١٥٦) انظر مختصر شرح الجامع الصغير للمناوي (٢/٣٠١) .
(١٥٧) أسد الغابة (٤/٣٧٧) .
(١٥٨) فتح الباري بشرح البخاري (١٢/٢٠) وانظر دليل القارى الى مواضع الحديث في صحيح البخاري (٣٧٦) وانظر سنن الدارمي الكتاب ٢١ الباب ٤ ومفتاح كنوز السنة (٤٧٥ ـ ٤٧٦) .

والحرام (١٥٩) ، وكانت له آراء اجتهادية في الدين مهمّة جداً : « . . . فجاء معاذ فقال : لا أجده على حالٍ أبداً إلاّ كنت عليها ثم قضيت ما سبقني فجاء وقد سبقه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ببعضها (يريد الصّلاة) ، فثبت معه ، فلما قضى رسول الله صلّى الله عايه وسلم صلاته ، قام فقضى ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنّه قد سَنّ لكم معاذ ، فهكذا فاصنعوا » (١٦٠) ، فبقي اجتهاده معمولاً به منذ أظهره للناس حتى اليوم .

لقد كان مؤثراً في علمه على عهد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومن بعده ، فلما تُوفي معاذ أصبح قدوة صالحة للأجيال ، فكان عبدالله بن عمرو بن العاص يقول : « حدّثونا عن العاقاين : معاذ وأبي الدَّرْداء » (١٦١) ، وكان عبدالله بن عمر يقول : « حدّثونا عن العالمين العاملين : معاذ ، وأبي الدَّرداء (١٦٢) .

وقال عمر بن الخطّاب يوماً لأصحابه : « تمنّوا ! » ، فتمنّى كلّ إنسان شيئاً ، فقال عمر : « أتمنى لو أنْ هذه الدار مملوءة رجالاً مثل أبي عُبَيْدة بن الجرَّاح ، ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى أبي حُذَيْفَة ، وحُذَيْفة ابن اليَمَان »(١٦٣) .

وقال عمر بن الخطّاب : « عجزت النساء أن يلدن مثل معاذ ، ولولا معاذ لهلك عمر (١٦٤) لأنّه كان لا يتأخّر في إسداء النّصح والمشورة له ، إذا كان في المدينة وخارجها على حدّ سواء .

(١٥٩) انظر مسند الامام أحمد بن حنبل (٣/١٨٤) و (٣/٢٨١) والحديث الرقم (٢٠٩٦) من مسند الطيالسي ، وانظر مفتاح كنوز السنة (٤٧٥) .
(١٦٠) انظر مسند الامام أحمد بن حنبل (٥/٢٦٤) وانظر الاستبصار (١٣٧) .
(١٦١) طبقات ابن سعد (٢/٣٥٠) والاستيعاب (٤/١٤٠٦) ، وفيه عبدالله بن عمر لا عبدالله بن عمرو .
(١٦٢) الاستبصار (١٢٦) و (١٣٩) .
(١٦٣) الاستبصار (١٣٨ – ١٣٩) .
(١٦٤) الاصابة (٦/١٠٧) .

فقد كتب معاذ وأبو عبيدة بن الجرّاح إلى عمر : « سلام عليك . أما بعد ، فإنّا عهدناك وأمر نفسك إليك مهم ، فأصبحت وقد وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها ، يجلس بين يديك الشّريف والوضيع ، والعدو والصديق ، ولكلٍّ حصّته من العدل ، فانظر كيف أنت عند ذلك يا عمر ! فإنّا نحذرك يوماً تعنى (١٦٥) فيه الوجوه ، وتَجِف(١٦٦) فيه القلوب ، وتنقطع فيه الحجج لحجّة ملك قهرهم بجبروته ، فالخلق دآخرون (١٦٧) له يرجون رحمتَه ويخافون عقابه . وإنّا كنّا نتحدَّث أنّ أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها إلى أن يكونوا إخوان العلانية أعداء السّريرة ، وإنّا نعوذ بالله أن ينزل كتابنا إليك سوى المنزل الذي نزل من قلوبنا ، فإنّما كتبنا به نصيحة لك ، والسلام عليك » .

فكتب إليهما عمر : « من عمر بن الخطّاب ، إلى أبي عُبَيْدَةَ ومعاذ سلام عليكما . أما بعد ! أتاني كتابكما تذكران أنكما عهد تماني وأمر نفسي لي مهم ، فأصبحت قد وليت أمر هذه الأمة أحمرها وأسودها . يجلس بين يديّ الشريف والوضيع ، والعدو والصّديق ، ولكلٍّ حصّته من العدل . كتبتما : كيف أنت عند ذلك يا عمر ! وأنّه لا حول ولا قوّة لعمر عند ذلك إلاّ بالله عزّ وجلّ . وكتبتما تحذراني ما حذرت الأمم قبلنا ، وقديماً كان اختلاف اللّيل والنّهار بآجال الناس يقربان كلّ بعيد ، ويبليان كلّ جديد ، ويأتيان بكلٍّ موعود ، حتى يصير الناس إلى منازلهم من الجنّة أو النّار . كتبتما تحذراني أمر هذه الأمة سيرجع في آخر زمانها إلى أن يكون إخوان

(١٦٥) عنا ــ عنوا : خضع وذل ، وفي التنزيل العزيز . (وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما) .

(١٦٦) وجف : اضطرب ، ووجف القلب ، خفق ، وفي التنزيل العزيز : (قلوب يومئذ واجفة) .

(١٦٧) داخرون ، دخر : ذل وهان ، وفي التنزيل العزيز : (سجداً لله وهم داخرون) .

العلانيّة أعداء السريرة ، ولستم بأولئك وليس هذا بزمان ذاك ، وذلك زمان تظهر منه الرّغبة والرّهبة ، تكون رغبة الناس بعضهم لبعض لصلاح دنياهم . كتبتما تعوذاني بالله أن أنزل كتابكما سوى المنزل الذي نزل من قلوبكما ، وأنكما كتبتما به نصيحة لي ، وقد صدقتما ، فلا تدعا الكتاب إليّ ، فإنّه لا غنى بي عنكما والسلام عليكما » (١٦٨) .

وكان عمر بحاجة إلى مَنْ يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر وهو مَنْ هو علماً وورعاً واستقامة وإيماناً ، ولكنّ معاذاً وأبا عُبَيْدة بن الجراح وجدا من واجبها أن يذكّرا الناس جميعاً ومن ضمنهم عمر . فتقبّل عمر نصحهما بالقبول الحسن ، ورجاهما أن يدأبا على نصحه وتذكيره ، لأنّه بحاجة ماسة إلى هذا النّصح والتذكير ، ولم يأنف من نصحهما وتذكيرهما أو يقابل كتابهما بالاعراض .

ولعلّ في هذا عبرة للحكّام والعلماء في كلّ وقت وبكل مكان ، إذ ينبغي أن يكون العالم يؤدي واجبه كاملاً ، فيكون من علماء الرحمن ، ولا يسكت على الظلم والانحراف أو يغضّ الطرف عنه ، فيكون من علماء السلطان ، أو يشجع الظلم والانحراف ، ويقتنص له المعاذير والمسوّغات . فيكون من علماء الشيطان ، والسّاكت عن الحق شيطان أخرس إذا كان من سائر الناس ، فكيف إذا كان من العلماء ؟ !

وقد كان لمعاذ جولات كلاميّة مع يهود المدينة يدعوهم إلى الله ويرشدهم ، فقد كان يهود يَسْتَفْتِحُوْنَ على الأوس والخزرج برسول الله صلّى الله عليه وسلّم قبل مبعثه ، فلما بَعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه ، فقال لهم معاذ وبِشْر بن البَراء بن مَعْرور أخو بني سَلِمَة (١٦٩)

(١٦٨) حلية الاولياء (١/٢٣٨) .

(١٦٩) انظر سيرته في : طبقات ابن سعد (٣/٥٧٠ — ٥٧١) وتهذيب الاسماء واللغات (١/١٣٣ — ١٣٤) والاستبصار (١٤٣ — ١٤٤) .

« يا معشر يهود اتّقوا الله وأَسْلِمُوا ، فقد كنتم تَسْتَفْتِحُون علينا بمحمد ، ونحن أهل شرك ، وتخبروننا أنّه مبعوث ، وتَصِفُونه لنا بصفته » ، فقال سَلاَم بن مِشْكَم أحد بني النَّضِيْر من يهود : « ما جاءنا بشيءٍ نعرفه ، وما هو ذكر ما كنّا نذكره لكم ، فأنزل الله في ذلك من قولهم : (وَلَمَّا جاءَهُمْ كِتَابٌ من عِنْدِ اللهِ مُصَدق لِمَا مَعَهُمْ ، وكانوا من قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ على الذينَ كَفَرُوا ، فَلَمَّا جاءَهُمْ ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ، فَلَعْنَةُ اللهِ على الكَافِرِين (١٧٠) . الآية (١٧١) .

وسأل معاذ وجماعة من الأنصار نفراً من أحبار يهود عن بعض ما في التوراة ، فكتموهم إيّاه ، وأبوا أن يخبروهم عنه فأنزل الله تعالى فيهم : (إنَّ الذين يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَات والهُدَى من بَعْدِ ما بَيَّنّاهُ لِلنّاس في الكِتَابِ ، أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ ويَلْعَنُهُمْ اللاعِنون (١٧٢). الآية (١٧٣) .

وأتى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم جماعةٌ من يهود ، فكلّموه ، وكلّمهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ودعاهم إلى الله وحذّرهم نقمته . فقالوا : ما تخوِّفنا يا محمد ؟ نحن والله أبناء الله وأحبّاؤه ، كقول النّصارى . فأنزل الله تعالى فيهم : (وَقَالَتِ اليَهودُ والنّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وأحِبّاؤُهُ ، قُلْ : فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ، بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ ، يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذّبُ مَنْ يَشَاءُ ، ولِلّهِ مُلْكُ السّموَاتِ والأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ المَصِيْرُ) (١٧٤) .

ودعا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يهود إلى الإسلام ، ورغّبهم فيه ،

---

(١٧٠) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٨٩) .
(١٧١) سيرة ابن هشام (٢/١٧٣ – ١٧٤) .
(١٧٢) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢/١٥٩) .
(١٧٣) سيرة ابن هشام (٢/١٧٨ – ١٧٩) .
(١٧٤) الآية الكريمة من سورة المائدة (٥ : ١٨) .

وحذّرهم غِيَرَ الله وعقوبته ، فأبوا عليه ، وكفروا بما جاءهم به ، فقال لهم معاذ وسعد بن عُبَادة (١٧٥) وعُقْبَة بن وَهْب (١٧٦) : « يا معشر يهود ! اتّقوا الله ، فوالله إنّكم لتعلمون أنّه رسول الله ، ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه ، وتصفونه لنا بصفته » ، فقال يهوديان منهم : « ما قلنا لكم هذا قط ، وما أنزل الله من كتاب بعد موسى ولا أرسل بشيراً ولا نذيراً بعده ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما : (يا أهْلَ الكِتَابِ قد جَاءَكُمْ رَسُوْلُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُوْلُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيْرٍ وَلا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيْرٌ وَنَذِيرٌ ، والله عَلَى كلِّ شيءٍ قَدِيرٌ)(١٧٧) ثمّ قصّ عليهم خبر موسى ، وما لقي منهم ، وانتقاضهم عليه . وما ردّوا عليه من أمْرِ الله ، حتى تاهوا في الارض أربعين سنة عقوبة (١٧٨) .

وهكذا تعلّم معاذ ، لينشر العلم ليس في المدينة حسب بل جنوباً في اليمن وشمالاً في بلاد الشام ، وليس داعياً إلى الله بين المسلمين حسب ، بل بين المسلمين وبين أهل الكتاب والمشركين ، وليس على عهد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم حسب ، بل على عهده وعهد الشيخين أبي بكر الصدّيق وعمر بن الخطّاب رضي الله عنهما من بعده ، حتى توفّاه الله ، يتعلم العام ويعلّمه ، ويدعو إلى الله على هدى وبصيرة ، فكان بحق الفقيه الفاضل الصالح (١٧٩) ، المحكم للعمل ، مقدام العلماء ، القارئ القانت (١٨٠) ، الإمام المقدّم في

---

(١٧٥) انظر سيرته في طبقات ابن سعد (٦١٣/٣ ــ ٦١٧) والاستبصار (٩٣ ــ ٩٧) .

(١٧٦) انظر سيرته في طبقات ابن سعد (٥٤٥/٣) والاستيعاب (١٠٧٧/٣) واسد الغابة (٤٢١/٣) والاصابة (٢٥٤/٤) والاستبصار (١/٧) .

(١٧٧) الآية الكريمة من سورة المائدة (٥ : ١٩) .

(١٧٨) سيرة ابن هشام (١٩٢/٢ ــ ١٩٣) .

(١٧٩) تهذيب الاسماء واللغات (٩٨/٢) .

(١٨٠) حلية الأولياء (٢٢٨/١) .

علم الحلال والحرام (١٨١) : « نعم الرّجل معاذ » (١٨٢) ، صدق رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام (١٨٣) .

٢ - القانت :

بينما كان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يحدّث أصحابه ذات يوم ، إذ قال : « إنّ مُعاذاً كان أمّةً قَانِتاً لله حنَيفاً ولم يَكُ من المشركين » ، فقال له رجل : « يا أبا عبدالرّحمن ! نسيتها ؟ ! » وظنّ الرجل أنّه أوْهَمَ فقال ابن مسعود : « هل تدرون ما الأُمّة ؟ » ، قالوا : « ما الأُمّة ؟ » ، قال : « الذي يعلّم الناس الخير » ، ثم قال : « هل تدرون ما القانت ؟ » ، قالوا: لا» ، قال: « القانت المطيع لله » ، وقال : « كنّا نشبّه معاذاً بإبراهيم(١٨٤) ابن مسعود كان يشير إلى الآية الكريمة : (إنَّ إبْراهيمَ كانَ أمّةً قَانِتاً للهِ حَنِيفاً ولم يَكُ مِنَ المُشْرِكِينَ)(١٨٥) وكان الصّحابة يشبّهون مُعَاذاً بإبراهيم عليه السلام في مزاياه المتميّزة .

وتعليم الناس الخير ، وطاعة الله ، هما مفتاحا شخصية معاذ : الإيمان الرّاسخ ، والعلم المتين .

والحديث على إيمان معاذ العميق وعقيدته الرّاسخة وتقواه وورعه حديث طويل ، لأنّه يستغرق أهمّ جانب من حياته إنسانا ، ويمتدّ ليشمل من يوم إيمانه بالله ورسوله إلى أن فارق الحياة ، لا يعمل إلاّ لآخرته في مجالي العلم والعبادة ، وكان علمه ثمرة من ثمرات عبادته ، فكان بحق يعتبر العلم (عبادة)

---

(١٨١) الاصابة (١٠٦/٦) .
(١٨٢) رواه الترمذي والنسائي ، انظر تهذيب الاسماء واللغات (٩٩/٢) .
(١٨٣) تهذيب الاسماء واللغات (٩٩/٢) .
(١٨٤) طبقات ابن سعد (٣٤٨/٣ و ٣٤٩) وانظر حلية الاولياء (٢٣٠/١) واسد الغابة (٣٧٨/٤) والاصابة (١٠٦/٦) والاستبصار (١٣٨) وتهذيب التهذيب (١٨٧/١٠) والبداية والنهاية (٩٥/٧) .
(١٨٥) سورة النحل (١٦ : ١٢٠) .

من أفضل العبادات ، فهو عالم في عبادته ، عابد في علمه ، يرى التعلّم والتّعليم من عبادة المؤمن الحق ، الذي يريد أن يعبد الله على هدى وبصيرة لا على جهل وضلال .

ومن الصعب حشد كلّ ما ورد عن ورع معاذ وتقواه في المصادر المعتمدة، فلا بدّ من اختيار الأمثلة مما سجّله المؤرخون وأصحاب السِّير والمحدِّثون ، فالحديث عن روحانية معاذ تغذي الروح والإيمان .

كان معاذ إذا تهجّد باللّيل قال : « اللّهم نامت العيون ، وغارت النجوم، وأنت حيّ قيوم . اللّهم طلبي الجنّة بطيٌ ، وهروبي من النّار ضعيف . اللّهم اجعل لي عندك هدى تردّه إليّ يوم القيامة إنك لا تُخلف الميعاد »(١٨٦)

وكان لا يجلس مجلساً للذّكر إلاّ قال حين يجلس : « الله حَكَمٌ قِسْطٌ ، (١٨٧) تبارك اسمه ، هلك المرتابون (١٨٨) .

وقال معاذ لابنه : « يا بُنيّ ! إذا صلّيت صلاةً فَصَلِّ صلاة مودِّع ، لا تظنّ أنّك تعود إليها أبداً ، واعلم يا بُنيّ أنّ المؤمن يموتُ بين حسنتين : حَسَنَة قدّمها ، وحسنة أخّرها » .

وأتى رجل معاذاً ومعه أصحابه يسلِّمون عليه ويودِّعونه ، فقال : « إني موصياك بأمرين إن حفظتهما حُفظت : أنه لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا ، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر . فآثِر نصيبك من الآخرة على نصيبك من الدنيا ، حتى تنتظمه لك انتظاماً ، فتزول به معك أينما زلت (١٨٩)

وكان معاذ يقول : « ما من شيءٍ أنجى لابن آدم من عذاب الله من ذكر الله

---

(١٨٦) حلية الاولياء (١/٢٢٣) .

(١٨٧) قسط : العدل ، وهو من المصادر الموصوف بها ، يوصف به الواحد والجمع ، يقال : ميزان قسط ، وميزانان قسط ، وموازين قسط ، ومنه في التنزيل العزيز : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة) .

(١٨٨) حلية الاولياء (١/٢٣٣) .

(١٨٩) حلية الاولياء (١/٢٣٤) .

عزّ وجلّ » ، قالوا : « ولا السّيف في سبيل الله » . ثلاث مرات ، قال : « ولا ! إلاّ أن يضرب بسيفه في سبيل الله عزّ وجلّ حتى ينقطع » . وقال : « ما عمل آدميّ عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله » ، قالوا : « يا أبا عبدالرحمن ! ولا الجهاد في سبيل الله ؟ » ، قال : « ولا ! إلاّ أن يضرب بسيفه حتى ينقطع ، لأنّ الله تعالى يقول في كتابه : (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ) » (١٩٠)

وقال معاذ : « مَنْ سرّه أن يأتي الله ، عزّ وجلّ آمناً ، فليأت هذه الصلوات الخمس حيث ينادى بهنّ ، فإنّهنّ من سنن الهدى ، ومما سنّه لكم نبيّكم صلّى الله عليه وسلّم ، ولا يقل إنّ لي مُصلىّ في بيتي فأصلي فيه . فإنّكم إن فعلتم ذلك تركتم سُنّة نبيّكم ، ولو تركتم سُنّة نبيّكم صلّى الله عليه وسلم لضللتم »(١٩١) .

وعن الأسود بن هلال قال : « كنّا نمشي مع معاذ ، فقال لنا : اجلسوا بنا نؤمن ساعة » (١٩٢) ، يريد أن يجلسوا لذكر الله سبحانه وتعالى .

وقال معاذ يوماً لأحد أصحابه . « إنّك تجالس قوماً لا محالة يخوضون في الحديث ، فإذا رأيتهم غفلوا ، فارغب إلى ربّك عزّ وجلّ عند ذلك رغبات » ، وكانوا يقولون : « آية الدعاء المستجاب ، إذا رأيت الناس غفلوا ، فارغب إلى ربّك عند ذلك رغبات » .

وقدم معاذ منطقة من مناطق المسلمين ، فقال له قسم من أشياخ المنطقة : « لو أردت ننقل لك من هذه الحجارة والخشب ، فنبني لك مسجداً » ، فقال « إني أخاف أن أُكلّف حمله يوم القيامة على ظهري » .

وقام يوماً في بني أَوْد(١٩٣) فقال : « يا بني أَوْد ! إني رسول رسول الله

(١٩٠) الآية الكريمة من سورة العنكبوت (٢٩ : ٤٥) .
(١٩١) حلية الاولياء (١/٢٣٥) .
(١٩٢) حلية الاولياء (١/٢٣٥) .
(١٩٣) أود بن صعب بن سعد العشيرة بن مالك بن أود بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ، انظر جمهرة أنساب العرب (٤٠٧ و ٤١١) .

صلّى الله عليه وسلّم، تعلمنّ أنْ المَعاد إلى الله تعالى ثمّ إلى الجنّة أو إلى النّار، إقامة لا ظعن، وخلود في أجساد لا تموت (١٩٤) »، وبنو أَوْد من قبائل اليمن.

وكان معاذ يقول: « اعلموا ما شئتم أن تعلموا، فلن يؤجركم الله بعلم حتى تعملوا »، وكان يقول: « تعلّموا ما شئتم إن شئتم أن تعلموا، فلن ينفعكم الله بالعلم حتى تعملوا » (١٩٥) إذ لا قيمة للعلم بدون عمل.

وقال معاذ « ابتُليتم بفتنة الضرّاء فصبرتم، وستبتلون بفتنة السرّاء، وأخوف ما اخاف عليهم فتنة النِّساء: إذا تسوّرن الذّهب والفِضّة، ولبسن رِياط (١٩٦) الشّام، وعُصُب (١٩٧) اليمن، فأتعبن الغني، وكلّفن الفقير ما لا يجد ».

وكان يقول: « ثلاث مَنْ فعلهنّ فقد تعرّض للمقت: الضحك من غير عجب، والنّوم من غير سَهَر، والأكل من غير جوع ».

وأخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أربعمائة دينار فجعلها في صُرّة، فقال للغلام: « اذهب بها إلى أبي عُبَيْدة بن الجراح. ثم تلبّث ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع! »، فذهب بها الغلام فقال: « يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك »، فقال: « وصله الله ورحمه ». ثم قال: « تعالي يا جارية! اذهبي بهذه السّبعة إلى فلان. وبهذه الخمسة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان »، حتى أنفذها، فرجع الغلام إلى عمر رضي الله عنه وأخبره، فوجده قد أعد مثلها لمعاذ بن جبل، فقال: « اذهب بها إلى معاذ رتلة في البيت ساعةً حتى تنظر ما يصنع! »، فذهب

---

(١٩٤) حليّة الاولياء (١/٢٣٦).
(١٩٥) حلية الاولياء (١/٢٣٦).
(١٩٦) رياط الشام: جمع رائطة، وهي الملاءة كلها نسج واحد وقطعة واحدة، وكل ثوب لين رقيق.
(١٩٧) عصب: جمع عصابة، وهي مايشد به منديل او خرقة، والعمامة، والتاج.

بها إلى معاذ فقال : « يقول لك أمير المؤمنين : اجعل هذه في بعض حاجتك ! »، فقال : « رحمه الله ووصله ! تعالي يا جارية ! اذهبي إلى بيت فلان بكذا ، اذهبي إلى بيت فلان بكذا » ، فاطلعت امرأة معاذ فقالت : « ونحن والله مساكين ! فأعطنا ! » ، ولم يبق في الخرقة إلاّ ديناران ، فدحا(١٩٨) بهما إليها . ورجع الغلام إلى عمر رضي الله عنه ، فأخبره ، فسرّ بذلك وقال : « إنّهم أخوة بعضهم من بعض » (١٩٩) .

وذكر معاذ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال له : يا معاذ انطلق فأرحل راحلتك ثم إئتني أبعثك إلى اليمن » ، فانطلق معاذ ، فرحل راحلته ثم جاء ووقف بباب المسجد ، حتى أذن له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فأخذ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بيد معاذ ، ثمّ مضى معه فقال : « يا معاذ إني أوصيك بتقوى الله ، وصدق الحديث ، ووفاء بالعهد ، وأداء بالأمانة ، وترك الخيانة ، ورحمة اليتيم ، وحفظ الجار ، وكظم الغيظ ، وخفض الجناح ، وبذل السّلام ، ولين الكلام ، ولزوم الإيمان ، والتفقّه في القرآن ، وحبّ الآخرة ، والجزع من الحساب ، وقصر الأمل ، وحسن العمل ، وأنهاك أن تشتم مسلماً أو تكذّب صادقاً ، أو تصدّق كاذباً ، أو تعصي إماماً عادلاً . يا معاذ ! اذكر الله عند كلّ حجر وشجر ، وأحدث مع كلّ ذنب توبة : السرّ بالسرّ ، والعلانية بالعلانية » .

ولما أراد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أن يبعث معاذاً إلى اليمن، ركب معاذ رضي الله عنه ، ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم يمشي إلى جانبه يوصيه ، فقال : « يا معاذ ! أوصيك وصيّة الأخ الشّفيق ، أوصيك بتقوى الله » ، فذكر نحوه وزاد : « وَعِد المريض ، وأسرع في حوائج الأرامل والضعفاء ، وجالس الفقراء والمساكين ، وأنصف النّاس من نفسك ، وقل

(١٩٨) دحا : دفع .
(١٩٩) حلية الاولياء (١/٢٣٦ ـ ٢٣٧) .

الحق ، ولا تأخذك في الله لومة لائم » (٢٠٠) .

وكانت وصية النبيّ صلّى الله عليه وسلّم هذه لمعاذ ، منهاج حياته العملية حتى ذهب إلى الله . وقال معاذ : « أخذ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يوماً بيدي ، ثم قال : « يا معاذ ! والله إني لأُحبّك ! ، فقلت : بأبي وأمي يا رسول الله ! وأنا والله أحبّك . فقال : أوصيك يا معاذ الا تدعنّ في دُبر كلّ صلاة أن تقول : اللّهم أعِنّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»(٢٠١) ، فأوصى بها معاذ أصحابه .

ودخل معاذ على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال : « كيف أصبحتَ يا معاذ ؟ » ، قال : « أصبحت مؤمناً بالله تعالى » ، قال : « إنّ لكلّ قول مصداقا ، ولكل حقّ حقيقة ، فما مصداق ما تقول ؟ » ، قال : « يا نبيّ الله ! ما أصبحتُ صباحاً قط ، إلاّ ظننتُ أني لا أُمسي ، وما أمسيت مساءً قط إلاّ ظننت أني لا أُصبح ، ولا خطوت خطوةً إلاّ ظننت ألاّ أتبعها أخرى ، وكأني أنظر إلى كلّ أمّة تُدعى إلى كتابها معها نبيّها وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله ، وكأني أنظر إلى عقوبة أهل النّار وثواب أهل الجنّة » ، قال : « عرفتَ فالزم » (٢٠٢)

ولما أصيب أبو عُبَيْدَةَ بن الجرّاح في طاعون (عَمَوَاس) (٢٠٣) استخلف معاذ بن جبل ، واشتدّ الوجع فقال الناس لمعاذ : « ادْعُ اللهَ يرفعْ عنّا هذا الرِّجز » ، قال : « إنّه ليس برجز ، ولكنّه دعوة نبيِّكم صلّى الله عليه وسلّم . وموتُ الصالحين قبلكم ، وشهادة يختصّ بها الله مَنْ يشاء

(٢٠٠) حلية الاولياء (١/٢٤٠ ــ ٢٤١) .
(٢٠١) حلية الاولياء (١/٢٤١) .
(٢٠٢) حلية الاولياء (١/٢٤٢) .
(٢٠٣) عمواس : كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس ، وكانت القصبة في القديم . وهي ضيعة جليلة على ستة أميال من الرحلة على طريق بيت المقدس ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٢٢٦) .

منكم . أيّها النّاس ! أربع خلال مَنْ استطاع أن لا يُدْرِكَه شيء منهنّ فلا يدركه » ، قالوا : وما هي ؟ ! قال : « يأتي زمان يظهر فيه الباطل ، ويصبح فيه الرّجل على دِيْنٍ ويُمسي على آخرَ ، ويقول الرجل : والله ما أدرى على ما أنا ، لا يعيش على بصيرة ولا يموت على بصيرة ، ويُعْطى الرّجل المال من مال الله على أن يتكلّم بكلام الزّور الذي يُسْخِط اللهَ . اللّهُمّ آتِ آل معاذ نصيبهم من هذه الرّحمة » ، فَطُعِن ابناه ، فقال : كيف تجِدانكما ؟ » ، قالا : « يا أبانا ! الحَقُّ من رَبِّكَ فَلاَ تَكُوْنَنَّ من المُمتَرين » (٢٠٤) ، قال : « وأنا ! ستَجِداني (إن شاءَ اللهُ من الصّابرين) ٢٠٥ » . ثمّ طعنت امرأتاه فهلكتا ، وطُعن هو في إبهامه فجعل يمسّها بفيه ويقول : « اللّهم إنّها صغيرة ، فبارك فيها ، فإنك تبارك في الصغير حتى هلك .

وحضر أحد أصحابه ساعته الأخيرة ، فقال : « إني لجالس عند معاذ بن جبل وهو يموت ، فهو يَغْمى عليه مرّة ويُفيق مرّة ، فسمعته يقول عند إفاقته : « اخنُق خَنِقَكَ ، فوَعِزّتاك إني لأحبّك » .

وفي رواية أخرى ، أنّ الطّاعون أخذ معاذاً في حَلْقه ، فقال : « يا رب ! إنّك لتخنقني ، وإنّك لتعلم أني أُحبّك » (٢٠٦) .

ولما حضر معاذاً الموتُ ، قال : « انظروا ، أصبحنا ؟ » ، فقيل له : « لم تُصبح » ، فقال : « انظروا ، أصبحنا ؟ » ، فقيل له : « لم تُصبح » ، حتى جاء الصباح ، فقيل له : « قد أصبحتَ » ، فقال : « أعوذ بالله من ليلةٍ صباحها إلى النار ! مرحباً بالموت مرحبا ، زائر مَغِيبّ ، حبيب جاء على فاقة ،

---

(٢٠٤) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ١٤٧) .

(٢٠٥) الآية : ستجدني ان شاء الله من الصابرين من سورة الصافات (٣٧ : ١٠٢) .

(٢٠٦) طبقات ابن سعد (٥٨٨/٣ ـ ٥٨٩) وانظر حلية الاولياء (٢٤٠/١) .

اللّهم إني قد كنتُ أخافك ، فأنا اليوم أرجوك . اللّهم إنّك تعلم أني لم أكن أحبّ الدنيا وطول البقاء فيها ، لكري الأنهار ولا لغرس الأشجار ، ولكن لظمأ الهواجر ، ومكابدة السّاعات ، ومزاحمة العلماء بالركب عند حِلَقِ الذِّكر » (٢٠٧) .

وكانت لمعاذ امرأتان ، فإذا كان يوم إحداهما لم يتوضأ في بيت الأخرى ، ثمّ توفيتا في السّقم الذي أصابهما في طاعون عَمَوَاس والناس في شغل ، فدفنتا في حفرة ، فأسهم معاذ بينهما ، أيتهما تقدّم في القبر (٢٠٨) ، وذلك لشدّة ورعه وتوخيه العدل في معاملتهما وهما على قيد الحياة وبعد الموت .

وكان مثالاً في العدل بين زوجتيه في حياته ، فقد كان تحت معاذ امرأتان ، فإذا كان عند أحداهما لم يشرب من بيت الأخرى الماء (٢٠٩) .

وكان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم حين بعثه إلى اليمن قال له : « اخلص دينك يكفكَ القليل من العمل »(٢١٠) .

وأخلص معاذ دينه غاية الإخلاص ، وعمل بما علم غاية العمل ، وحاسب نفسه حساباً عسيراً حتى على أبسط الأمور في نظر قسم من المسلمين : « ما بزقت عن يميني منذ أسلمت » (٢١١) ملتزماً بها أشدّ الالتزام . فهو بحق: صحابيّ كبير القدر (٢١٢) ، من أفضل شباب الأنصار (٢١٣) ، واحد الأربعة الذين افتخر بهم الخزرج إذ جمعوا القرآن في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ولم يجمعه أحد غيرهم ، وأحد الثلاثة الذين كسروا آلهة بني سَلِمَة (٢١٤)

(٢٠٧) حلية الاولياء (١/٢٣٩) واسد الغابة (٤/٣٧٧ ــ ٣٧٨) .
(٢٠٨) حلية الاولياء (١/٢٣٤) .
(٢٠٩) حلية الاولياء (١/٢٣٤) .
(٢١٠) حلية الاولياء (١/٢٤٤) .
(٢١١) طبقات ابن سعد (٣/٥٨٦) .
(٢١٢) البداية والنهاية (٧/٩٤) .
(٢١٣) الاصابة (٦/١٠٧) .
(٢١٤) الاستبصار (١٣٦ ــ ١٣٧)

وقد صوّر عمر بن الخطّاب حصيلة حياة معاذ عالماً وقانتاً أحسن تصوير ، فقال : « لو أدركت معاذ بن جبل فاستخلفته فسألني ربي عنه ، لقلت : يا ربي ! سمعت نبيّك يقول : إنّ العلماء إذا اجتمعوا يوم القيامة ، كان معاذ بن جبل بين أيديهم قَذْفَةَ حَجَرٍ »(٢١٥) .

ولم يكن سيِّد العلماء ، بل كان سيِّد العلماء العاملين بعلمهم ، حتى استحق بعلمه وعمله أن يتولى أعلى منصب قياديّ على المسلمين ، منصب الخلافة ، مرشحاً من شخصية نادرة لا تجامل ولا تحابي : عمر بن الخطّاب رضي الله عنه .

لقد كان معاذ عالماً جليلاً ، عاملاً بعلمه ، مخاصاً في عمله ، محافظاً على كرامة العلم والعلماء .

وكان تقيّاً ورعاً ، قوّاماً صوّاماً ، أتعب نفسه في عبادة الله وطاعته ، فكان من الأولياء الصالحين ، والعُبّاد المتّقين ، وكان مثالاً يُحتذى في علمه وصلاحه وتقواه في أيامه ، وبعد رحيله عن الدنيا ، ما بقي للعلم منزلته ، وللورع مكانته .

٣ ــ الرَّجُل :

بعد هجرة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، آخى بين معاذ وعبدالله بن مسعود (٢١٦) لا اختلاف فيه عندنا (٢١٧) . وأما في رواية : أنّ النبي صلّى الله عليه آخى بين معاذ وجعفر بن أبي طالب (٢١٨) ، فكيف يكون هذا ؟ وإنما كانت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار بعد قدوم رسول الله

(٢١٥) طبقات ابن سعد (٣/٥٩٠) .
(٢١٦) طبقات ابن سعد (٣/٥٨٤) والاستيعاب (٤/١٤٠٣) وانساب الاشراف (١/٢٧١) والاستبصار (١٣٦) واسد الغابة (٤/٣٧٦) .
(٢١٧) طبقات ابن سعد (٣/٥٨٤) .
(٢١٨) سيرة ابن هشام (٢/١٢٤) وجوامع السيرة (٩٦) والدرر (٩٩) .

صلّى الله عليه وسلّم المدينة وقبل غزوة بَدْرٍ ، فلما كان يوم بَدْرٍ ونزلت آية الميراث ، انقطعت المؤاخاة ، وجعفر بن أبي طالب قد هاجر قبل ذلك من مكّة إلى الحبشة ، فهو حين آخى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بين أصحابه كان بأرض الحبشة ، وقدم بعد ذلك بسبع سنين (٢٢٠) .

وقد آثرت أن أضع مؤاخاة معاذ بابن مسعود عند الهجرة في أيامه الأولى ، لأشير إلى أنّ أكثر أخبار معاذ رواها ابن مسعود . مما يدل على أثر هذه الأخوة في نفسيّة هذين الصحابين الجليلين في حياتهماوبعد انتقالهما إلى دار البقاء .

وكان معاذ على عهد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم شاباً جميلاً سمحاً من من خير شباب قومه ، لا يُسأل شيئاً إلاّ أعطاه ، حتى أدّان ديناً أغلق ماله ، فكلّم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم غرماءه ، فلم يضعوا له شيئاً من دينه الذي بذمّته ، فلو تُرك لكلام أحد لتُرك لمعاذ لكلام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . ودعاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلم يبرح حتى باع ما له وقسمه بين غرمائه ، فقام معاذ لا مال له ، فبعثه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى اليمن ليجبره . وكان أوّل مَنْ حُجز عليه في هذا المال معاذ . وكان غرماء معاذ يهوداً ، فلهذا لم يضعوا عنه شيئاً (٢٢١) .

وتَوفّي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، واستُخلف أبو بكر ، ومعاذ على اليمن ، وكان عمر بن الخطّاب عامئذٍ على الحجّ ، فجاء معاذ إلى مكّة ، ومعه رقيق ووصفاء على حِدَةٍ ، فقال له عمر : « يا أبا عبدالرحمن ! لمن هؤلاء الوُصفاء ؟ » ، قال : « هم لي » ، قال : من أين هم لك ؟ » ، قال : « أُهدُوا

(٢١٩) طبقات ابن سعد (٥٨٦/٣) .
(٢٢٠) انظر سيرة جعفر بن ابي طالب في كتابنا : قادة النبي صلى الله عليه وسلم .
(٢٢١) حلية الاولياء (٢٣١/١ ـ ٢٣٢) وانظر طبقات ابن سعد (٥٨٤/٣) .

لي » ، قال : « أطعني وأرسل بهم إلى أبي بكر ، فإن طَيَّبهم لك ، فهم لك» ، قال : « ما كنت لأُطيعك في هذا ! شيءٌ أهدَيّ لي أرسل بهم أبي بكر ؟ ! »

وبات معاذ ليلته ثمّ أصبح ، فقال : « يا ابن الخطّاب ! ما أراني إلاّ مُطيعك ! إني رأيتُ الليلة في المنام كأني أُجَرّ أو أُقاد - أو كلمةً تشبهها - إلى النار ، وأنت آخذ بحُجْزَتي » (٢٢٢) ، فانطلق بهم إلى أبي بكرٍ ، فقال « أنت أحقّ بهم » ، فقال أبو بكر : « هم لك » .

وانطلق بهم معاذ إلى أهله ، فصُفّوا خلفه يُصلّون ، فلما انصرف قال : « لمن تُصلّون ؟ » ، قالوا : « لله تبارك وتعالى » ، قال : « فانطلقوا فأنتم له » ، وأعتقهم .

ومن الواضح أنّ معاذاً كان مرهف الحِسّ ، نقيّ الضمير ، صافي السّريرة ، فأثّرت فيه نصيحة عمر ، ولكنّه تظاهر برفضها بالكلام ، ثم عاد إلى قبولها بإيعاز عن عقله الباطني ، فلم يرضخ لموافقة أبي بكر على تطييب الهدايا له ، بل تنازل عنها مختاراً ، وحينذاك ارتاح ضميره نهائياً إلى هذا الحلّ الذي اقتلع الشك من جذوره ، واطمأن اطمئنان التقيّ الورع الذي يبتعد عن الشبهات كما يبتعد عن المحرّمات .

وبعد التحاق النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالرفيق الأعلى ، وانتصار الإسلام على المرتدين ، واصل معاذ سيرته في الجهاد ، فقاتل يوم اليرموك(٢٢٤) وشهد تلك المعركة الحاسمة التي كانت في سنة ثلاث عشرة الهجرية (٢٢٥) ، إذ خرج إلى الشام (٢٢٦) ، واختار ميدان جهاده هناك .

---

(٢٢٢) الحجزة : موضع شد الأزار في الوسط ، وموضع التكة من السراويل.

(٢٢٣) طبقات ابن سعد (٥٨٥/٣ - ٥٨٦) و (٥٨٨/٣) وانظر حلية الاولياء (٢٣٢/١) والاستيعاب (١٤٠٥/٤) .

(٢٢٤) الاستيعاب (١٤٠٢/٤) والاستبصار (١٤٠) .

(٢٢٥) الطبري (٣٦٤/٣) .

(٢٢٦) الاستيعاب (١٤٠٥/٤) .

وبعد أن أكمل المسلمون فتح بلاد الشّام واصل معاذ جهاده العلميّ في تلك البلاد ، فكان له جولات علميّة في دمشق وحمص وغيرهما من الأمصار ، وكان له طلاّب كثيرون ومدرسة خرجت العديد من المحدّثين والفقهاء والصالحين .

ومن مزايا معاذ غيرته الشديدة على عرضه ، فقد دخل قُبّته ، فرأى امرأته تنظر من خرق القُبّة ، فضربها . وكان معاذ يأكل تفّاحاً ومعه امرأته ، فمرّ غلام له ، فناولته امرأته تُفّاحةً قد عَضّتها ، فضربها مُعاذ (٢٢٧).

وكان معاذ شاباً جميلاً (٢٢٨) ، آدم (٢٢٩) وضّاح الثنايا أكحل العينين ، طُوالاً أبْيَضَ ، حسن الثّغر ، عظيم العينين ، مجموع الحاجبين جَعْداً ، قَطَطا (٢٣٠) من اجمل . الرجال (٢٣١) ، حسن الشعر والثغر (٢٣٢)

ويبدو أن الذي وصفه بأنّه شديد السّمرة رآه في السفّر وهو يعاني وعثاء السفر ، والذي وصفه بأنه أبيض رآه في الحضر وهي في نعيم الحَضَر ، وصفاته البدنيّة تدلّ على أنّه جميل القسمات يملأ الأعين قدراً وجلالا .

لقد كان من أحسن الناس وجهاً ، وأحسنه خُلُقاً ، وأسْمَحه كفّاً (٢٣٣) .

وكان أعرج (٢٣٤) ، فصلّى بالناس في اليمن ، فبسط رجله ، فبسط الناس أرجلهم ، فلما صلّى قال : « قد أحسنتم ، ولكن لا تعودوا ، فإني

---

(٢٢٧) طبقات ابن سعد (٣/٥٨٦) .
(٢٢٨) الاصابة (٦/١٠٦) والاستيعاب (٤/١٤٠٤) .
(٢٢٩) آدم : شديد السمرة .
(٢٣٠) جعد قطط : يقال شعر قطط : قصير جعد ، والجعد : كثير الشعر متجمعه ، انظر طبقات ابن سعد (٣/٥٩٠) .
(٢٣١) الاصابة (٦/١٠٦) .
(٢٣٢) البداية والنهاية (٧/٩٤) .
(٢٣٣) طبقات ابن سعد (٣/٥٨٧) .
(٢٣٤) المحبر (٣٠٤) والمعارف (٥٨٣) .

إنّما بسطت رجلي في الصّلاة ، لأني اشتكيتها » (٢٣٥) .

وكان لمعاذ ابنان ، أحدهما عبدالرحمن ، ولم يُسَمّ الآخر ، ويكنى معاذ : أباعبدالرحمن من الولد أيضاً : أم‌عبدالله ، وهي من المبايعات (٢٣٧) .

وكانت له زوجتان(٢٣٨) ، وقد توفى معاذ بطاعون عَمَوَاس سنه ثماني عشرة الهجرية (٢٣٩) (٦٣٩) م ، وولد سنة عشرين قبل الهجرة (٢٤٠) (٦٠٣ م) وتوفى وهو ابن ثمان وثلاثين سنة قمرية (٢٤١) وست وثلاثين سنة شمسيّة ، ودفن بالقصير المعيني في غور الأردن (٢٤٢) ، كما توفي في هذا الطاعون قبله ولداه وزوجتاه ، ولا عَقب له (٢٤٣) .

وكان معاذ من عمّال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأبي بكر الصّديق رضي الله عنه على اليمن ، وعمر بن الخطّاب على أرض الشّام خلفاً لأبي عُبَيْدَة بن الجرّاح ، فقد استخلفه أبو عُبَيْدة فأقرّه عمر (٢٤٥) ، ولكنّه لم يلبث إلاّ قليلاً حتى توفاه الله بطاعون عَمَوَاس (٢٤٦) .

ورحل معاذ عن الدنيا ، ولكن بقي علمه مسطّراً في كتب علوم القرآن والحديث والفقه ، يتلقّاه الطلاّب ويتدارسه العلماء ، وبقي القدوَة الحسنة في تقواه وورعه واستقامته وزهده وخلقه الكريم .

---

(٢٣٥) طبقات ابن سعد (٥٨٥/٣) .
(٢٣٦) طبقات ابن سعد (٥٨٣/٣) .
(٢٣٧) المعارف (٢٥٤) .
(٢٣٨) حلية الاولياء (٢٣٤/١) .
(٢٣٩) طبقات ابن سعد (٥٩٠/٣) والاستيعاب (١٤٠٥/٤) .
(٢٤٠) الجامع (٤٩٢/٤) .
(٢٤١) المعارف (٢٥٤) .
(٢٤٢) الجامع (٤٩٣/٤) .
(٢٤٣) المعارف (٣٥٤) وانظر العبر (٢٢/١) .
(٢٤٤) الطبري (٤٢٧/٣) .
(٢٤٥) ابن الاثير (٥٥٩/٢) .
(٢٤٦) البدء والتاريخ (١٨٦/٥) وتاريخ خليفة بن خياط (١٠٩/١) .

لقد كان معاذ رجلاً في أمّة ، وأمةً في رجل. فلا عجب أن تعجز النساء أن تَلِدْنَ مثل معاذ كما قال عمر بن الخطّاب(٢٤٧) رضي الله عنه في معاذ .

السّفير

بعث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم مُعَاذ بنْ جَبَل إلى جُمْلَة اليمن ، داعياً إلى الإسلام ، فأسلم جميــع ملوكهم (٢٤٨) .

وكانت مهمّة معاذ في سفارته جزءً من مهماته الكثيرة في اليمن . فقد كان سفيراً ، وداعياً ، وأميراً ، وجابياً ، وقاضياً ، ومعلماً ، ومجاهداً .

وقد تطرّقنا إلى ذكر نشاطه المتعدّد الجوانب في اليمن وجنوبي شبه الجزيرة العربية ، وسأقتصر هنا على عوامل نجاحه سفيراً .

فقد كان معاذ من المسلمين الأولين الذين أثبتوا صدق ولائهم العميق وانتمائهم لعقيدتهم الجديدة واستعدادهم عملياً لحمايتها والدّفاع عنها وحماية حريّة نشرها بين الناس .

وكانت مهمّته الأولى في اليمن دعوة ملوكها ورؤسائها إلى الإسلام ، تمهيداً لنشر الإسلام في القبائل اليمنيّة من العرب وفي سكّان اليمن الآخرين من غير العرب .

وهذه المهمّة التي أوكلت إليه ، كانت بالنسبة إليه قضيته الأولى ، التي يعيش من أجل تحقيقها ، ولا يدّخر وسعاً بكلّ طاقاته الماديّة والمعنويّة في سبيل تحقيقها ، فهي مهمّةٌ خلقت له وخلق لها ، ويَعْتَبر نجاحه فيها أمنيّةً من أعزّ أمانيه وأغلاها على الإطلاق .

لقد كانت له (قضيّة) يسعى حثيثاً لتحقيقها ، وهي قضيّة الدّعوة إلى الإسلام ونشره بين الناس ، وكانت له (رسالة) واجبة الأداء للناس كافة ،

---

(٢٤٧) تهذيب التهذيب (١٠/١٨٧) .
(٢٤٨) جوامع السيرة (٣٠) .

والذين لهم (قضيـة) يعيشون من أجلهـا (رسالة) تستهوي قلوبهم وعقولهم معاً ، هم الذين يكتب لهم النجاح أو التفوّق بالنجاح .

وكان الانتماء الكامل للاسلام ، والإيمان الراسخ برسالته ، السببين الحاسمين من عوامل توفيقه سفيراً .

وكان من عوامل نجاحه في سفارته ، الفصاحة ، والعلم ، وحسن الخلق فقد كان معاذ فصيحاً متميزاً في فصاحته ، والنماذج التي ذكرناها من أقواله تدلّ دلالة واضحة على بلاغة عبارته ، وقوّة حجّته ، وسلامة أدلّته ، ونصاعة بيانه ، وسيطرته المطلقة على فنون القول .

وكان عالمَ الصحابة في علوم القرآن والحديث والفقه ، وأحد حاملي القرآن في حياة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومن أصحاب الفتيا والمجتهدين في الدين .

وقد أصبح بعد انتقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إلى الرّفيق الأعلى ، عالم العلماء وصاحب مدرسة علميّة تُشدّ إليها الرّحال .

وتفوّقه العلميّ يدلّ على ذكائه المتفوّق ، وحرصه على مجالس العلم والعلماء ، وعلى التعلّم والتعليم .

أما حسن خلقه ، فقد كان مثالاً رائعاً في حسن الخلق ، قال معاذ : « كان آخر ما أوصاني به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين جعلت رِجلي في الغَرْز (٢٤٩) : أنْ أحْسِنْ خُلُقَكَ مع الناس » (٢٥٠) ، يريد في رحلته إلى اليمن سفيراً .

وبقيت هذه الوصيّة السامية تتردّد في أعماق نفسه الى آخر لحظة من لحظات حياته : يعمل بها ، ويعلّمها للناس ، ويحثّ على تطبيقها عملياً ، والإسلام جاء ليتمّم مكارم الأخلاق .

---

(٢٤٩) الغرز : ركاب الرحل من جلد مخروز يعتمد عليه في الركوب . وفي الحديث ، «كان اذا وضع رجله في الغرز يريد السفر يقول : باسم الله» .

(٢٥٠) طبقات ابن سعد (٣/٥٨٥) .

لقد كان سيِّداً ، فاضلاً ، عاملا ، جواداً ، كريماً (٢٥١) .

وكان يتحلّى بالصبر الجميل والحكمة البالغة ، وهما سببان من أسباب نجاحه سفيراً .

والصبر الجميل مزيّة من مزايا الخلق الكريم ، فقد صبر على ما عاناه في اليمن من مدٍّ وجَزْرٍ واطمئنان واضطراب ، وسلم وحرب ، وأمن وخوف ، وسعادة وشقاء ، صبر المؤمنين المحتسبين الذين يعتبرون المؤمن بخير على كلّ حال ، إذا أُعطي شكر ، وإذا منع صَبَر .

وعالج أحداث اليمن في أيامه بما فيها من آلام وآمال بالحكمة والموعظة الحسنة ، فلم يهن ولم يجزع في حالة الشِدّة ، ولم يشتط ولم يتجبّر في حالة الرخاء ، فكان حكيماً صابراً في حالتي الشِدّة والرخاء ، لم ينسَ لحظة هدفه الحيويّ من سفارته ، ولم يقنط أبداً من رحمة الله ونصره .

وكان يتحلّى بسعة الحيلة وبُعْد النظر ، فعالج المشاكل بأسبابه الناجعة ، في النّصح والارشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والحثّ على الابتعاد عن الفتن وبواعثها ، بالسياسة والعمل الصالح والقول السديد . ولكنّ إخفاق وسائله السلميّة التي دلّت على سعة حيلته وبُعد نظره ورجاحة عقله والتزامه بتعاليم الدين الحنيف ، لم تمنعه من إعلان الجهاد في الزمان والمكان الجازمين ، فجاهد بعقله تارة ، وبسيفه تارة أخرى ، لإعلاء كلمة الله ، فكان بحق أكبر من الأحداث ، ولم تكن الأحداث أكبر منه ، فسيطر عليها لمصلحة الإسلام والمسلمين ، ولم تسيطر عليه لمصلحة الكفّار والمرتدّين .

وكما كان معاذ يتحلّى برواء المخبر ، كان أيضاً يتحلّى برواء المظهر ، فقد كان رجلاً طُوالاً ، أبيض ، حسن الثّغر ، أكحل العينين ، براق

---

(٢٥١) الاستبصار (١٣٦) .

(٢٥٢) طبقات ابن سعد (٣/٥٩٠) وانظر الاستبصار (١٤٠) .

الثنايا (٢٥٢) ، حسن الشعر ، عظيم العينين (٢٥٣) جميلاً ، من أفضل سادات قومه ، سمحاً لا يمسك (٢٥٤) ، أحسن الناس وجهاً (٢٥٥) .

تلك هي مجمل عوامل نجاح معاذ في مهمّته سفيراً ، وهذه العوامل هي العوامل التي يجب أن تتوفّر في السفير المثالي في الإسلام ، بل هي العوامل التي يجب أن تتوفر في كلّ سفير ناجح في كلّ زمان ومكان وبكلّ دين من الأديان السماوية والنزعات الأرضيّة أيضاً وفي مختلف الأمم والشعوب والأوطان .

وكلّ الدارسين الذين يتدبّرون سيرة معاذ ، يستطيعون بسهولة ويسر استنتاج عوامل نجاحه سفيراً ، والمزايا التي كان يتمتّع بها السفراء المسلمون ، وعلى هديها يجري اختيارهم للنهوض بواجبات السفارات الإسلامية ، وبخاصة على عهد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وخلفائه الراشدين .

مُعاذ في التّاريخ

يذكر التاريخ لمعاذ ، أنّه شهد العقَبَة الثانية مع السبعين من الأنصار ، فكان من المسلمين الأولين السّابقين إلى الإسلام من الأنصار .

ويذكر له ، أنّه شهد بدراً وأُحُداً والخندق مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فنال شرف الصُّحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول عليه أفضل الصّلاة والسّلام .

ويذكر له ، أنّه شهد حروب الردّة في اليمن ، وشهد معركة اليرموك الحاسمة هو وولده عبدالرحمن .

ويذكر له ، أنّه كان من سفراء النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ودعاته

(٢٥٣) الاستيعاب (٣/١٤٠٣) .
(٢٥٤) الاستيعاب (٣/١٤٠٤) .
(٢٥٥) أسد الغابة (٤/٣٧٦) .

ومعلميه وقضاته وعمّاله ، ومن عمّال الشيخين أبي بكر الصدّيق وعمر بن الخطّاب رضي الله عنهما من بعده .

ويذكر له ، أنّه جمع القرآن على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فكان أحد أربعة من الأنصار جمعوا القرآن على عهده .

ويذكر له ، أنّه كان أحد أربعة من الصّحابة أمر النبيّ صلّى الله عايه وسلّم بأخذ القرآن عنهم .

ويذكر له ، أنّه كان أعلم المسلمين بالحلال والحرام ، كما شهد له رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

ويذكر له ، أنّه أحد الذين كانوا يفتون على عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهم ثلاثة من المهاجرين وثلاثة من الأنصار أحدهم معاذ .

ويذكر له ، أنّه كان إمام العلماء ، وعالم الأئمة ، ومن المجتهدين في الدين على عهد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وبعد أن التحق بالرفيق الاعلى .

ويذكر له ، أنّه كان أمّةً في رجل ، ورجلاً في أمّة ، وأحواله ومناقبه غير منحصرة (٢٥٦) ، فكان أمّة قانتاً لله .

رضي الله عن الصحابيّ الجليل ، العَقَبِيّ البَدْريّ ، العالم العامل ، المحدّث الفقيه ، الحافظ القاضي ، السفير المجاهد ، مُعَاذ بن جَبَل الأنصاريّ الخزرجيّ .



(٢٥٦) تهذيب الاسماء واللغات (١٠٠/٢) .

الفُتُوَّة
تَطَوُّرٌ وَدَلالَة

الدكتور نوري حمودي القيسي
(كلية الآداب ـ جامعة بغداد)

من المظاهر الدلالية المتميزة في اللغة العربية احتواؤها معاني مختلفة للفظة الواحدة ، تكتسبها من خلال الاستعمال ، وتنفرد بها بعد أن تصبح لفظاً مخصوصاً ، واستعمالاً مُحَدّداً ، وقد تبتعد بعض الدلالات عن المعنى المعجمي للفظة بسبب ابتعاد القرينة المجازية أو العقلية ، وتنقطع اسباب التواصل التي أوحت بالاستعمال المجازي ويبقى المعنى اللغوي قائماً في تحديد معنى اللفظة ، وتوسيع المدى الذي يمكن أن يتحرك فيه ليؤدي مهمته ، ويحقق للمفردة دورها في الاستعمال والشيوع ، وهو ما يمكن ان يقال بالنسبة لمعظم الالفاظ العربية .

والفتوة من الالفاظ التي اخذت حجمها في المعجم العربي لتدل على الفتي وهو « الشاب » و « الفتاة » : الشابة وعندما يُقال فَتِي بالكسر يعني فتي السن ، بيّن الفتاء وهنا تنحصر الدلالة في معنى الشباب والفتوة والنشاط والحيوية والشجاعة ، وتأخذ اللفظة في المعجم دلالة أخرى هي السخيّ الكريم . والفتوة : الكرم والحرية واذا حاولنا البحث عنها في الاستعمال اتضح لنا أن المعنى ينصرف الى الشجاعة والوفاء بالوعد ، والبر بالعهد ، والصبر على الشدائد ، ودفع الملمات ، وتحمل الأعباء ومعظم الصفات المحمودة التي يمكن أن يؤديها الفتى ، ويحرص على الالتزام بها ، ويجد في أدائها ضرباً من المروءة ، ولوناً من الوان الفروسية .
ولعلّ في بيت امرئ القيس حين توجه الى قيصر اشارة الى هذه المعاني وهو يتحدث عن رحلته وغربته ومسؤوليته .

عليها فتىً لم تحمل الأرض مثلَه ... ابرَّ بميثاقٍ وأوفى وأصبـرا . .

وما دام الحديث عن امرئ القيس وهو يصف نفسه بهذه الصفات ، وهو يشق الطريق الصعب ، ويوغل في اعماق بلاد الروم ، فلا بد لنـا من استعادة بيت طرفة وهو يستجيب لصرخة قومه وهم يدعون الفتى الذي يلبّي النداء ، ويدفع الشر ، ويُعلن عن نفسه وقت الصريخ فيقول :

إذا القوم قالوا من فتى خِلتُ أنّني ... عُنيتُ فلم أكسلْ ولم أتبلّدِ

والأعشى يقصد (هوذة الحنفي) وهو خيرُ فتى في الناس كُلّهم ، فالشمس لو ناداها ألقت إليه قناعَها ، وكشفت وجهَها ، وأسفرتْ وأطاعتْ وانقادت له لما عُرف به من نجدة ، واتصف به من شجاعة ، وشُهر به من حكمة . فهو الفتي الذي يحمل الأعباء في الوقت الذي لا يستطيع غيرَه النهوض بها .

وتتوالى هذه المعاني لتتسع دائرة الاستعمال فتضيفُ خصائص أخرى من كرم وشهامة وجمال وشجاعة وسماحة وشدة وصلابة ، والفتى لا يردُّ سائلاً ، ولا يضمر حقداً . . وتحمل اللفظة في بعض الاستعمالات معنى طراوة السنّ وصغره . كما جاء ذلك في ابيات عمرو بن كلثوم وهو يُشيد بفتيان قومه فيقول :

بفتيانٍ يَرَون القتل مجـداً ... وشيبٍ في الحروب مُجَرّبينـا

وقول الاعشى :

قد حَمّلوهُ فتيّ السنّ ما حَمَلت ... ساداتُهم فأطاقَ الحملَ واضطلعا

وقول عبيد بن الأبرص :

كم من فتى مثلَ غصن البانِ في كرم ... محض الضريبة صَلْت الخدّ وضاح

فالفتى في المجتمع العربي قبل الإسلام هو الانسان الذي تتجسّد فيه الصفات التي تتطلبها القبيلة على اتمّ وجه ، فهي شجاعة في القتال لتضمن الحمايـة للارض والدفاع عنها ، والكرم الذي يصون اسم القوم ويرفع ذكرهم ، والشهامة التي تزيد مركزها علواً وشموخاً . ومروءة تجمع الخصال الحميدة والقيم

النبيلة التي يمكن ان تجمعها القيمة العظيمة .

والفتوة في الاصل تعني الشباب ثم استعيرت لتدل على القوة ثم استعملت لتكون دليلاً من ادلة السخاء والكرم ، وتجاوزت بعد ذلك هذه الاستعمالات لتصبح الكامل الجزل من الرجال .

ولعلّ اختلاف الاستعمال قد يأتي من اختلاف وجهات النظر التي وجدت في مدلول الفتى المعنى المطلوب ، والمضمون المراد لِمَا يُراد منه ان يكون في موضع مرموق ، وصفة كريمة وموقع متميز وفي كل هذه الأحوال يتحدد اللفظ وفق الصيغة التي يُطلقها القائل . شعراً أو نثراً أو قولاً . فالبعض يراهـا في فصاحة اللسان والحكمة كما جاء في قول زهير بن ابي سُلمى : (لسانُ الفتى نصف ونصف فؤاده) والبعض الآخر يراها مطلقة يقصد بها الانسان كما جاء في قول لبيد « فكلُّ فتىً يوماً به الدهرُ فاجع » وهنا يمكن القول ان الكلمة كانت تطلق على الاشخاص الّذين اجتمعت فيهم مجموعة من الصفات قد يكون الشباب وما يترتب عليه واحداً منها ، الى جانب صفة الكرم والنجدة والفصاحة والمروءة وإغاثة الملهوف ومعاونة المحتاج وحماية الضعيف وهنا تتقارب اللفظـة من صورة الفارس من حيث المثـل والقيم التي يلتزم بها كلٌّ منهما ويتصف بها كل واحد منهما .

واقترن لفظ (الفتى) في القرآن الكريم بالنبي (ابراهيم عليه السلام وهو يهوي بفأسه على الأصنام فكانت ضربته القوية ثورة رائدة في إسقاط الوثنيـة وتحطيم المعتقد الذي أودع في أحجار لا تضرّ ولا تنفع . بعد أن تمثلت في فكره وقوته وفتوته ريادة التوحيد والإيمان وارتفعت في يده راية الوفاء للمبادئ الإنسانية « قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم » الانبياء (٦٠) . والفتى هنا يجمع بين قُدرة الرؤية المستقبلية الثاقبة ، والتميّز بالقدرة الفريدة ، ولهذا كان اختياره لنشر رسالة التوحيد . وفي سورة الكهف كانت قصة الفتية الذين آمنوا بربهم

فزادهم ربهم هدى تمثل قصة التوفيق والتثبيت والقوة والصبر والجهر بكلمة الحق، والإيمان بالله . واقترنت اللفظة بسلامة المعتقد والهداية وهما صيغتان تحملان دلالة الرشاد ، وتؤكدان صفة الاعتقاد الصادق . « إنهم فتية آمنوا بربّهم وزدناهم هُدى » الكهف (١٣) .

وفي هاتين الصياغتين . وفي إطار هذا الاختيار للمعاني الكبيرة التي وُصف بها نبيٌّ مرسل وأصحابٌ أوفياء لمبادئهم ، مخلصين لأهدافهم اختيروا ليكونوا قدوة لمن ترك عبادة الأصنام ، واتجهوا الى عبادة الله الواحد . تتضح الغاية العظيمة التي حملتها صيغة (الفتى) و (الفتية) وهي تتجاوز الفئـة العمرية الى طاقة متميزة . وصفة فريدة ، وحالة لها خصائصها ودورها التاريخي في الالتزام بالمبدأ ، والحفاظ على اداء رسالة انسانية كريمة .

إن محاولة ربط مفهوم (الفتوة) بالنبي ابراهيم عليه السلام تعطي هذا المدلول اهمية خاصة ، وتحدد له اتجاهاً تتوفر فيه كثير من الخصال الفريدة التي امتلكها الرُّسل وهم يحملون امانة الخير ، ويبشرون برسالة الإيمان ، ويقاومون جَبروت الشرك ، وطاغوت الطغيان ، وإذا كانت رسالة ابراهيم عليه السلام تمثلت في تحطيم الصنم ، واسقاط هيبته ، وزوال سلطان الوثنية المقيت ، والإيمان بالإنسان الذي كرّمه الله ،وفي تقديم نفسه قرباناً لعقيدته ، وتضحية لإيمانه ، وايثاراً لمبدئه ، فان هذه الدلالة تقدم نموذجـاً للفتوة المؤمنة ورائداً من روّاد الحقيقة التي عاشت في وجدان البشرية آماداً طويلة . وهو ربط استمرت قيمه في الخُلُق والسلوك والعقيدة . وعاشت أصوله في اعماق النفوس ، وتجددت صورته في كل عمل من اعمالها وهي تقاوم طاغية وتُسقط ظُلْماً وتتجاوز واقعاً حاول أن يفرض عليها سطوته .

إن هذا الربط الفكري والذهني والسلوكي والاستيعاب الحقيقي لمفهوم المبدأ الذي تبنى عليه قيم الفتـوة ، وتُرسّخ في إطار حدوده قواعدها يظل وجهـاً

من الوجوه الكريمة التي تتشوق اليها كلما وجدت أسباب القهر تحيط بها ، أو عوامل النهوض تدخل في بناء وجودها ووجدانها عنصراً متحركاً .

واذا كان هذا الاستعمال قد اعطى الصفة المشتركة لكل المجازات التي استخدمت اللفظة ، وحقّق العوامل المساعدة في تبيان الوجوه التي يمكن ان تقدمها في الاستعمال ، فإنّ الحقيقة الأصيلة التي تعيش في روح الفتى ، وتتألق في قسمات الفتيان ، وصلابة العقيدة التي تتمثل في اندفاعهم واقتدارهم تظـل الصورة التي تستمد منها الأجيال روح الحياة ، وأسباب التقدم وعوامل النهوض هي الصورة الحية والواعية في الدلالة التي اجتمعت عليها استعمالات الألفاظ وتحققت في إطلاقها اشراقة المصطلح الذي توسمته في لفظة (الفتى) :

ومن الطبيعي ان يتسع مدلول الفتوة في العصر الإسلامي بعد أن تهذبت الطباع ، وأصبح مفهوم مكارم الاخلاق ، وحسن السيرة ، والدعوة الى المثل الاعلى هي الصورة التي دعا اليها الإسلام وحث على الالتزام بها والوفاء بقيمها ، لأنه دعوة الى التغيير ، ورسالة الى الانسانية ، وايمان بحق الحياة ، وهداية الى الحق ، ودفاع عن العقيدة واكتساب للسمعة الحسنة ، وهنا تأخذ المفردة نمطاً لـه دلالته الثابتة في الاندفاع وقدرته الفاعلة في الإيحاء بعد أن اصبحت المرحلـة مهيئة لانتقال جـديد ، ومُعَدَّة لاستقبال احـداث كبيرة ، وان ظلّت الخصائص العامة تحمل نفس الامتداد وتؤدي عين الصورة ولكنها شُحِنَت بدفقات دلالية جديدة أملتها مرحلة الرسالة الإسلامية ، وخلقتها متطلبات الأداء المسؤول ، لأن المؤمنين اصبحوا فتيان صدق في الطعان ، اقوياء لا يتسرب الى قلوبهم الضعف ، ولا يساور عزائمهم الخَوَر عند اللقاء ، يذودون عن الحمى ويدافعون عن الأرض ، ويقدمون اجلّ التضحيات ، إذا دعا الداعي ، لأن صورة الاستشهاد والجهاد اصبحت صورة مُضافة ، ووجهاً قائماً من وجوه الأيمان بعد أن تحوّلت حالة الدفاع الى مكرمة يُتسابق اليها ، وفضيلة يُسعى

لتحقيقها ، وغاية يحمد المرء على اكتسابها . وكبُرتْ الصورة في الاستعمال وتوسعت أبعادُها في الحديث بعد أن أصبح المجد البطولي والفروسي هو الساحة التي يتحرك عليها اللفظ ، والدائرة التي تحيط بالمعاني المتشابهة التي يمكن ان يوصف بها الفتى وهو يؤدي مهمة في كُلّ موقع يوضع فيه بعد أن أصبحت المفردة غنية العطاء ، ثرّة الحيوية ، كبيرة في قدرتها وفعلها وديمومتها ، ووُظّفت توظيفاً ملازماً لكل الخصال الرفيعة . وهنا كانت الطبقة الأولى من الصحابة قدوةً صالحة اهتدت بهدي الرسول الكريم صلوات الله عليه ، واقتبسوا من نوره مُثُلاً علياً في رجاحة العقل ونفاذ البصيرة ، وكمال الرجولة ، وتوثقت في نفوسهم حرارة الإيمان . واستقرت في قلوبها اصول العقيدة ، ونمـا في عروقها حبُّ الخير ، وتشربت بالعفة طهراً ، وبالصـدق التزامـاً واداءً . وقد استطاعت هـذه الفئة الخيّرة مـن استيعاب هـذا الخُلُق فكانت مادة أصيـلة في ترسيـخ قواعـد البنية الجديدة ، واساساً من أسس المجتمـع النـاهض الذي حمل مسؤولية الأمانة وامتـلأ قلبـه بحب المبادىء السمحة ، فكانوا نماذج في الاستبسال وروّاد في طلب الشهادة ، وقادة متميزين في ادارة المعـارك ، وفرساناً في القتال وكانت تجربة الأيام الأولى في مجابهـة المشركين ، والوقوف بوجـه حركات الارتداد ، والدعوة الى اخراج الإنسان من ظلمات العبودية الى حرية الحياة ، تجربة رائدة ثبتَ فيها بلاؤهم ، وصَدَقَ إيمانهم ، وامتُحنتْ بها قدراتهم في المقاومة ، وصمودهم في المجابهة ، فكان لتربيتهم هـذه اثرٌ في اجتماع الناس حولهم ، والتفافهم تحت ظـل دعوتهم للمبادىء الانسانية التي بشّروا بهـا . فكانوا اقوياء على خصومهم ، رحماءَ بينهم ، وعلى الرغم من اتساع استعمال لفظة ((فتى)) في العصر الاسلامي لارتباطهـا بمكارم الأخـلاق ، والاتصـاف بالمروءة ، واكتمال أسباب الرجـولة ، فإن استعمال اللفظـة في الحـديث النبوي انحصر في حداثة السن كما جاء في قول الرسول الكريم صلوات الله عليه

« فإذا انا بشاب برّاق الثنايا » وقوله : « فيهم فتى شابٌ اكمل » ووصف جبريل عليه السلام بصورة الفتى في قوله عليه الصلاة والسلام « واحياناً يأتيني في مثل صورة فتى » وهنا تتسع الدلالة ليدخل فيها الإشراق والقوة والاكتمال . وفي حديثه عليه الصلاة والسلام « إئتوني باعلمكم فأتي بفتى شاب » يعني اكتمال العلم ، والتوثق من المقدرة على المحاجحة ، وكثيراً ما اقترنت الفتوة بالشباب في احاديث الرسول فقال « ان فتى شاباً أتى » و « كنت فتىً شاباً عزباً » ويكاد هذا الاقتران يسري على معظم الاحاديث التي ذكر فيها لفظ فتى ، وهي مرحلة من مراحل تطور اللفظة ، وصورة من صور استعمالها بعد أن أصبح الفتى الشاب هو الصورة المشرقة في البناء ، وهو الوجه المتقدم في سلّم التكوين الاجتماعي باعتباره عنصراً فاعلاً في الأحداث ، ووجهاً متميزاً من وجوه الدعوة ، وهي تتحرك باتجاه التغير ، واخذ المواقع اللازمة ، وتمثلت هذه الخصائص في الصحابة الاوائل والخلفاء الراشدين ، والقادة الميامين الذين حملوا راية التحرير وهم يتخلقون بخلق الرسول ويلتزمون بمنهجه القويم وتعاليم الرسالة الانسانية الكريمة .

وتكتسب اللفظة في حديث الرسول عليه الصلاة والسلام . لا فتى إلا علي ، لا سيف إلا ذو الفقار صورة الترابط وبين الفتوة والشجاعة ، بين الشباب والسيف بين القدرة والاقتدار وهو مما اكتملت فيه اللفظة دلالة واتسمت به وحدة وتوثقت به استعمالا في مرحلة اصبحت فيه قوة الايمان متصلة بقوة الدفاع واستخدام العقل مرتبطاً باستخدام السلام .

وتأخذ اللفظة حجمها الجديد في ظل المتغيّرات التي تعرض لها المجتمع ، في الحدود التي اصبحت تتعامل بها المفردة ، وهي تتوزع في احاديث الشعراء ، وتُتناقل على افواه الرواة والمؤرخين والفقهاء ، فالفتيان هم المقاتلون الذين يُندبون للحرب فيستجيبون استجابة الرجال الاشداء لانهم يرون لله عليهم حقا في مقارعة الطغاة ، وخوض المعارك الكبرى الحاسمة ، ولا يبتغون من الله إلا ثواب الآخرة ، والخاتمة الصالحة ، والفتيان كأسد الغاب إذا شرعوا عند

الطعان ، وهم أهلُ نجدة ومروءة (١)

عليهم كأسْدِ الغابِ فتيانُ نجدةٍ إذا شَرعوا نحو الطعان العواليا

والمسلمون في يوم خيبر لهم صولة محمود (٢) .

ونحن وردنا خيبراً وفروضَه بكُلِ فتى عاري الاشاجع مِذْوَد

وهم لا يتوانون عن دعوة اذا دُعوا ولا يخيبون ظناً اذا اعتمدوا (٣)

وفتيانٍ إذ نُدبوا لحربٍ تَمشّوا مشيةَ الأبل الهيـام

وهم فتيان صدق من كرام الأعارب كما يصفهم قيس بن حازم البجلي (٤)

ودانٍ لنا الخابور مع كُل اهله بفتيان صدق من كرام الاعارب

وهم الذين يُدركون الأعداء لما عرف عنهم من جرأة ، ووُهبوا من مصاولة ، وقدروا عليه من مطاردة (٥)

وادرك همّاماً بابيضَ صارمٍ فتى من بني عمرٍ طوال مشايع

والفتية المؤمنون هم الذين يبيعون نفوسهم للعقيدة ، ويبذاون تضحياتهم سخيّةً من أجل المبدأ ، دفاعاً عن الحق ، وصوناً للكرامة ، ووفاءً للعقيدة (٦)

رأت فتيةَ باعـوا الإله نفوسهم بجنات عـدْنٍ عنده ونعيم

والفتى في عرف الشعراء بطل ما يزال الدهر سُنّةَ رمحه ، لا يخذُله رمح ، ولا يُكسَر له سنان ، ولا تُطفأ في قلبه جَذوة ، ولا يعرف التراجع (٧)

فتىً لا يزال الدهر سُنة رمحِهِ إذا قيل هل مِنْ فارسٌ أن يُداعسا

والذين قاتلوا جُندَ الهرمزان كانوا من الفتيان النجباء الذين لم يغمدوا سيفاً ، ولم

---

(١) الطبري . تاريخ الطبري ٥٤٢/٥ البيت لجواس بن قعطل .
(٢) كعب بن مالك . الديوان .
(٣) ابو حاتم السجستاني . المعمرون والوصايا / ٦٩ .
(٤) الواقدي : فتوح الشام ٧٢/٢ .
(٥) ابو تمام : الحماسة ١٩٥/٢ (التبريزي) .
(٦) ابن الاثير . الكامل في التاريخ ١٠٤٦/٣ .
(٧) شعر الخوارج / ١٨٧ .

ينكصوا رمحاً ، ولم يترددوا عن خوض معركة يستعيدون فيها مجداً ، ويحققون نصراً (٨) .

ولا هَمَّ الا البزّ أو كُلّ سابحٍ عليه فتىً شاكي السلاح نجيبُ

وعلى الرغم من حالات الاستعطاف التي كانت تتردد في الفاظ الوداع وعبارات الحنان التي يذرفها الآباء والأمهات وهم يقفون على ابواب المدن العربية لينطلق الأبناء البررة للدفاع عن الأرض والحمى ، فإنّ هذه المواقف الحادّة والنظرات العاطفية لم تثنِ الفتيان الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وآمنوا بما وعدهم به من الثواب ، ونذروا أنفسهم للعقيدة لأن دعوة الجهاد والتحرير أقوى تأثيراً ، واشدّ صلةً في نفوسهم ، وارسخ من كل دعوة . .

وفتى العرب هو المقاتل الذي تبقى رايته مرفوعة ، وصوتُه يشقّ اصداء الفلوات علوّاً واقتداراً وهمة وعزيمة . وهو ما اطلق على عبدالعزيز بن زُرارة وهو يجاهد في حرب الروم بالقسطنطينية ، ويصل خبر استشهاده الى اخيه معاوية وهو يقول : والله هلك فتى العرب . وهنا تنفرج اسارير وجهه وتنطلق عبارته رائقة ليقول (٩) .

فكُلُّ فتىً شارب كأسه فأمّا صغيراً وإما كبيراً

وكثيراً مانجد صفة الفتى تلازم المرثي كما سنقف عليها في نماذج أخرى .. والمتميز في الحرب هو الفتى ، فعندما قيل للمهلّب بن ابي صُفرة ماأعجب مارأيت في حرب الازارقة قال : فتى كان يخرج الينا منهم في كلّ غداة فيقف ويقول (١٠) :

وسائلةٍ بالغيب عَنّيَ لو دَرت مُقارعتي الأبطال طال نحيبُها

اذا إما التقينا كنتُ أولَ فارسٍ يجود بنفسٍ أثقلتها ذنوبُها

(٨) المخبل السعدي . شعره . (مجلة المورد) .
(٩) ابن الاثير . الكامل في التاريخ ٤٥٩/٣ .
(١٠) ابن عبد ربه . العقد الفريد ١٠٣/١ .

ويُنسب الفتى الى قبيلته أكراماً لها ، وتعريفاً بها . فعبدالله بن الحر يستجيب لدعوة الفتى الأسدي عند دعوته له . وهنا يكون لفظ (الفتى) واسعَ الدلالة ، كبير الدائرة لأنه يقع في إطار القبيلة التي ينتسب اليها كل الفتيان (١١) .

دعاني الفتى الأسدي عمرو بن جندبٍ فقلت لـه لبيك لمـا دعانيا

والفتى لايبالي الدهر ماقلّ ماله ويداه تتوزعان بين جود يكرم المعدمين ، وبطش على الاعداء تسطو وتجرح (١٢) .

فتى لايُبالي الدهر ماقلّ ماله اذا جُعلت ايدي المكارم تَسنح

والفتى هنا ظل صورة للنموذج المطلوب ، وحالة من حالات الاقتداء لمن ، اراد ان يتمثل بالفضائل التي بقيت في أعراف العصر هي الفضائل المحمودة وهنا كانت تقترب الفتوة من مفهوم الفروسية ، وتتفق في كثير من خصائصها ، وتتوحد في ظل المعاني التي يوصف بها الفارس والفتى . ولكن الحدّ الفاصل الذي يبقى قائماً بينهما هو أن لفظة الفتى تظل تحمل معنى الجرأة والحيوية والقدرة ، ويتصف من تُطلق عليه بالخصائص التي تدل على الحركة السريعة والتضحية الفريدة ، والاقتحام الحاسم في حين بقيت لفظة الفارس تحمل طابع الاقتران بصفات أقلّ اتساعاً وحدودٍ أضيقَ استخداماً ومجالات محصورة في هذا التحديد تستطيع أن تقف عندَ الإطار الذي خُصّت به الاستعمالات وحُدّدت به طبيعة الصفات التي تضفي عليه وتحكم خضوعه لها .

لقد ظلت لفظة الفتى مقترنة باحترام المجتمع ، وقريبة من نفوس الناس لأنها توحي بالوفاء للقيم التي عاشت في نفوس ابنائه ، وتُدلل على الإلتزام الاخلاقي الذي التزم به من يحمل هذا اللقب أو يوصف به او يقع في دائرته ، لأن الصورة التي كانت تقف على النقيض منه هي الصورة غير المحمودة التي تُسلب منها كل الفضائل وتنتزع عنها كل الخصال والمآثر . ويمكن

(١١) شعراء امويون ١ /١١٨ .
(١٢) شعراء امويون ١/٢٩٥ .

تفسير ظـاهرة خـلو غرض الهجـاء من استعمال لفظـة الفتى بأن الشعراء كانوا يبتعدون عن استخدامها لأنها ظلت تحمـل الخُلق الكريم والمأثرة العزيزة، ولا يمكن ان تضاف لأيّة صفة لا تدخل في حدود المعاني الانسانية النبيلة .

ومن المظاهر الواضحة في تطور لفظة الفتى هي الصورة التي تطالعنا في الرثاء حتى او شك القارئ ان يجد المرثي في صور الشعر على امتداد العصور (فتىً) وهي حالة تكشف عن الجانب النفسي الذي يُعطي المرثي صورة الفتى الشجاع الجريء ، وتضعه في قلوب المفجوعين حيّاً يستمدّ حيويته من الخصال التي تُضفي عليه عندما يكون في إطار الفتوة . وتمنحه قدرة الشباب ونضارة العمر الزاهي ، ووجاهة اللوعة التي يمكن أن تثيرها عند سماع القصيدة . ان هذه الخصائص وغيرها من العوامل هي التي أغنت اللفظة بمدلولات متحركة ، وجَلّتها بدفقات فتية من الصور لتكون أكثر اشراقاً ، وأزهى روعة ، وأكمل بهاءً . فالمرثي في ابيات اعشى همدان فتىً مات ميتة كريمة ، وكل فتى يوماً لاحدى النوائب (١٣) .

فإن تقتُلوا فالقرمُ أكرم ميتةٍ وكلُّ فتى يوماً لأحدى النوائب

وموت الفتى عند عروة ليس عاراً اذا لاقاه كريماً (١٤) .

لعمرك مابالموت عارٌ على الفتى اذا ماالفتى لاقى الحمامَ كريما

وتجتمع في صورة الفتى كل خصال المقاتلين الشجعان ، فهو يكرّ ويصبر عنـد احتدام المعارك ، ويدعو صبره وجلده عند الهياج الى التعجب (١٥) .

فللّه عينا من رأى مثله فتىً اكرَّ وأحمى في الهياج وأصبرا

ويضاف لفظ الفتى الى الندى والطعان والرياح وكل الخصال الحميدة التي تعطيه وجهاً متميزاً ، وتحدّد له خصلةً محمودة ، وتفرده بالتعريف بمأثرة كريمة فعندما رثى جرير (١٦) :

---

(١٣) اعشى همدان . الديوان .
(١٤) شعر الخوارج / ٥٢ .
(١٥) الحماسة البصرية ٢٠٢/١ .
(١٦) ديوان جرير .

أفتى الندى وفتى الطعان ِ قتلتمُ ۝ وفتى الرياح ِ اذا تهبُّ بليلا

وكذلك يقول قطري بن الفجاءة (١٧) :

ولو شهدتني يوم دولاب أبصرتْ ۝ طعان فتى في الحرب غير ذميم

وتظل لفظة الفتى في صور الرثاء واضحة المعالم تنطلق من عظم التضحية وجرأة الاقدام واقتحام الخطوب ، وتجد النساء في مراثيهن للفرسان راحةً عند تكرار اللفظ ، واستجابة نفسية هادئة عند ايقاع النغم المصحوب بكل ما يُرضي النفس ، ويخفف عنها اعباء الإحساس بالغُربة والشعور بالفقدان ، والتوجّس من المصير المجهول الذي ستتُرك به بعد أن فقدت العزيز ، وانقطعت عنها صلتها بمن كان يملأ عليها أسباب الحياة وفي نماذج ليلى الأخيلية في رثاء توبــة تجسيد لهذه الحالة، وربما كانت تُناجي من خلال مداول الفتى هواجس العشق التي تتجاوب في وجدانها من حُبّ فتاها التي ظلت تعبر عنه قصائد الرثاء الفريدة ، فكانت في تذكّرها لتوبة صورة الوفاء ، وحالة من حالات الاحساس الانساني الذي ظل يرى المرثي فتى بكُلّ ما تضمه اللفظة من ايحاءات ، وتثيره من لواعج ، وتحتفظ به من دلالات ، وهو مضمون جديد تعبّر عنه الشاعرة من خــلال احساسها وتتأثر به من خلال عواطفها التي بقيت حادّة ومتأزّمة ومفجوعة . وكأنها وجدت في الصورة الحيّة ، واللوحة النابضة علامة من علامات التعبير المهموس في نغمات اللفظة التي حرصت على تكرارها واشباعها واستغراقها ، فهو فتى وجدت في صفاته ما لم تجده عند غيره من الرجال ، ولم يكن في تصورها انه الحدث الشاب ، وانما كانت تجد فيه الرجولة الكاملة والصورة الممتلئة ، والنبع الدافق بكل معاني الحياة ، ولعلّ بيتها الذي أجابت فيه تساؤل مروان ابن الحكم حين سألها عن توبة فقالت : والله ما قلت الا حقاً ، ولقد قصّرت ، وما رأيتُ رجلاً قط كان أربط على الموت جأشاً ، ولا أقلّ انحياشاً حين تحتدم ساحة الحرب ، ويحمي الوطيس بالطعن والضرب كان والله كما قلت (١٨) :

(١٧) المبرد . الكامل / ١٠٤٦ .

(١٨) ليلى الاخيلية . الديوان / ٦٢ .

فتىً لم يزل يزداد خيراً لدُنْ نشا | الى أن عَلاهُ الشيب فوقَ المسايحِ
تراه إذا ما الموت حلّ بورده | ضَروباً على أقرانه بالصفائح
شجاعٌ لدى الهيجاء ثَبْتٌ مشايح | إذا انحاز عن اقرانه كلُّ سابِح
فعاشَ حميداً لا ذميماً فِعالُهُ | وَصُولاً اقَرباه يُرى غَيرَ كالحِ

فجمعتْ في أوصافه كلّ المكارم ، وحقّقت في خصاله كلّ المحامد . فكان نموذجاً في البطولة والشجاعة والاقدام والمجابهة والصمود وسبّاقاً الى الفِعال الحميدة . وهي الصفات التي بقيت متألقة في معجم المديح العربي ، ورفيعةً في تقاليد المجتمع وتوبة هنا علاه الشيب ، وخبرته التجربة وعركته الأحداث ، فاستوى رجلاً ولكنه في عرفها (فتىً) وفي حديثها (فتى الفتيان) لأن حالةَ الارتياح التي تمتزج في حروف اللفظة ، وصوت الشوق الذي يتصاعد في اكتمال احساسها بالمفردة الموحية حملتها على أن تكرر لفظة (فتى) في شعرها ثمانياً وعشرين مرة (١٩) كانت اربعاً وعشرين منها بصيغة المفرد الذي حرصت عليه ، واستطابت ترديده ، وارتضت ذكراه، واستعملت صيغة الجمع اربع مرات (٢٠) وهي محاولة لتكثير اللفظة التي حملت صورة اكبر في ذهنها ، ولكنها لم تكن باحساس الحالة المفردة التي كانت تشعر بارتياح اكثر عند ذكرها ، لما تحرص عليه ، وكأن مناجاتها له في بُكائياتها كانت تفرض عليه ان تراه مفرداً في اللفظ والحدث ، وتتحدّث اليه بَعيدة عن صيغة الجمع أو صورة المشاركة ، فكان انصرافُها اليه اشدّ تأثيراً ،ووقوفُها معه اكثرَ التصاقاً . وهي حالة جديدة من حالات المناجاة الحيّة ،التي انفردت بها الشاعرة وهي تتحرق شوقاً ، وتتوقد عاطفة واحساساً ، واصبحت اللفظة التي تصاحب اسم توبة هي الدور المُردّد في اغنية الشاعرة ،والصوت المحبّب في ثنايا

---

(١٩) تنظر الصفحات ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ١١٥ من الديوان .
(٢٠) تنظر الصفحات ٧٢ ، ٨١ من الديوان .

الابيات ، والحياة المستمرة في مقاومة العوادي ، وتسجيل الانتصار ، وتحقيق الحياة الكريمة والأبية .

ويأخذ منحى الرثاء عند بعض الشواعر هـذه الصورة ، فنجد المرأة وهي تقف في موقف رثاء أخيها صورة (الفتى) هي الصورة المطلوبة وهي الحالة التي يمكن ان يكون عليها العزيز الذي اصبحت في شخصيته كلّ الآمال ، وتحققت في وجـوده كل الخصائص . فزينب بنت الطثرية ترى فيه (الفتى) الذي قُدّ قدّ السيف لا متضائل ، ولا رَهِل لباتـه وأبا جُله وهنا أخذت الصورة لون التناسق الجسمي والقوام المعتدل ، والشاب الرشيق ، وهو (الفتى) الذي لا يرى قدّ القميص بخصره ، ولكنما توهي القميص كواهله . فإذا جَدّ الجدّ يُرضي جَدّه ، واذا القومُ أمّوا بيته فهو عامِدٌ لأحسن ما ظنوا به فهو فاعله ، وهنا تصبح الريادة والاندفاع نحو تحقيق العمل الأحسن ، والفعل الأجود ، واذا نزل الاضياف وجدوا عنده ما لا يجدونه عند غيره ، ويروي المشرفيّ بكفّه ولا يغدر بابن العم (٢١) .

ومثلما وجدت النساء في صورة (الفتى) غايتها ، وفي مروءته حقيقتها التي فقدتها بفقده ، وسندها الذي اهتزت لسقوطه ، وارتعدت لذهابه ، فإن قصائد الرثاء الخالدة والمشهورة كانت تحمل هـذه الصورة ، لأن عاطفة الصدق التي تجسّدت في هذه القصائد بقيت نابضة بالوفاء الأصيل ، وخالدة بالحسّ الانساني الحي ، فأبو المغوار شقيق كعب بن سعد ترك في قلب اخيه لوعة ، واستثار في اعماقه اسى ولوعة ، فكان فتى الحرب ، ان حارب كان سهامُها ، وفي السلم مفضال اليدين وهوب . ولا يبالي إذا مسّه الشحوب . وهوب في مواسم القحط ، جواد في اوقات الشدة . اريحي يهتزّ للندى ، وتتكرر لفظة الفتى في كثير من قصائد الشعراء الذين وقفوا هـذه المواقف مثل الابيرد اليربوعي

(٢١) الحماسة البصرية ١/٢٢٣ .

وصَعْبَ اليربوعي والشمردل وغيرهم ممن عزّ عليهم فراق الأخوة .

وعبيدالله بن الحرُّ الجُعفي شاعر فارس ، وكان له حديث مع الفتيان بعد أن منحهم من صُور البطولة والشجاعة ماوضعهم في عداد الأبطال ، فهو لم يتحدث عنهم الا وكانت وجوهُهم مصابيح في داج توالت كواكبه ، أو فتيان كرام يحبهم ، أو فتيان جُردٍ اذا خرجوا من غارةً رجعوا اليها بأسيافهم ، وهو متى يدعو هؤلاء الفتيان ركبوا واسرعوا (٢٢) .

كأنّ عبيدالله إلم يمس ليلَهُ مُوطّنةً تحت الشروح جنائبُه

ولم يَدعُ فتياناً كأنّ وجوهَهم مصابيحَ من داجٍ توارت كواكبُه

ويقول في موضع آخر (٢٣) .

وسيري بفتيانٍ كرامٍ أُحبُّهم مُغذّاً وضوءُ الصُبح لم يتَبلّج

ويذكر في موضع آخر (٢٤) .

ومنزلةٍ ياابنَ الزبير كريهة شددتُ لها من آخر الليل أسرُجا

بفتيانٍ صدق فوق جُردٍ كأنّها قِداحٌ براها الماسحيّ وسجسجا

وعبيدالله بن الحي كما يقول الطبري من اشعر الفتيان (٢٥) وهي اشارة تؤكد ان اللفظة اصبحت لها دلالة ، وانضوى تحتها عددٌ من الشعراء الذين عرفوا بخصالها وحافظوا على تقاليدها والتزموا بقيمها ومبادئها .

واتصف عبيدالله بجرأته وصراحته في أشدّ المواقف حراجةً ؛ وتتضح الجرأة والصراحة من خلال الأخبار التي تقدمها مراجع دراسته، ومثل ماكان جريئاً صريحاً فقد كان سخياً متلافاً.وهو يقرن حديث اصحابه من(الفتيان) بحديث البطولة نفسه.لأنه قوي بهم،فاقترنوا بكلّ صورة تمثلت فيها خصائص الفتوة . فتألقت وجوههم البيضاء لوحة مشرقة من لوحات أفعالهم الصادقة ،

---

(٢٢) (٢٣) (٢٤) ينظر شعر عبيدالله بن الحر في (شعراء امويون) الجزء الأول.

(٢٥) الطبري . تاريخ الملوك ٦/١٢٩ .

وتطاولت روائع اعمالهم نقيّة فوق كل لحن من الحان شعره الخالد ، ولم يقتصر في أحاديثه عن الفتيان على الجانب الحربي وحده ، وانما كان يشير الى صفاتهم الأخرى التي حببتهم الى نفسه، وجعلتهم بضعةً منها ، فهم يحمون الذمار ، اخوة إذا نطقوا لم يسمعوا اللغو منهم . واذا غنموا لم يفرحوا بالجزيل . وظلت هذه الألواح الشعرية تتناثر في قصائده ، وبقيت اعمالهم وتضحياتهم مجالاً فسيحاً من مجالات فنّه الشعري بعد أن وجدّ في جماعات الفتيان الاداة السليمة التي يمكن أن تحقق له بعض ما كان يصبو اليه وسط تيار أصبح فيه مفهوم الفتى مقترناً بكل الخصال الحميدة والمآثر المحمودة ومن هنا كانت نظرته الى الفتيان نظرة حقيقية وكانت اساليبه في معاملتهم اساليب قيادية حكيمة، يمنحهم مايكسب دون تمييز وفي تصرفه يمتلك زمام القيادة الادارية ، ويوازن بين الواجبات والمسؤولية . وهي بدايات أولية أخرى أصبح لها شكلها وتحــددت لها بعض مبادئها وما تلتزم به او تحافظ عــلى ادائه وطبقة الفتيان بعد أن تولى امرّها فتى مسؤول ، تميزت شخصيته ، ووضحت اعماله وواجباته ، وعُرفت شجاعته ، وهذه البدايات تضع العلامات الاولى لنضوج فكرة التنظيم الذي أصبح حالة لها اصولها وخصائصها .

ان دراسة تحليلية لمفردات الفتى التي استشهد بها عبيدالله بن الحر وهو يأخذ هذا الموقع ، ويتبنّى هذا السلوك تعني انها اقتصرت على الشجاعة والجرأة والاقدام وحماية الذمار وهو ما اراد التعبير عنه ، ولازم حياته ، فكانت احاديثه مرتسمة في صورة الشجاع والمقاتل والمحارب ، وهنا تتخصص اللفظة بطابع الفروسية الحاد ولكنها تظل ملازمة للمعنى السلوكي والاخلاقي الذي يتمم الصورة ويُكمّل ابعاد الفتوة الحربية وقد حاول الشاعر ان يواجه الأحداث بمجموعة من الفتيان الذين اختارهم وحاول ان يقدم من خلال تنظيمه البسيط وحدة متماسكة سلوكاً وقيادةً . ترتكز على وجود قائد ، وتتحدد في اطار المبادىء القويمة التي زخر

بها العصر وعرفتها تجربة الأمة في مرحلة المجابهة والتوحد ، لايقاف حالة التداعي والتمزق . وفي متابعة هذه الجماعة وغيرها تبلورت بعض المبادىء وارتسمت بعض الخطوط لتأخذ طريق التنظيم الذي يحفظ لهذه القيم اصولها ، ويرسخ في نفوس الابناء قواعدها .

واذا كانت دلالة مفهوم الفتى قد توزعت في اعراف الشعراء توزعاً معنوياً له ابعاده من حيث التأثير في طبيعة الاستخدام والتوجه في احقية التعبير أو التأثر في تحديد الملامح المطلوبة فإن الفظة عند ابي تمام تتحرك في اتجاهات لا تظل محصورة في الاستعمال التقليدي ولا محدّدة في المعاني التي ألِفَ الشعراء استخدامها ولكنها تتجاوز المعاني لتأخذ صورة التوجه الذي عرف به هـذا الشعر ، وتدرج الى صـورة الفتى العربي الذي تزاحمت في ساحته مطـامع الخصوم ، وتنامت في عصره اسباب التآمر ، وتحركت قوى الردة والشعوبية والغلو لتجدَ في دعاوى الدين ستاراً ، والانتساب لآل البيت مدخلاً من مداخل الاستحواذ على قلوب بعض الذين استهواهم هـذا التوجه . فكانت لهـا دلالة متخصصة وحضور متميز حرص الشاعر ان يرى فيه القيم الاصيلة وهي تتجسد والمثل العليا وهي ترتسم والوفاء لما حملته اللفظة وهو يؤدي وفق الصورة المطلوبة . وهي معان تمثلها الشاعر تمثلاً حقيقياً واستوعبها استيعاباً مفعماً بالحركة فكانت حركة استعمالها ملازمة لما وضعت له ، بعيدة عن كل تسرب غير موجه فالفتى عنده واحد لا يتغير ، اجتمعت فيه الخصال الاصيلة التي ينفرد بها عن الآخرين ، وتوافرت فيه الشيم التي تطبعه بما يؤهله للوصف بمثل هذه الصفة ، وانه ظل الوجه الايجابي الذي يعطي الحالة بعدها وانه الصورة التي تتجمع فيها الخصائص المطلوبة التي يُحسها ابو تمام وهـو يستجمع المواقف الكريمة ويستذكر الرجال الاماجد في حالات المديح والرثاء . والحرب والفخر وحتى في حالات الهجاء عندما يفقد الانسان بعض صفاته الكريمة ويصبح بعيداً عن

المعاني التي تؤهله ليكون « فتى » .

وهنا كان الفتى هو الصورة الكبيرة التي تضمّ البطل والفارس لأن استعماله لهما كان اقلّ كثيراً من الاستعمال الشامل للفظ الفتى واذا كانت لفظة (البطل) تأتي في ديوان الشاعر اثنتي عشرة مرة ولفظة (الفارس) تأتي سبع عشرة مرة فان لفظة الفتى ومشتقاتها .رد خمساً وثمانين مرة . وهي الحالة التي كانت تلتقي في حدودها كل الخصال الكريمة والصفات الانسانية والأعمال الكبيرة التي كان الشاعر يرى فيها نماذج البطولة واقدار المروءة وعناصر الاصالة . .

إن دقة التوظيف الفني عند ابي تمام للفظة وحرصه السليم في الاداء والتواصل ووفاءه لاستكمال الصورة التي يجهد نفسه في استكمال اوازمها وتهيئة الوانها وما تضيفه عليها من بريق أو اشعاع أو تثيره فيهـا من حركة أو نبض ، لانه كان يجـد في هذا الاستخدام الفني والمعنوي وجهاً من وجوه الانسانية والرجولـة أو المروءة في اضيـق المجـالات وفي اقربهـا الى التنـاول . لانهـا تبقى المفردة الحيّة والمتحركة في قاموسه الشعري ولأنه يجـد فيها الصوت المرتفع في اللحظة الحاسمة واللون البارز في الصورة المتحركة ، والقدرة الفائقـة في التعبير ، ولأن فتاه الذي يتردد في قصـائده هو النموذج الذي ورث خصائص الأمة الخيرة ، والشخص الذي يمثل صفاتها الأصيلة ، وعبر عن المطامح المشروعة التي عاشت في ذاتها ولازمت هُويتها ورافقت مسيرتها ، فالفتى لم تعـد عنده لفظة تعطي لكل انسان او ليست صفـة تمنح لكل من وُهب قدرة على التحلي ببعض الاوصاف التي عُرف بها الفتيان وانما الفتى في شعره من عظمت مواقفه ، وحمدت مآثره ، وخلدت أعماله وخلصت نيته وكرمت أصوله وطابت فروعه . وهي خصائص ليست هينة ، وصفات ليست ميسورة ، وان الذين يستحقونها من خلال الزاوية التي يريدها ابو تمام قلة نادرة ، ونخبة مختارة ، تفرد في ايرادها ، وخصّ بالحديث عنها لانه اللوحـة التي تكبر فيهـا قيم المروءة وتتسع أطر الوفاء والتضحية والأيثـار

وكل المعاني التي تتفق فيها وحدة التناول، وفي صور الممدوحين الذين عرض لهم ابو تمام تتجلى المعاني التي اراد التعبير عنها والشخصيات التي وجد فيها روح الفتوة فخالد بن يزيد بن مزيد الشيباني واحد من الذين منحهم صفة الفتى فقال(٢٦):

فتى عنده خير الثواب وشره ومنه الإباء الملح والكرمُ العــذبُ

فخالد يمتلك خير الثواب وشره ويعرف كيف يثيب وكيف يعاقب ويحسن التصرف في كل وجه من وجوه الثواب ولابائه خصوصية متميزة .. وتبقى هذه الخصال هي الصورة التي يراها الشاعر في ممدوحه فتستحق هــذا الوصف

وابو محمد بن الهيثم له صورة أخرى تجمع المكارم المحمودة وتختار الوجوه المتميزة يحشد له مقدمة ويهيء له اوصافاً تؤهله لما يريد ان يذكره به فيقول(٢٧):

وأروع لا يرعى المقالد لامرئٍ فكُلّ امرئٍ يلقى به بالمقالد

له كبرياء المشتري وسعــوده وسورة بهرام وظرف عطارد

فتىً لم يقم فرداً بيــوم كريهةٍ ولانائل إلا كفى كل قاعد

ويبقى الشاعر يتابع الممدوح في ذكر ما يتمتع به من خصال ويقدمه من اعمال تؤكد اعجابه وتحقــق جدارته وتحصى فضائله لتتكامل اللوحة التي يرى فيها الممدوح قد اكتمل فتىً ونموذجاً ممدوحاً .

واذا تجلّت خصال المدح في فتى ابي تمام بما قدمه من مبررات لتقليده هذا الوشاح البطولي فان رثاءه لقحطبة . يحمل الدلالة الحية التي نبضت بها المفردة وهي تنساب في رثاء بطل استأثر بوجه آخر من وجوهها فهو كما يقول الشاعر (٢٨) .

نعم الفتى غير نكس في الجلاد ولا لدن الفؤاد لدى وقع القنا اللّدن

انها صورة البطولة التي تجمع كل الفضائل وتقف عند كل المحامد وتنتهي عندها

(٢٦) الديوان ١/١١٩ .
(٢٧) الديوان ٢/٧٢ .
(٢٨) الديوان ٤/١٤٠ .

روائع الخصال والمآثر لانه آثر ان يموت بين اطراف الرماح وهي الميتة التي يتمناها الاباة ويسعى اليها الرجال ويفخر بعزها الخالدون ، وقد حرص الشاعر على ان تظل الصفات الكريمة هي الطرف الأول في معادلة الفتى لتكتمل في طرفها الثاني عندما تصبح الشجاعة والتضحية هي الوجة الآخر لما ظل اميناً عليه (الفتى) وحريصاً عليه (الشاعر) .

والمتنبي الذي ظل صوتاً من اصوات البطولة وحكاية من حكايات التاريخ العربي وهو يسجل الوجوه التي تفتح عنها العصر ونماذج البطولة التي استحقت التكريم ، وصور الرجال الذين اخذوا مواقعهم في قصائد الشعراء ، يعطي اللفظة دلالة أخرى ولتجسّد التراكم البطولي لما أصبح عليه الانسان ، والتكامل الانساني الذي انعقدت على أعماله مآثر المحامد ولا بد ان تكون شخصية سيف الدولة هي النموذج الشجاع والسخي وهي الوجه المحمود لما يمكن ان تكون عليه دلالـــة الفتى وانه فتى العرب العرباء كما يقول المتنبي (٢٩) :

إذا العربُ العرباء رازت نفوسَها　　　فأنت فتاها والمليك الحلاحِل

وتكبر صورته ليصبـــح فتى الفتيان في لوحة اخرى وهي الصفة الوحيدة التي وردت في ديوانه لسيف الدولة حيث يقول (٣٠) :

أرى العراق طويلَ الليل قد نُعيت　　　فكيف ليلُ فتى الفتيان في حلَب

وتبقى لفظة الفتى ملازمة لسيف الدولة في كرمه الذي لا نهاية له ، وشجاعته وشدة بأسه وادخاله الروع في قلوب اعدائه وكرم نفسه وقد اقترنت هذه الاوصاف بشخصه ولازمت مواضع المدح في شعر الشاعر الذي حرص على ان تظل الصورة ممتلئة بكل المعاني الكريمة وجامعة لكل الخصال المحمودة ، وشاملة لما يمكن ان يكون عليه الرجال في حالات التفرد والتمايز .

---

(٢٩) الديوان ٣/٢٤٠ .
(٣٠) الديوان ١/٢١٧ .

ولا تغرب عن بالنا صورة الشاعر وهو يفخر بنفسه ويُعلنها صريحة على رؤساء الاشهاد حيث يقول من مقصورته المشهورة (٣١)

لتعلم مصر ومن بالعراق ومن بالعواصم أنّي الفتــى

وتقترب صورة الوفاء العربيّ من مفهوم الفتى الذي حرص على ابرازها الشاعر لتتحول الى صرخة واعية واحساس بالغربة واضح وحَيرة بالاستلاب قلقة حيث يقول (٣٢) .

ولكن الفتى العربي فيهـــا غريبُ الوجه واليد واللســـان

ويظل معجم اللفظة في ديوان المتنبي واسعاً ليضم المعاني الاخلاقية والنفسية والقيم الخيرة التي ظل حريصاً على الوفاء بها والالتزام بمضامينها . ولعلّ الظاهرة التي تطالعنا في هذا المعجم هو ان الشاعر كان يستخدم لفظة (الفتى) معرَّفة بأل إذا كان يريد الاشارة فيها الى الانسان أو المرء وإذا اراد المعنى المجازي للكلمة وهو يدخل الى الصور التي يراها أو المعاني التي يحرص على الوقوف عندها فانه يذكرها مجرد فكرة فيقول (فتى) ويتبعها بما يخصصها من كلمة مفردة أو جملة . وقد استخدم الشاعر لفظ (فتى) اثنتين وثلاثين مرة و (الفتى) سبعاً وعشرين مرة و (فتى الفتيان) اربع مرات و (الفتاة) ثلاث مرات ، و (فتاها) مرتين و (الفتوة) مرة واحدة ، وهي حالات تعطي اللفظة اهميتها ، وتكشف عن اهمية استعمالها ووجاهة الوقوف عندها لما تثيره في النفوس من معانٍ وتخلقه من نوازع ، وتبعثه من استلهام .

إن قاموسية لفظة (الفتى) تنطلق من المعنى الملازم للصورة في حديث كثير من الشعراء لان استخدام اللفظة في الشعر كان يأخذ المنحى الذي يتلاءم مـــع مستواها في التعبير ، وانسجامها مع المعنى المطلوب ، ودلالتها في اداء الصورة

---

(٣١) الديوان ١٦٥/١ .

(٣٢) الديوان ٣٨٤/٤ .

المطاوبة ومن هنا كانت اللفظة تأخذ دلالات محدّدة في قاموس بعض الشعراء ، وتنفرد في بعض الأحيان بصورة واحدة أو حالة محدّدة لأن الإطار الذي استخدم الشاعر فيه اللفظة كان اطاراً محدداً ، وحالة متميزة كما وجدناها عند (ليلى الاخيلية) أو (ابي تمام)أو (المتنبي) وهي ذاتها تكون عند الشعراء الذين استخدموا اللفظة احساساً بالشعور القومي ، وتلمساً لمعاني الشجاعة ، وتأكيداً لانسانية المروءة في الاستخدام الواضح واذا كانت اوليات هذه المحاولات قد كشفت عن الخط المتميز لما تقلبت عليه اللفظة ، أو الدائرة التي استخدمت في حدودها فان صوراً أخرى من هذا الاستخدام بقيت تتحدّد في دلالات الشعراء ، وتستوحي في حضور المفردة ، وتستخدم في اداء المعنى المطلوب . . على ان الجانب التنظيمي لجماعات الفتيان بدأت تأخذ صورة اوسع كلما دخل المجتمع العربي مرحلة من مراحل النمو وتعقدت اسباب الحياة ، واشتبكت عناصر الاختلاط . ففي حديث ابي الفرج عن حنين الحيري يشير الى انه كان يحمل الرياحين الى بيوت الفتيان ومياسير اهل الكوفة واصحاب القيان والمتطربين الى الحيرة (٣٣) . وهو خبر يؤكد تميّز بيوت الفتيان وانهم طبقة لها مركزها المرموق ودورها في المجتمع وانهم كانوا يذكرون مع اصحاب القيان والموسرين وان من تقاليدهم اهتمامهم بالرياحين وتعاطيهم الاعتناء بها وهي ظاهرة حضارية أخرى تضاف الى خصال الفتيان . وفي خبر آخر يذكر ابو الفرج في سياق حديثه عن حنين أنه خرج الى حمص يلتمس الكسب ويرتاد من يستفيد منه فسأل عن الفتيان بها واين يجتمعون ، فقيل له : عليك بالحمّامات فإنهم يجتمعون بها اذا اصبحوا . فجاء الى احدها فدخله ، فاذا جماعة منهم فأنس وانبسط وأخبرهم بأنه غريب فخرجوا وخرج معهم وذهبوا به الى منزل

(٣٣) ابو الفرج . الاغاني ٣٠٤/٢ ـ ٣٠٥ (دار الثقافة)..

احدهم فأكل وشرب (٣٤) وهنا تظهر خصيصة اخرى من خصائص هؤلاء الفتيان الذين اصبحت معالمهم معروفة ومنتدياتهم مشهورة ، ينزل في رحابهم الغرباء ، ويُنشد في مجالسهم الغناء ، وهي تطور جديد لما كانوا عليه في القرن الأول الهجري ، وهي تؤكد الأصول التي اكتملت فيها حركة الفتيان في القرن الثاني والثالث الهجريين .

ويبدو أن تطور الحياة في المدن أدّى الى ظهور تنظيمات جديدة بين العامة هي غير الاصناف وكان لها دور يذكر في حياة المدن ، وهي تنظيمات العيارين والشطار التي اتخذت خطاً متميزاً . وقد ظهرت فعاليتهم لأول مرة اثناء حصار بغداد من قبل الجيش الخراساني الذي ارسله المأمون (١٩٦ — ١٩٧) حيث هبوا بتنظيم شبه عسكري ، وبأعدادٍ كبيرة للدفاع عن المدينة ، ثم نراهم ثانية (في حوالي خمسين الفاً) يقاتلون ببسالة دفاعاً عن بغداد حين حاصرها الجند التركي القادم من سامراء اثناء الفتنة بين المستعين والمعتز (سنة ٢٥٠) (٣٥) . وذكر الدكتور عبدالعزيز الدوري (٣٦) امثلة كثيرة عن دور هذه الجماعات في حفظ النظام والسيطرة عند انتشار الفوضى وعند تعرّض الحدود الى الغزو الاجنبي ، فكانوا يخرجون الى القتال بتعبئة شبه عسكرية ولهم قادة ونقباء وعرفاء وفي كل محلة (مقدم) أو (متقدم) وتؤكد الاخبار فتوتهم ، ولكن تنظيمهم في الاساس تنظيم حرفي ، ولهم مراسيم في الانتماء تشبه مراسيم الأصناف ، وتحكم سلوكهم مبادئ اخلاقية كالمروءة والرفق بالضعفاء والفقراء وحماية النساء، يعتزون بالشجاعة والكرم وقد استطاعت ان تكون لنفسها مفاهيم اخلاقية وقيما مشتركة (٣٧) .

---

(٣٤) ابو الفرج . الاغاني ٢/٣٠٦ .
(٣٥) الدكتور عبدالعزيز الدوري . مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي /٧٦ .
(٣٦) الهامش رقم (٧) في الصفحة / ٧٦ — ٧٧ .
(٣٧) الدكتور عبدالعزيز الدوري . مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي /٧٨ .

وتدخل لفظة الفتوة في معجم المصطلحات الصوفية لتكون الصفح عن عثرات الاخوان ، وان لا ترى لنفسك فضلاً على غيرك ، وهنا كانت الكلمة تأخـذ مجرى قد يبتعد من حيث الدلالة عن المفهوم الأول الذي ازمتـه في المصطلح إلا انها ظلّت تحمل القيم النبيلة وانصاف الآخرين واحترامهم .

ويبدو ان الحركة تأثرت بالمفاهيم الصوفية في فترة مبكرة من تأريخها . فقد عقد صاحب الرسالة القشيرية باباً سماه باب الفتوة عرض فيه لبعض المدلولات التي حملتها اللفظة وعقد الشيخ محي الدين بن العربي فصلاً طويلاً للفتوة في كتابه (الفتوحـات المكية) وذكر فيه مقام الفتوة وعُـدّ ابراهيم عليـه السلام الذي هشم رأس اكبر صنم ، وقدم نفسه للنار وفاءً لعقيدته ، وإيثاراً للحق من اوائل الفتيان الذين حملوا راية الاصلاح واسهموا في الدعوة الى الخير ، وبناء المجتمع الصالح ، فكانت مقاماً من مقاماتهم . ثم نقلت الى المعنى الديني لتدخل في الزهد ، وضبط النفس والايثار وحملها على الحق مهما كانت المكاره ، وبقيت اللفظة تدخل في مصطلحات المتصوفة والمريدين واهل الملام واسقاط الرؤية ، وترك النسبة .

وفي زمن الناصر لدين الله (المتوفى سنة ٦٢٢ هـ) توحـدت منظمات الفتوة وتعززت وحدتها وتماسكت عناصرها واصبحت حركة شعبية موحدة تتخطى نطـاق رقعته التي يحكمها ، ومدّ رئاسته للفتوة الى الامراء المجاورين بادخالهم في التنظيم وجعلهم مسؤولين عن جماعات الفتيان في بلادهم وقد اتخذوا من الصيد اسلوباً ، واستمر هذا النظام الذي تولاه الخليفة المستنصر حفيد الناصر لدين الله فرعاه ، وحافظ على سنته ، وأنعمَ على من يشاء منهم بلباس الفتوة (السراويل) (٣٨) .

---

(٣٨) تنظر مجلة لغة العرب . نيسان ١٩٣٠ للدكتور مصطفى جواد بحث عـن الفتوة والفتيان قديما .

ان الاتجاه للاهتمـــام بنظام الفتوة في هذه المرحلة التي بدأ الخطر يهـــدد الأمة العربية من حدودها الشرقية والغربية كانت الحافز المهم في هذا التوجه والدافع الحقيقي بعد أن وجد الخلفاء ان التفكك والتمزق قد اخذ بزمام الأمور ،وان عوامل الاخفاق قد استليت من الأبناء قدرات المقاومة والتحدي والمجابهة . وهنا كانت الاسباب موجبة لمثل هذه الفتوة التي يمكن أن تقف بوجه هذا التحدّي ، واعداد فئة قوية من الشباب تعتمد في صد هذا الهجوم . وايقاف الزحف المتوالي على الامة . وان الفتوة كانت تمثل الاحتياطي الذي تسند اليه مهمة الدفاع الداخلي وحفظ الأمن ، وحماية المواطنين وفي حالة المواجهة عندما تكون جيوش الغزاة قد تجاوزت القوات النظامية كانت مجاميع الفتوة تتولى مهمة الدفاع عن المدن وتشتبك مع الغزاة . صوناً لحماية التراب وحفاظاً على ارواح الناس واموالهم .

وكانت الفتوة قد عَمّت القسم الشرقي من البلاد الاسلامية فان حركة موازية للفتوة ومتداخلة معها ظهرت في الشام والجزيرة الفراتية منذ اواسط القرن الرابع الهجري هي حركة(الاحداث) واستمرت في فعالياتها الى القرن السادس الهجري وقد نشطت حركة الأحداث في دمشق وحلب بصورة خاصة ؛ وان عَمّت المـــدن الأخرى وكوّن الأحـــداث تنظيماً شـــعبياً اتخذ موقفاً عـــدائياً من السلطة الخارجية التي حاولت أن تفرض سيطرتها على البلاد . وكان للاحداث تنظيمهم ؛ ولهم رؤساء ونقباء ومقدّمون(٣٩) ، وكانت حركات الغزو الاجنبية تضرب الحركات الشعبية عندما تتمكن من السيطرة أو تتحكم في المناطق التابعة لها .

ان التطور الواضح لمعنى الفتوة لا يقف عند هذه الحدود وانما تستمر هذه الحركات بعد موجة المغول وتعرض المشرق العربي لهجمة التتر فتداخل مع

(٣٩) الدكتور عبدالعزيز الدوري . مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي /٨٠ .

بعض الطوائف الصوفية وتجمع بين العمل الحرفي والمهني وتصبح وحدة الكلمة وتوحيد الجهد والتغلب على صعوبات الحياة هي الحالة الجديدة التي تلتقي عند مفهوم الفروسية الذي رافق مفهوم الفتوة ونجد ان بعض هذه التنظيمات تتحول الى تنظيمات شبه عسكرية تؤدي مهمة الحفاظ على الأمن ومحاربة الغزاة والوقوف بوجه المستبدين وبث روح التعاون وترسيخ مضامين القيم الأخلاقية والسلوكية

فابن بطوطة يقف وقفات طويلة عند الأخيّة (الفتيان) بعد أن اصبحت نظاماً له قواعده، وانظمته ففي حديثه عن(انطاليه) (٤٠) يذكر أن واحد الأخية (أخي) على لفظ الاخ إذا اضافه المتكلم الى نفسه ، وهم بجميع البلاد التركمانية الرومية في كل بلد ومدينة وقرية ، وهذا يعني انه تنظيم امتدت مفاصله الى أقاصي البلاد ، أما تقاليدهم فلا يوجد في الدنيا مثلهم كما يقول ابن بطوطة اشد احتفالاً بالغرباء من الناس ، واسرع الى اطعام الطعام وقضاء الحوائج والأخذ على أيدي الظلمة . والأخي عندهم رجل يجتمع أهل صناعته وغيرهم من الشبان الاعزاب والمتجردين ويقدمونه على انفسهم وتلك هي الفتوة ايضاً . ويأخذ النظام هنا صورة التوجه الصوفي المتزمت ، ويتحول الفتيان الى مجموعات تتخذ من الزوايا اماكن يجتمعون بها، يجعلون فيها الفرش والسرج وما يحتاجون اليـــه من الآلات فيجتمعون على الطعـــام ويأكلون ويرقصون ثم ينصرفون الى صنائعهم بالغدو ، ويصف ابن بطوطة ليلة استضيف بها فيقول ذهبت الى زاوية حسنة مفروشة بالبسط الرومية الحسان وبها الكثير من ثريات الزجاج العراقي وقد اصطف في المجلس جماعة من الشبان ولباسهم الأقبية وفي ارجلهم الاخفاف وكل واحد منهم متحزم وعلى وسطه سكين في طول ذراعين وعلى رؤوسهم قلانس بيض من الصوف ، باعلى كل قلنسوة قطعة موصولة بها في طول ذراع وعرض اصبعين فاذا استقر بهم المجلس نزع كل واحد منهم قلنسوته ووضعها

(٤٠) ابن بطوطة . الرحلة /١٩٠ .

بين يديه ، وتبقى على رأسه قلنسوة أخرى من الزرد خاني وسواه ، حسنة المنظر وفي وسط مجاسهم شبه مرتبة موضوعة للواردين . ولما استقر به المجلس عندهم أتوا بالطعام الكثير والفاكهة والحلواء ثم اخذوا في الغناء والرقص فراقه حالهم ، وطال عجبه من سماحهم وكرم انفسهم وانصرف عنهم آخر الليل وتركهم (٤١)

وعند حديثه عن بلدة (بردور) قال اجتمعت الأخية وارادوا نزوله عندهم فأبي عليهم الخطيب فصنعوا لــه ضيافة في بستان لأحــدهم وذهبوا به اليها فكان من العجائب اظهار السرور والاستبشار والفرح وهم لا يعرفون لسانه لولا ترجمان فيما ينهم . وينزل زاوية احد الفتيان في مدينــة (قــل حصار) (٤٢) وعند نزوله (مدينة لاذق) مرّ بسوق لها فنزل اليه رجال من حوانيتهم واخذوا بأعنة خيلهم ، ونازعهم في ذلك رجال آخرون ، وطال بينهم النزاع حتى سلّ بعضهم السكاكين على بعض ، وهو لا يعلم ما يقولون ، فخاف منهم وظن انهم من الذين يقطعون الطرق الى أن بعث الله رجلاً حاجاً يعرف اللسان العربي فسأله عن مرادهم فقال : انهم من الفتيان وان الذين سبقوا الينا اولاً هم اصحاب الفتى (اخي سنان) ، والآخرون اصحاب الفتى (أخي طومان) ، وكل طائفة ترغب في ان يكون نزولنا عندهم فعجبنا من كرم نفوسهم (٤٣) .

ومن عادة الفتيان انهم يخرجون في عساكر السلطان في الاعياد وقد حملوا الاسلحة(٤٤) وعندما سافر الى مدينة (ميلاس) نزل بزاوية احد الفتيان (الأخية) ففعل اضعاف ما فعله من قبله من الكرامة والضيافة ومن حميد الافعال وجميل الاعمال (٤٥) . وفي مدينــة (قونيــة) نزل بزاوية قاضيهـــا المعروف بابن

(٤١) ابن بطوطة . الرحلة /١٩١ .
(٤٢) ابن بطوطة / الرحلة ١/١٩٢ .
(٤٣) ابن بطوطة . الرحلة ١/١٩٣ .
(٤٤) ابن بطوطة . الرحلة ١/١٩٤ .
(٤٥) ابن بطوطة . الرحلة ١/١٩٤ .

قلم شاه وهو من الفتيان ، وزاويته من اعظم الزوايا وله طائفة كبيرة من التلاميذ ولهم في الفتوة سند يتصل الى امير المؤمنين على بن ابي طالب عليه السلام ولباسها عندهم السراويل كما تلبس الصوفية الخرقة . ويدخل مدينة (اقصرا) وينزل بزاوية الشريف حسين النائب وهو من الفتيان وله طائفة كبيرة فيكرمه اكراماً متناهياً ويفعل افعال من تقدمه (٤٦) . وفي مدينة (نكدة) ينزل بزاوية الفتى (أخي) جاروق وهو اميرها فيكرمه على عادة الفتيان ويقيم عنده ثلاثاً ثم ينزل بزاوية الفتى(الاخى) امير علي وهو اميركبيرمن كبار (الأخية) وله طائفة تتبعه من وجوه المدينة وكبرائها . ومن عادات هذه البلاد أن (الأخي) هوالحاكم إذا لم يكن في البلد سلطان فهو يُركب الوارد ويكسوه ويحسن اليه على قدره ، ويتحدث بمثل هذا الحديث عند وصوله الى (سيواس) (٤٧) و (تيرة) (٤٨) و (يزمير) و (يزنيك) و (مطرين) ومن عاداتهم ان النار لا تزال موقدة في زواياهم أيام الشتاء ابداً ، يجعلون في كُلّ ركن من اركان الزاوية موقداً للنار ، ويصنعون لها منافس يصعد منها الدخان ولا يؤذي الزاوية ويسمونها البخاري (٤٩) .

فصورة الفتيان في عصر ابن بطوطة (النصف الاول من القرن الثامن الهجري) اصبحت نظاما له قواعده، وتقليداً له أصوله ، بعد أن اصبح الفتيان ينتمون الى صناعة واحدة يجمعهم واحد منهم يُطلق عليه (الأخي) ويتمتع هذا الأخي ببعض الخصائص التي يتميز بها عن الآخرين ، ويلتزم باداء بعض الواجبات التي تفرضها اصول الضيافة وكرم السماحة ووفاء العطاء والاستقبال ، واصبحت للنظام زوايا تسمى باسم الأخي كما وجدنا ، وان هذه الزوايا تدار من قبل الفتيان الذين يجتمعون فيها ويجعلون فيها الفرش والسرج ويأخذون مواقعهم مصطفين وقد هيأوا من الآلات ما يُعينهم على قضاء الليلة ، فيأكلون ويغنون ويرقصون ثم ينصرفون الـى

(٤٦) ابن بطوطة . الرحلة ١٩٦/١ . (٤٧) ابن بطوطة . الرحلة ١٩٧/١ .
(٤٨) ن. م. ٢٠٢/١ . (٤٩) ن. م. / ٢٠٩ .

صنائعهم . أما لباسهم فهو الأقبية وفي أرجلهم الأخفاف ويتحزمون بحزام وعلى وسطه سكين وعلى رؤوسهم قلانس بيض من الصوف . ولباسهم السراويل كما تلبس الصوفية الخرقة . . .

فصورة الفتيان هنا اصبحت واضحة المعالم ومتميزة وهي امتداد للفتوة التي تبلورت اهدافها في زمن الناصر وبقيت في زمن المستنصر ويبدو ان غلبة الجانب الديني أو المهني قد غلب عليه ليؤثر في نظامها الداخلي وتقاليدها الخاصة ، ولكنها ظلت تحمل الصورة الانسانية التي جمعت خصال الكرم والسماحة والضيافة والاستجابة لنداء الواجب ، وانها توسعت لتدخل تنظيماً في كل قرية ومدينة وبلد وهي تنظيم يوحي بدقة تخطيطه والتزام الناس به وميلهم للدخول فيه ، وان (الاخي) اصبح ينوب عن الحاكم في المدن التي لم يلتحق بها حاكم . وكانت له تقاليده في المواسم والاعياد والمناسبات وانّهم يحتفظون بسلاحهم الذي يظهرون به عند الاحتياج . .

إن محاولة متابعة دلالة الفتوة وبهذه الصورة التي أحسبها جامعة لما يمكن أن تدخل في اطاره تمثل التوجه الموضوعي الذي يمكن ان تدرس فيه هذه الظاهرة أو غيرها من الظواهر وفي دائرة البحث عن اللفظة والوقوف عند المدلول الدقيق الذي استخدمت فيه ، لأن المعاني الجزئية التي تدخل في اطارها اللفظة توحي بمجموع الاستعمالات التي دارت عليها ، وتبقى الدلالة الذاتية التي ينطلق فيها كل استعمال أو الحالة التي ترافق الأداء الفني أو الوظيفي هي الصورة التي تتميز بها بين استعمال وآخر أو تناول وتناول . وهذا ما يجتهد في تحديده المجتهدون وتقف عنده الدراسة التفصيلية عندما تحاول التعبير عن الحالة الخاصة أو وجهة النظر المحدودة أو التوجه الذي تدخل فيه . وتبقى مفاتيح هذا الموضوع بداية لطريق جديد وتوجه واضح لما يمكن ان تكون عليه الدراسة .

الاستقراء في اللغة

الدكتور
عدنان محمد سلمان
أستاذ مساعد في كلية الآداب
جامعة بغداد

اعتمد علماء اللغة والنحو الاستقراء (١) في تتبعهم كلام العرب واستخلاص الظواهر اللغوية ، والقواعد النحوية . وقد خيل لبعض الباحثين المحدثين أن علماء النحو واللغة قد كانوا يفرضون القواعد ثم يعمدون الى اخضاع كلام العرب لهذه القواعد ، فيرتضون ماوافقها ،ويرفضون ماجاء خارجاً عنها ، « فتصوروا القاعدة قبل استقراء المادة اللغوية، وركبوا مركب الشطط ، فحاولوا أن يجعلوا للقواعد المجردة سلطاناً علـى المروي المأثور ، يحكمونها فيه ، ويحسبرن أن ذلك هو الصواب (٢) .

وهذا الكلام لايستند الى حجة مدروسة ، ولا يمتلك الدليل الناصع ، وإن تتبع أعمال اللغويين والنحاة الأوائل الذين استقروا كلام العرب ، يدحض هذا الرأي وينفي عن علماء النحو واللغة هذه التهمة ، التي تنقص من قدرهم وتقلل من قيمة عملهم العظيم .

---

(١) الاستقراء : مصدر على وزن (الاستفعال) ، وفعله المجرد (قرا) بمعنى : تتبع، جاء في اللسان : « قرا الأمر ، واقراه : تتبعه . . . وقروت البلاد قرواً ،وقريتها قرياً ، واستقريتها إذا تتبعتها ، تخرج من أرض الى ارض . »

(٢) نحو القرآن / الدكتور أحمد عبدالستار الجواري ، ٧ .

لقد كانت وظيفة اللغويين والنحاة الأوائل متجهة صوب وصف الحقائق لا فرض القواعد (٣) . وقد بذلوا من أجل ذلك جهوداً مضنية ، مكنتهم من جمع اللغة ، وتتبع كلام العرب في مظانه المختلفة ، وسيبقى عملهم مفخرة تعتز بها الأجيال المتعاقبة . وعملهم هـذا يُعـدّ من أعظم الأعمال الفكرية التي قام بها سلفنا الصالح ، فقد جاهدَ أولئك الرجال الأفذاذ في حفظ اللغـة والتراث ، وقدموا الينا دراسات علمية تناولوا فيها : تراكيب اللغة ومفرداتها ومعانيها ، وحصروا ظواهرها المختلفة ، معتمدين في ذلك كله على الاستقراء والتتبع ، ولولا ذلك الاستقراء الذي قاموا به ، لما وصل الينا شيءٌ من اللغة أو الشعر ، اذ لم تكن للعرب دواوين مدونة ، ولا أسفار مرسومة تضم في طياتها كلامهم وشعرهم ، ونوادر أخبارهم ، فقد كان اعتمادهم على المشافهة والرواية في نقل ذلك التراث الضخم من جيل الى جيل ، الى أن نبغ أولئك الأعلام من أمثال : عبدالله بن أبي اسحاق ، وعيسى بن عمر ، وأبي عمرو بن العلاء ، والمفضل الضبي ، والخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه ، ويونس بن حبيب والكسائي ، والفراء ، وأبي زيد الأنصاري ، والأصمعي ، فوقفوا أنفسهم على جمع اللغة واستقرائها وتدوينها ، ولا أظن أنّ هناك أمةً من الأمم قد مرّت بمثل تلك التجربة العلمية الفذة ، التي نفرت فيها نخبة ممتازة من أبنائها لمثل هذا العمل الإنساني العظيم ، الذي كان هذا التراث الضخم من المؤلفات اللغوية والنحوية ثمرة من ثمراته . لقد كان البحث اللغوي والنحوي همَّ أولئك الرجال ، فتفرغوا له ، وأوتوا من الفطنة والذكاء والصبر نصيباً كبيراً ، فتمكنوا من تحقيق أمرين عظيمين ، هما : جمع اللغة وتدوينها ، ثم دراستها ، وكان الاستقراء هو السبيل القويم الذي سلكوه في ذلك كله . واذا كان فقهاء اللغة اليوم قد انتهوا الى أن « وظيفة اللغوي هي وصف الحقائق لا فرض القواعد » فان تلك الوظيفة لم يفهمها على حقيقتها أحد مثلما فهمها و طبقها سلفنا الصالح من علمائنا الأولين ،

(٣) دراسات في فقه اللغة / الدكتور صبحي الصالح ، ٢٦ .

إذْ أنشؤوا في فجر الاسلام يجمعون رواياتهاويمحصون نصوصها كل التمحيص، ويخضعونها لطرائق الاستقراء ، ليخرجوا منها بما يسمونه : سنن العرب في كلامها . (٤)

ويعد الخليل بن أحمد الفراهيدي ، من أوائل الذين قاموا باستقراء اللغة ، فقد ابتكر طريقة هندسية مكنته من ضبط كلام العرب وحصره ، ويسرت له معرفة ماستعمل من كلامهم ، وما أهمل منه ، بأسلوب دقيق قائم على حصر الألفاظ المحتملة التي يصح أن تأتلف منها مفردات الأصوات العربية ، فقد هداه فكره الرياضي النيّر الى وضع تلك الطريقة القائمة على جمع الأصوات ، وربطها ثم تقليبها على وفق عدد مفردات أصوات ذلك اللفظ (٥)وقد توصل الى أن اللفظ الذي يتألف من صوتين يمكن أن يتولد منه تركيبان (٦) ، نحو : قد ، فاذا قلبت تتولد منها لفظة ثانية ، وهي: دَقْ ، ولفظة : شدْ ، الثنائية ، إذا قلبت تتولد منها لفظة ثانية ، وهي: دش ، واللفظ الذي يتألف من ثلاثة أصوات يصح أن يتولد منه ستة مفردات ، نحو : ضرب ، ضبر ، برض ، بضر ، رضب ، ربض . والكلمة الرباعية تتصرف على أربعة وعشرين لفظاً ، قال : « وذلك أن حروفها وهي أربعة ، تضرب في وجوه الثلاثي ، وهي ستة أوجه ، فتصير أربعة وعشرين» (٧) ، والكلمة الخماسية تتصرف على مئة وعشرين وجهاً ، وذلك أن حروفها خمسة ، تضرب في وجوه الرباعي ، وهي أربعة وعشرون وجهاً فتصير مئة وعشرين لفظة .

وقدهداه الاستقراء الى أن كثيراً من هذه الالفاظ غير مستعمل في كلام العرب (٨) وتوصل عن طريق الاستقراء أيضاً إلى أن هناك أصواتاً لا تأتلف فيما بينها فلا تجتمع في كلامهم ، فقد قال في مطلع كتابه العين : « إن العين لاتأتلف مع الحاء

---

(٤) دراسات في فقه اللغة ، ٢٦ .

(٥) دراسات في فقه اللغة ، ٢٦ .

(٦) العين ، ٥٩ .

(٧) العين ١/٥٩ .

(٨) العين / ٥٩ .

في كلمة واحدة ، لقرب مخرجيهما ، إلا أن يشتقّ فعل من جمع بين كلمتين ، مثل : (حَـيَّ على) ، كقول الشاعر :

ألارُبَّ طيفٍ بات منك مُعانِقي

إلى أن دعا داعي الفلاح فحيعلا (٩)

يريد : قال : حيَّ على الفلاح . وقال في موضع آخر من العين : « العين مع هذه الحروف : الغين والهاء ، والحاء ، والخاء مهملات » (١٠) ، ويعني بقوله هذا : أننا لا نستطيع أن نؤلف كلمة من حرفين ، يكون أحدهما العين والآخر أحد هذه الحروف ، بغض النظر عن ترتيب العين ، سواء أكانت في أول الكلمة أم آخرها ، وقد توصل الخليل الى هذه الحقيقة اللغوية باستقرائه كلام العرب ، فليس في كلامهم المستعمل مثل : عغ ، ولاغع ، ولاعح ، ولاحع ، فهذه الألفاظ وماشابهها ، مما جاءت فيه العين مؤتلفة مع أحد تلك الحروف ، كلها مهملة في كلامهم .

وقد عُني علماء كثيرون بعد الخليل باستقراء كلام العرب ، وأكملوا مابدأه وتوسعوا فيما رسمه من أصول قائمة على الاستقراء ، ولأبي بكر بن السراج مبحث قويم أورده في كتابه الاستقاق ، تناول فيه مايصح أن يأتلف من الأصوات العربية ، ومايمتنع ، ومتى يحسن تأليف تلك الأصوات ؟ ومتى يقبح ؟ قال : « إعلم أنه اذا تباعد مخرج الحروف حسن التأليف ، واذا تقارب قبح ، فأمّا مايأتلف من حروف الحلق ، وهي : الهمزة، والهاء ، والحاء ، والعين ، والخاء ، والغين ، هذه الحروف الستة لايأتلفن بأنفسهن إلاّ في أماكن قليلة . فالهمزة مع الهاء والحاء والخاء إذا كانت الهمزة مبدوءة ، فاذا أخرت الهمزة لم تأتلف ، فأمّا الهمزة المبدوءة فمثل : أخ ، وأهل ، وأحد ، وتأتلف

(٩) البيت في اللسان (حعل) ، ولم ينسبه .
(١٠) العين ١/٦٠ ، وتهذيب اللغة ، الأزهري ١/٥٥ .

العين مع الهاء اذا كانت العين مبتدأة ، مثل : عهد ، فاذا جعلت الهاء قبل العين لم تأتلف والخاء مع العين تأتلفان ، مثل : تنخع ، والنخع ، فاذا جاوزت ما ذكرته لك ، لم يأتلف حرفان من حروف الحلق الا بحاجز بينهما ، مثل : عبء ، فصلوا بين العين والهمزة بباء (١١) .

وقد تتبع ابن السراج وغيره من العلماء العلاقة بين الأصوات العربية واستقروا الأصول التي اتبعها العرب في ربط تلك الأصوات لتأليف المفردات الموضوعة بازاء المعاني المختلفة ، فتوصلوا الى : أن الأصوات المتقاربة لا تأتلف في كلام العرب ، الا اذا بدئ بالصوت الأقوى (١٢) فمثلاً (التاء والدال) صوتان متقاربان في المخرج ، وكان حقهما ألا يجتمعا في مفردات كلامهم ، فاذا جاءا مجتمعين في كلمة واحدة ، بدئ بالتاء ؛ لأنها أقوى ، ومما جاء على ذلك قولهم (وتد)، والراء واللام متقاربان في المخرج . وكان حقهما ألا يجتمعا في مفرداتهم ، فاذا جاءا في مفرد من المفردات بُدِئ بالراء قبل اللام ؛ لأن الراء أقوى من اللام ، نحو قولهم (ورل) (١٣) .

وقد توصل العلماء باستقرائهم كلام العرب الى وضع ضوابط تتسم بالدقة والشمول ، وكان الخليل على رأس أولئك العلماء - فقد استقرى لغة العرب استقراءً واسعاً ، مكنه من وصفها وصفاً دقيقاً بلغ فيه الغاية في الضبط والحصر وقد بدأ ذلك برسم أصناف المفردات العربية من حيث عدد حروفها قال في مقدمة العين : « كلام العرب مبنيّ على أربعة أصناف : على الثنائيّ والثلاثيّ ، والرباعيّ ، والخماسيّ ، فالثنائيّ على حرفين ، نحو : قد ، لم ، هل ، . . . ، والثلاثي من الأفعال : ضرب خرج . . . ومن الأسماء : عمر ، وجمل ، وشجر ، . . . والرباعي نحو : دحرج ، هملج (١٤)

---

(١١) الاشتقاق ، ابو بكر بن السراج ٤٥ – ٤٦ ، والجمهرة لابن دريد ١/٩ .
(١٢) الاشتقاق ، ٤٦ ، والجمهرة ١/٩ . (١٣) الاشتقاق ، ٤٦ .
(١٤) أمر مهملج مذلل منقاد (القاموس المحيط) .

قرطس (١٥) ، . . . ومن الأسماء : عبقر ، وعقرب ، وجندب ، وشبهه ، والخماسيّ من الافعال : اسحنكك (١٦) ، واقشعرّ ، واسحنفر ، واسبكرّ ، مبنيّ على خمسة أحرف ، ومن الأسماء ، نحو : سفرجل ، وهمرجل(١٧) ، وشمردل » (١٨) ،(١٩) .

وقد تنبه الخليل الى أن الفعل المجرّد لايتجاوز أصل بنائه الأربعة ، فقال : « والألف في اسحنكك ، واقشعرّ ، واسحنفر ، واسبكرّ ، ليست من أصل البناء ،وإنّما أدخلت هذه الألفات في الافعال ، وامثالها ، لتكون الألف عماداً وسلماً للسان الى حرف البناء ، لان اللسان لاينطلق بالساكن من الحروف ، فيحتاج الى ألف الوصل (٢٠) ، واعتماداً من الخليل على الاستقراء القائم على التتبع والضبط والحصر حكم بأنه : « ليس في الأسماء ، ولا في الأفعال أكثر من خمسة أحرف ، فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف في فعل أو اسم ، فاعلم أنها زائدة على البناء ، وليست من أصل الكلمة ، مثل: قرعبلانة (٢١) ، انما أصل بنائها : قرعبل ومثل: عنكبوت إنما أصل بنائها : عكب (٢٢) ».

وقد جاء بعد الخليل علماء كثيرون استقروا أبنية مفردات اللغة العربية فلم يضيفوا شيئاً الى ماأورده ، وكلهم مجمعون على أنه لم يرد في أصل أبنيتهم مفرد على أكثر من خمسة أحرف أصلية قال أبو بكر الزّبيدي في كلامه على أبنية الأسماء : « ويجيء على خمسة أحرف . . . ولا يجاوز الاسم هذا البناء

(١٥) في القاموس المحيط : رمى فقرطس أي أصاب القرطاس . والقرطاس أديم . ينصب للرمي
(١٦) اسحنكك الليل : أظلم . القاموس المحيط) .
(١٧) الهمرجل : الجواد السريع والناقة السريعة . (القاموس المحيط)
(١٨) الشمردل : الفتي السريع من الأبل وغيرها . (القاموس المحيط)
(١٩) العين ١/٤٨ — ٤٩ . (٢٠) العين ١/٤٩ .
(٢١) القرعبلانة : دويبة عريضة عظيمة البطن ، اللسان (قرعبل) .
(٢٢) العين ١/٤٩ .

الا مزيداً (٢٣) » . وقال في كلامه على أبنية الأفعال : « وقد يجيء على أربعة أحرف . . . ولا يجاوز الفعل هذا البناء الرباعيّ إلاّ مزيداً » (٢٤) .

ويعد سيبويه أوسع من استقرى عدة حروف المفردات العربية فقد قام بدراسة استقرائية دقيقة ، رصد فيها عدة حروف تلك المفردات ، ومراتبها من حيث تردّدها في الكلام العربي ، وسار في ذلك على نهج شيخه الخليل في الإفادة من الاستقراء فوضع ضوابط عامة تتعلق بهذا الباب ، من ذلك قوله : « وأمّا ماجاء على ثلاثة أحرف فهو أكثر الكلام في كلّ شيء من الأسماء والافعال وغيرهما مزيداً وغير مزيد فيه ، وذلك لأنه كأنّه الأول فمن ثَمَّ تمكن في الكلام ، ثُمَّ ماكان على أربعة أحرف بعده ثم بنات الخمسة وهي أقلّ ، لاتكون في الفعل البتّة ولا يكسر بتمامه للجمع ؛ لأنها الغاية في الكثرة فاستثقل ذلك فيها ، فالخمسة أقصى الغاية في الكثرة فالكلام على ثلاثة أحرف وأربعة أحرف ، وخمسة لازيادة فيها ولا نقصان والخمسة أقلّ الثلاثة في الكلام ، فالثلاثة أكثر ماتبلغ بالزيادة سبعة أحرف وهي أقصى الغاية والمجهود وذلك نحو : اشهيباب ، فهو يجري على مابين الثلاثة والسبعة . والأربعة تبلغ هذا (أي : تبلغ السبعة) نحو : احرنجام ولا تبلغ السبعة إلا في هذين المصدرين وأمّا بنات الخمسة فتبلغ بالزيادة الى ستة . . . ولاتبلغ سبعة كما بلغتها الثلاثة والأربعة . . . فعلى هذا عدة حروف الكلم فما قصر عن الثلاثة فمحذوف ، وما جاوز الخمسة فمزيد فيه «(٢٥) » . ولا أظن أن هناك باحثاً لغوياً معاصراً كان أم غير معاصر استطاع

---

(٢٣) الاستدراك على سيبويه في كتاب الابنية ص ٣

(٢٤) الاستدراك على سيبويه في كتاب الأبنية ، ٣ .

(٢٥) الكتاب ، سيبويه ٢ / ٣٠٩ – ٣١٠ ، بولاق ١٣١٦ هـ .

أن يستدرك شيئاً على هذا الاستقراء الذي أورده سيبويه في كتابه . وهناك نصوص كثيرة في الكتاب تتعلق بعدة حروف المفردات العربية وكلها قائمة على الاستقراء من ذلك قوله : « ليس في الدنيا اسم يكون على حرفين أحدهما التنوين (٢٦) » . وقوله : « ولم يجئ اسم واحد (٢٧) عدته ثمانية أحرف (٢٨) » وقوله : « ليس في الدنيا اسم أقل عدداً من اسم على ثلاثة أحرف ، ولكنهم قد يحذفون مما كان على ثلاثة حرفاً وهو في الأصل له ، ويردونه في التحقير والجمع وذلك قولهم في دم : دُميّ وفي حر (٢٩) : جريح وفي عدة : وعيدة (٣٠) » . وقد تنبه الخليل قبل سيبويه الى هذا الأصل القائم على الاستقراء فقال : « الاسم لايكون أقلّ من ثلاثة أحرف ، حرف يبتدأ به ، وحرف يحشى به الكلمة ، وحرف يوقف عليه (٣١) » .

والأحكام اللغوية التي استنبطها العلماء عن طريق الاستقراء كثيرة ، تشهد لهم بسعة الاطلاع وقوة الملاحظة ، وقد هيأ لهم ذلك خبرة لغوية جعلتهم قادرين على التفريق بين مايصح أن يقع في كلام العرب مما لايصح ، فوضعوا ضوابط يعرف بها الكلام العربي من غيره ، وكان الخليل من أقدم النحاة واللغويين الذين طرقوا هذا الباب من أبواب اللغة - فوضع فيه قواعد حكيمة عوّل فيها على الاستقراء ، من ذلك ماأورده في مقدمة العين عند حديثه عن الحروف الذلق والشفوية (٣٢) ، قال : « فلما ذاقت الحروف

---

(٢٦) الكتاب ٦٣/٢ .

(٢٧) يعني سيبويه بقوله : (اسم واحد) الاسم المفرد .

(٢٨) الكتاب ٨٧/٢ .

(٢٩) حر : أصلها حرح ، اللسان (حرح) .

(٣٠) الكتاب ٦٤/٢ .

(٣١) العين ٤٩/١ وتهذيب اللغة ، الأزهري ٤٢/١ - ٤٣ .

(٣٢) حروف الذلق والشفوية هي : الباء والراء والفاء واللام والميم والنون، انظر العين ٥١/١ ، وتهذيب اللغة ٤٤/١ .

الستة ، ومذل بهن اللسان ، وسهلت عليه في النطق ، كثرت في أبينة الكلام ، فليس شيء من بناء الخماسيّ التام يعرى منها أو من بعضها ، . . . فان وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذاق أو الشفوية ، ولا يكون في تلك الكامة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان ، أو فوق ذلك ، فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب ، لأنك لست واجداً من يسمع من كلام العرب كلمة رباعية أو خماسية ، الاّ وفيها من حروف الذاق والشفوية ، واحد أو اثنان أو أكثر » (٣٣) . وبعد أن ذكر الخليل هذا الضابط الخاص بأبنية الرباعي والخماسي ، وأنه ينبغي أن لايخلو من حرف من حروف الذاق والشفوية ، استدرك على نفسه ، فذكر أن الجمهور من الرباعي لايُعرى من تلك الحروف ، أو من بعضها ، إلا كلمات نحواً من عشر جئن شَوَاذّ ، وذكر من هذه الألفاظ : العسجد ، والقسطوس ، والدعسوقة ، والزهزقة ، وقال معقباً على ورود مثل هذه الألفاظ : « وهذه الأحرف قد عرين من الحروف الذلق ، ولذلك نزرن فقللن ، ولولا مالزمهن من العين والقاف ، ماحَسُنّ ؛ ولكن العين والقاف لاتدخلان في بناء إلا حسّنتاه ؛ لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جرساً (٣٤) » .

واذا ماألقينا نظرة فاحصة على المعجم العربي ودققنا النظر فيما ورد فيه من أبنية رباعية أو خماسية ، وجدناها قد جاءت على وفق ماذكره الخليل ، فلم يخل أيّ منها من حرف من حروف الذاق أو الشفوية ، مثل : درهم ، وبرثن ، وسفرجل ، وفرزدق ، في الأسماء ، ودحرج ، وزخرف ، وسلسل ، في الافعال .

ولم ينفرد الخليل في وضع الضوابط التي تفرق بين الألفاظ العربية

---

(٣٣) العين ١/٥٢ ، وتهذيب اللغة ١/٤٤ – ٤٥ .

(٣٤) العين ١/٥٣ والجمهرة ١/١١ .

وغيرها ، فقد شاركه في ذلك كثير من العلماء ممن جاؤوا بعده ، فحذوا حذوه في استقراء كلام العرب ، واستخلاص سمات ألفاظه ، وتعرُّف مايصح أن يجتمع في تلك الألفاظ من أصوات مما لايصح ، فوضعوا ضوابط مكنتهم من التفريق بين الألفاظ العربية والمعربة . وقد شارك الجواليقي في هذا الباب أيّما مشاركة فأورد في مقدمة كتابه (المعرب) جملة وافية من تلك الضوابط منها : « أن الجيم والقاف لاتجتمعان في كلمة عربية ، فمتى جاءتا في كلمة ، فاعلم أنها معربة ، من ذلك : الجوق والقبج ، وأن الجيم والصاد لاتجتمعان في كلمة عربية ، فاذا جاءتا مجتمعتين في كلمة ، فاعلم أن تلك الكلمة ليست عربية مثل : الجص والصولجان وأنه ليس في كلامهم زاي بعد دال الا وهو دخيل » (٣٥) .

وقد يسر الاستقراء لعلماء اللغة والنحو أن يضعوا باباً في اللغة اطلقوا عليه : « ليس في كلام العرب » ، أوردوا فيه ضوابط كثيرة حصروا فيها ، مالم يقع في كلامهم ، ولعل الخليل وسيبويه هما أول من أشار الى هذا الاصطلاح ، فقد تردد في أقوالهم كثيراً ، قال الخليل : « ليس في كلام العرب . . . . كلمة صدرها (نر) » (٣٦) . ويقصد بالكلمة هنا الأبنية المجردة من الزيادات وعلى ضوء هذا الاستقراء قرر العلماء أن كل كلمة جاءت مبدوءة بهذين الحرفين النون والراء مجتمعتين والنون قبل الراء وكانت النون أصلية ، فالكلمة غير عربية بل معربة مثل : نرجس ، ونرمق ، ونورج » (٣٧) .

وهناك أمثلة أخرى ، وردت في كتاب العين ، فيها حصر لما ورد في

(٣٥) المعرب من الكلام الأعجمي ، الجواليقي ، تحقيق أحمد شاكر ، القاهرة ١٣٦١ هـ (ص ٥٩ — ٦٠) .

(٣٦) العين ١/٥٣

(٣٧) البارع للقالي ، بيروت ١٩٧٥ (ص ٥٤٤) ، والمعرب ٥٩ والمزهر السيوطي ، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٣٧٨ هـ (١/٢٧٠) .

كلام العرب على مثال أبنية مخصوصة ، من ذلك قوله : « والمعزابة : الذي يعزب بغيره ، ينقطع به عن الناس الى الفلوات ، وليس في التصريف مفعالة غير هذه الكلمة » (٣٨) . وقوله ؛ « رجل أعجف وامرأة عجفاء ، وتجمع على : عجاف (بكسر العين) ، ولا يجمع أفعل على فعال غير هذا ، رواية شاذة عن العرب ، حملوها على لفظ سِمان (٣٩) » .

وفي كتاب سيبويه شيء كثير من هذه الضوابط التي جاءت على « باب ليس في كلام العرب » من ذلك قوله : « ليس في كلام العرب اسم آخره واو وقبلها حرف مفتوح » (٤٠) . ولهذا لما جعلوا (لو) اسماً على سبيل الحكاية ألحقوها واواً اخرى أدغموها في الأولى فقالوا (لَوٌّ) (٤١)، قال أبو زبيد (٤٢) :

ليت شعري وأين مِنّيَ ليتٌ
إنّ لَيْتاً وإنّ لوّاً عَناءُ

وقال في موضع آخر : « ليس في كلام العرب حرف (٤٣) آخره ياء ماقبلها مفتوح (٤٤) » وقال في كلامه على أبنية الأسماء : « ليس في الأسماء واو وقبلها حرف مضموم، وإنما هذا بناء اختصّ به الافعال ، ألا ترى أنه قال : أنا أدلو حين كان فعلاً ، ثمّ قال : « أدلٍ (٤٥) ، حين جعلها اسماً (٤٦) » ، وقال في باب أسماء الافعال المشتقة على وزن (فعال) :

---

(٣٨) العين ٣٦١/١ .
(٣٩) الكتاب ٢٣٤/١ .
(٤٠) الكتاب ٣٢/٢ .
(٤١) الكتاب ٣٢/٢ ، والمخصص ٥٠/١٧ .
(٤٢) ديوان أبي زبيد ٢٤ ، والكتاب ٣٢/٢ .
(٤٣) يعني سيبويه بالحرف هنا الاسم ، لأن الحديث عن الأسماء المحكية ، واللغويون والنحاة قد يطلقون الحرف ويريدون الفعل أو الأسم .
(٤٤) الكتاب ٣٣/٢ .
(٤٥) أدل : جمع دلو ، وكان حقها أن تكون (أدلو) على وزن (أفعل) لأن مفردها على وزن (فعل) ، فحدث لها اعلال ، فقلبت الواو ياء والضمة كسرة ، لتوافق أبنية الأسماء .
(٤٦) الكتاب ٦٠/٢ .

« فالحدّ في جميع هذا (افعلْ) ، ولكنه معدول عن حده ، وحرّك آخره ؛ لأنه لايكون بعد الألف ساكن ، وحرّك بالكسر ، لأن الكسر مما يؤنث به ، تقول : إنكِ ذاهبة ، وأنتِ ذاهبة ، وتقول : هاتي هذا ، للجارية ، وتقول : هذي أمة الله ، واضربي ، اذا أردت المؤنث ، وإنما الكسرة من الياء « (٤٧) . وقال عن حديثه عن أبنية الأسماء : « ليس حرف في الكلام تتوالى فيه أربع متحركات » (٤٨) .

والناظر في كتاب سيبويه يجد عبارة « ليس في كلام العرب » قد ترددت كثيراً (٤٩) وقد ضمنها أحكاماً ضبط فيها كلام العرب ضبطاً دقيقاً ، مكنه من وضع أحكام حصر فيها مايصح ان يقع في كلامهم مما لايصح وبنى ذلك كله على الاستقراء ، فقد ذكر فيما ذكر أنه ليس في الأسماء ولا الصفات شيءٌ على وزن (أفعُل) الا أن يكون جمعاً مكسراً ، نحو : أكلب وأعبد (٥٠) وليس في كلامهم (أفاعل) بكسر العين الا أن يكون جمعاً نحو : أجادل (٥١) ولا (أفاعيل) إلا أن يكون جمعاً أيضاً نحو : أقاطيع (٥٢) وأنه لم يرد في الأسماء اسم على وزن (تفاعل) بفتح العين (٥٣) لأنه وزن خاص بالأفعال ، نحو : تقاتل وتشارك .

وقد أفاد ابن خالويه من هذه الاشارات التي وردت في كتاب سيبويه فوضع كتاباً سماه : « ليس في كلام العرب » أورد فيه ضوابط كثيرة اعتمد في وضعها على الاستقراء ، وقد استعان في ذلك بما استقراه من سبقهُ من العلماء ، مضيفاً اليه ماوقع له من ذلك في تتبعه كلام العرب ، قال في

---

(٤٧) الكتاب ٣٧/٢ — ٣٨ والمخصص ٦٣/١٧ . (٤٨) الكتاب ٣١٦/٢ .
(٤٩) الكتاب ٣٣٥/٢ . (٥٠) الكتاب ٢٤٤/٢ .
(٥١) الكتاب ٣٢/٢ ، و ٣١٧ ، ٣٣٤ .
(٥٢) الكتاب ٣١٦/٢ .
(٥٣) الكتاب ٣١٦/٢ .

أحد أبوابه : « ليس في كلام العرب فَعَلَ يَفْعَلُ فِعْلاً ، الا سَحَرَ يَسْحَرُ سِحراً (٥٤) » . وقال في باب آخر : « ليس في كلام العرب المصدر للمرة إلا على فَعْلَة (بفتح الفاء) ، نحو : سجدت سَجدة واحدة ، وقمت قومة واحدة ، إلا حرفين : حججت حِجة واحدة ، بالكسر ، ورأيته رُؤية واحدة ، بالضم ، وسائر الكلام بالفتح » (٥٥) .

لقد بذل اللغويون والنحاة جهوداً كبيرة في استقراء كلام العرب ، فاستطاعوا أن يرصدوا ظواهر لغوية كثيرة ، أوردوها في كتبهم المختلفة ، وليس غرضي في هذا البحث أن أورد جميع النتائج التي سجلها العلماء في أثناء تتبعهم كلام العرب ، وإنما أريد أن أضع بين يدي الباحثين نماذج من تلك الاستقراءات لأبين للباحثين المحدثين ممن يتعلقون بمناهج البحث الحديث ، أن هذه المناهج لم تكن خافية على علمائنا الأوائل ، فقد كانوا سباقين في انتهاجها ، وأنهم قد بنوا قواعد اللغة والنحو على الاستقراء ، وأن استخدامهم المنطق والقياس والتعليل لم يحل دون انتفاعهم بالمنهج الاستقرائي القائم على تتبع الظواهر اللغوية ورصدها ومن ثم دراستها . والظواهر اللغوية التي رصدها العلماء عن طريق الاستقراء ، كثيرة ، وتعد ظاهرة « الاضداد » في العربية من أقدم الظواهر التي سجلها العلماء . ولعل الخليل هو أول من أشار الى هذه الظاهرة ، وإن لم يطلق عليها مصطلح الأضداد ، قال في العين : « وشعّبت بينهم : فرقتهم ، وشعبت بينهم بالتخفيف : أصلحت ، والتأم شعبهم ، أيْ : اجتمعوا بعد تفرقهم ، وتفرق شعبهم ، قال الطرماح :

شت شعب الحيّ بعد التئام

وشعب الرجل أمره : فرقه ، قال الخليل : هذا من عجائب الكلام

---

(٥٤) ليس في كلام العرب / الطبعة الثانية ٣١ ، ط . مكة المكرمة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
(٥٥) ليس في كلام العرب / الطبعة الثانية ٣٥ .

ووسع اللغة والعربية أن يكزن الشعب تفرقاً ويكون اجتماعاً (٥٦) .

وجاء اللغويون والنحاة بعد الخليل فأتموا استقراء هذه الظاهرة ، فوضعوا فيها كتباً خاصة ، ضمت مفرداتها ، وجمعت ماتفرق منها في كلام العرب ، وقد فعل ذلك علماء كثيرون ، منهم : قطرب والأصمعي والتـوّزيّ وأبو بكر ابن الأنباري (٥٧) .

والترادف والاشتراك ظاهرتان لغويتان ، وقعتا في كلام العرب ، وقد سجلهما علماء اللغة عن طريق الاستقراء والتتبع الواسع للعربية ، ويعد سيبويه أول من نبه الى هاتين الظاهرتين ، وان لم يذكر مصطلحي : (الترادف والاشتراك) ، قال في أول كتابه عند كلامه على الألفاظ والمعاني : « اعلم أن من كلامهم . . اختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ، . . . . ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، نحو : ذهب وانطلق ، واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك :وجدت عليه ، من الموجدة ، ووجدت اذا أردت وجدان الضالة ، وأشباه هذا كثير » (٥٨). وقد عمد علماء اللغة والنحو بعد سيبويه الىاستقراء هاتين الظاهرتين ، فأفردوا فيهما مؤلفات قيمة ، جمعوا فيها ماوقع في العربية من ألفاظ المشترك والمترادف ، فألف كراع كتابه : « المُنَـجّد في اللغة » (٥٩) ، تناول فيه المشترك اللفظي في كلام العرب ، وألف في الترادف علماء كثيرون ، منهم : ابن خالويه ، والفيروزآبادي والسيوطي (٦٠) .

---

(٥٦) العين ٢٦٢/١ .

(٥٧) المزهر ، السيوطي – ٣٩٧/١ ، وكشف الظنون ٥١٧/١ ، ١٩٦٠/٢ والأضداد في العربية ، الدكتور محمد حسين آل ياسين ٣١٢ – ٣١٨.

(٥٨) الكتاب ٧/١ – ٨ .

(٥٩) سماه القفطي في ترجمته لكراع النمل بـ « المنجد فيما اتفق لفظه واختلف معناه » . إنباه الرواة على انباه النحاة (٢٤٠/٢) .

(٦٠) المزهر ٤٠٧/١ .

وهناك ظواهر لغوية أخرى ، رصدها علماء اللغة عن طريق الاستقراء ، منها : ظاهرة الاشتقاق ، بأنواعه المختلفة ، فقد لاحظ العلماء أن هناك علاقة معنوية بين كثير من الألفاظ التي اشتركت في موادها اللغوية ، وعن طريق هذه الملاحظة الاستقرائية ، حكموا بأن أكثر الألفاظ بعضها مشتق من بعض ، ولاحظوا أيضاً أن هناك ألفاظاً غير مشتقة من غيرها ، فقسموا الألفاظ على ضوء هذا الاستقراء الى الفاظ جامدة ، وألفاظ مشتقة (٦١) . وقد أفاد علماء اللغة من ظاهرة الاشتقاق إفادةعظيمة حينما وضعوا المعاجم اللغوية العامة ، اذْ رتبَ كثير من العلماء معاجمهم على وَفْق المواد اللغوية ، وتناولوا ضمنها كلّ ماستعملته العرب مما اشتقّ من أصل من أصول تلك المواد اللغوية ، سواء أكانت تلك المعاجم مبنية على الحروف أم كانت مبنية على أبنية كلام العرب . وقد تمّ لهم جمع تلك المواد اللغوية وما اشتقمنها عن طريق الاستقراء ، فلولا ذلك الاستقراء الواسع الذي قاموا به ، لما استطاعوا أن يجمعوا كلام العرب في ثنايا معاجمهم المختلفة .

واستطاع العلماء بتتبعهم كلام العرب واستقرائه ، أن يرصدوا سِمات كثيرة للعربية ترتبط بمعاني مفرداتها وأبنيتها ، وأصول موادها اللغوية ، وتوصلوا الى نتائج محكمة سجلوها في كتبهم ، ومازالت تلك الأحكام ثابتة لم يطرأ عليها تغيير ، ولم يلحقها مايقلل من قيمتها أو ينقض صحتها .

فقد لاحظوا مثلاً أن المفردات العربية منها مفردات مجردة قائمة على أصول ليس فيها شيءٌ مزيد (٦٢)، ومنها ألفاظ قد طرأت عليها زيادات (٦٣)

---

(٦١) المزهر ٣٤٨/١ .

(٦٢) شرح الشافية ، الرضي الأستربادي ٧/١ ، ٩ ، ٣٥ ، ٤٧ ، والمزهر ٥/٢ – ٤٢ ، وأوزان الفعل ومعانيها للدكتور هاشم طه شلاش ١٩ ، ٢١ ، ٤٩ ، ٥١ .

(٦٣) الكتاب ٣١٥/٢ – ٣٤٢ ، وشرح الشافية ١ ، ٩ – ١٤ ، والمزهر ١٠/٢ – ٢٨ وشرح المفصل لابن يعيش ١٤٤/٩ .

في أولها أو آخرها أو وسطها ، وربما لحقت بعض المفردات زيادات في أكثر من موضع ، كأن تكون في الأول والوسط ، أو الوسط والآخر ، نحو (أكرم) ، فأصلها (كرم) وزيدت همزة في أولها ، ونحو (شارك) وأصلها (شرك) زيدت ألفاً في وسطها ، و (ذكرى) وأصل المادة (ذكر) وزيدت ألفاً في آخرها ، ونحو (اعتقد) وأصلها (عقد) وزيدت همزة في أولها وتاءً في وسطها ، ونحو : (ناجحة) وأصل المادة (نجح) ، وزيدت ألفاً في أولها وتاءً في آخرها (٦٤) .

ولاحظ العلماء عن طريق الاستقراء أن العرب قد تستعمل المزيد ، وتترك الأصل المجرد نحو :(اشتدّ الأمر) ، و (افتقر الرجل) و (أحمرّ البسر) و (استعان الرجل بالله) ، فقد استعملت العرب المزيد من هذه الأفعال ولم تستعمل المجرد ، وسموا هذا الباب بالأصول المتروكة ، أو الأصول المرفوضة (٦٥) .

وقد استقرى العلماء حروف الزيادة ، وأحصوها ، فكانت عشرة حروف . وقد جمعوها في عبارات مختلفة ، لتسهيل حفظها ، قال ابن جني : « حكي أن أبا العباس(المبرّد)سأل أبا عثمان(المازنيّ) عن حروف الزيادة ، فأنشده :

هَوِيتُ السِمانَ فَشيّبنَني وماكنت قِدْماً هَوِيتُ السمّانا

فقال له : الجواب ؟ ، فقال أبو عثمان : قد أجبتك في الشعر دفعتين ، يريد : « هويت السمان » ؛ ويجمعها أيضاً في اللفظ : « اليوم تنساه » ، وقيل : (سألتمونيها) ، وهي . . . . الألف ، والياء ، والواو ، والهمزة ، والميم ، والنون ، والتاء ، والهاء ، والسين ، واللام (٦٦) » .

---

(٦٤) الكتاب ٢٢٥/٢ ، ولسان العرب (شدد) و (فقر) و (حمر) و (عون) .

(٦٥) الكتاب ٢٢١/٢ ، ٢٢٢ ، ٥٥٢ ، والمنصف ١٧٣/٢، شرح التصريف ، لابن جني القاهرة ١٣٧٣ هـ – ١٩٥٣ م . والخصائص ٢٥٩/١ ، والأشباه والنظائر ٧٠/١.

(٦٦) المنصف ، ٩٨/١ وشرح المفصل ، لابن يعيش ١٤١/٩ .

ويبدو لي أن أول من استقرى عدة هذه الحروف الزوائد هو : سيبويه ، وقد عقد لها أبواباً كثيرة في كتابه ، بدأها بـ : « هذا باب علم حروف الزوائد (٦٧) » ، فبين عدتها ، ومواضع زيادتها في الأسماء والأفعال . وقد جاء بعده علماء كثيرون ، فلم يستطيعوا أن يستدركوا عليه شيئاً .وقد توصل علماء اللغة عن طريق الاستقراء الى أن الزيادة كثيراً ماتلحق المفردات العربية لمعنى جديد تريده العرب عن طريق هذه الزيادة وقد عبر سيبويه عن هذه الملاحظة الاستقرائية بقوله : « إلاّ أن الزوائد تختلف ليعلم ماتعني » (٦٨) .

وأمثلة الحروف المزيدة التي دلت على معانٍ جديدة ، كثيرة ، منها : زيادة أحرف المضارعة على أول الماضي ، فقد دخلت عليه ليدل على معنى جديد ، وهو الحال أو الاستقبال ، بعد أن كان يدل على المضي ، فضلاً عن أن كل حرف منها يدل على المسند اليه الذي صدر عنه الفعل ، فالهمزة للمتكلم غيرالمشارك ، والنون للمتكلم المعظم نفسه ، أو المتكلم المشارك ، والياء للغائب ، والتاء للغائبة ، أو المخاطب المذكر أو المؤنث (٦٩) .

وتوصل علماء اللغة باستقرائهم حروف الزيادة في كلام العرب الى أنّ حروف العلة تزاد في المفردات العربية أكثر من غيرها ولعلّ أول من أشار الى هذا الاستقراء اللغوي هو سيبويه ، إذ قال: « فأما الأحرف الثلاثة ، فانهنّ يكثرن في كل موضع ، ولا يخلو منهن حرف أو من بعضهن . . . ثم ليس شيءٌ من الزوائد يعدل كثرتهن في الكلام ، هنّ لكلّ مدٍ ومنهنّ كل حركة ، وهنّ في كلّ جميع ، وبالياء الاضافة (يعني النسب) ، والتصغير ، وبالألف التأنيث ، وكثرتهن في الكلام ، وتمكنهنّ فيه زوائد

(٦٧) الكتاب ٣١٢/٢ ، و ٣١٥ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ .
(٦٨) الكتاب ٣٣٠/٢ ، والجمهرة ١٢/١ .
(٦٩) الكتاب ٢/١ .

أفشى من أن يحصى ويدرك » (٧٠) .

وهناك ظاهرة أخرى ، تتصل بالحروف ، وهي ظاهرة الإبدال ، وقد توصل اليها علماء اللغة عن طريق الاستقراء أيضاً ، وأول من استقرى حروف الابدال هو سيبويه ، فذكر في : « باب حروف البدل » (٧١) أنها أحد عشر حرفاً ، وهي : « الهمزة ، والالف ، والهاء ، والياء ، والتاء ، والدال ، والطاء ، والميم ، والجيم ، والنون، والواو » ، وأضاف اليها حرفاً آخر عند شرحه هذا الباب ، والحرف الذي أضافه هواللام (٧٢) ، وبهذا تكون اثنـي عشر حرفاً، والذي جعل سيبويه يؤخر ذكر اللام عن ذكره سائر حروف الابدال ، هو أنها لاترد في هذا الباب الا قليلاً ، فقد قال : « وقد أبدلوا اللام من النون وذلك قليل جداً ، قالوا ، أُصيلال ، وانما هو : أصيلان (٧٣)

وقد جاء علماء كثيرون فتتبعوا هذه الحروف في كلام العرب ، فلم يستطيعوا أن يزيدوا حرفاً واحداً على ما ذكر سيبويه . وقد جمع هذه الحروف بعض العلماء في عبارة (طال يوم أنجدته) (٧٤) ، لتسهيل حفظها .

وقد قرّرَ علماء اللغة بعد استقرائهم كلامِ العرب وتتبعه أن الابدال قد يكون لغة من اللغات ، وقد يكون إبدالاً قياسياً في عامة لغات العرب وقد اتجه كثير من العلماء الى استقراء الإبدال اللغوي ، وأفردوا له كتباً ، ويأتي في مقدمة هؤلاء العلماء : ابن السكيت ، وأبو الطيب اللغوي (٧٥) ، الذي قال في كتابه : « ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من

---

(٧٠) الكتاب ٣٤٩/٢ ، وشرح المفصل ١٤١/٩ .
(٧١) الكتاب ٣١٣/٢ .
(٧٢) الكتاب ٣١٤/٢ .
(٧٣) الكتاب ٣١٤/٢ وأصيلان : تصغير : (أصلان) جمع (أصيل) .
(٧٤) المزهر ٤٧٤/١ .
(٧٥) المزهر ٤٦٠/١ .

حرف ، وانما هي لغات مختلفة لمعان متفقة ، تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد ، حتى لاتختلفان الا في حرف واحد ، . . . .والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لاتتكلم بكلمة طوراً مهموزة ، وطوراً غير مهموزة ، ولا بالصاد مرة ، وبالسين اخرى ، وكذلك إبدال لام التعريف ميماً ، والهمزة عيناً ، كقولهم في نحو « « أن » : « عن » ، لاتشترك العرب في شيء من ذلك ، إنما يقول هذا قوم ، وذاك آخرون » (٧٦) .

أما الإبدال القياسيّ ، الذي يجري في عامة لغات العرب ، فقد أفرد له علماء النحو والصرف أبواباً خاصة في كتبهم ، ووضعوا له ضوابط وقواعد استنبطوها من استقرائهم كلام العرب ، مثل : قلب الواو ياء اذا سكنت وقبلها كسرة ، نحو : ميزان ، وميعاد ، فأصلهما : مِوْزان ، ومِوْعاد (٧٧) . وقلب (تاء) افتعل (طاءً) ، اذا كان قبلها « صاد ، أو ضاد ، أو طاء » ، نحو : اصطبر ، واضطرب ، واطلع ، فأصلهما : اصتبر ، واضترب ، واطتلع (٧٨) ، ولاحظوا أيضاً أن الواو في الفعل المثال المعتل الأول ، تقلب (تاء) فيما ورد على وزن (افتعل) ، نحو : اتصف ، واتّسع ، واتّحد ، وكان اصلها : « اوتصف ، واوتسع ، واوتحد » (٧٩) ، لأنها من: وصف ، ووسع ، ووحد .

وباب الإبدال باب واسع في اللغة ، وقد وضع له علماء النحو والصرف واللغة قواعد دقيقة ، تناولوا فيها جميع أنواع الإبدال ، سواء أكان الحرف

---

(٧٦) المزهر ١/٤٦٠ ، وقول أبي الطيب الذي ذكره السيوطي ساقط من (كتاب الإبدال) المطبوع أنظر مقدمة محقق الكتاب الأستاذ عزالدين التنوخي ١/٦٩ .

(٧٧) الكتاب ٢/٣٥٧ .

(٧٨) شرح الشافية ٣/٢٢٦ .

(٧٩) الكتاب ٢/٣٥٦ ، والمنصف ١/٢٢٢ — ٢٢٥ .

(٨٠) الكتاب ٢/٣٥٩ ، وشرح الشافية ٣/٦٨ ، والمخصص ١٣/٢٦٧ .

المبدل حرف علة ، أم حرفاً صحيحاً ، وخصوا النوع الأول ، أي الإبدال الذي يكون الحرف المبدل فيه حرف علة ، باسم خاص ، وهو الإعلال .

وقد لاحظ علماء اللغة عن طريق الاستقراء أن أحرف العلة تتعرض الى التغيير أكثر من غيرها ، وذلك لكثرة ترددها في كلام العرب (٨١) ، ولاحظوا أيضاً أن أحد هذه الأحرف وهو الألف لا يأتي في الأسماء المعربة أو الافعال الا منقلباً عن (ياء) أو (واو) أو مزيداً ، ولايكون حرفاً اصلياً ، ولعل أول من نبه الى ذلك هو المازني حيث قال : « والألف لاتكون أصلا أبداً ، انما هي زائدة ، أو بدل مما هو من نفس الحرف ، ولاتكون أصلا البتة في الاسماء ، ولا في الأفعال ، فأما في الحروف التي جاءت لمعنى فهي أصل فيهن » (٨٢). وقد عقب على ذلك ابن جني موضحاً كلام المازني فقال : « إنما قال أبو عثمان : إن الألف لاتكون أصلاً في الأسماء ولا في الأفعال ، وانما تكون زائدة أو بدلاً ، لأنه استقرى جميع الأسماء والافعال أو جمهورها ، فلم يجد فيها الا كذلك ، فقضى بهذا الحكم ، فأما الحروف فالألف فيهن أصل غير زائدة ولا منقلبة ، والدليل على ذلك أنها غير مشتقة ، ولامتصرفة ، ولايعرف لها أصل غير هذا الذي هي عليه (٨٣) وقد حصر ابن جني الأسماء التي لاتكون الألف فيها أصلاً بالأسماء العربية المتصرفة المعربة ، وذكر أن هذا هو مقصد المازنيّ ، وأنه لم يرد جميع الأسماء ؛ لأن هناك أسماءً الألف فيها مجهولة ؛ لأنها غير مشتقة ، مثل : الأسماء المبنية والأصوات المحكية (٨٤) والاسماء الاعجمية . فالألف في هذه

---

(٨١) الكتاب ٣٤٩/٢ .

(٨٢) المنصف ١١٨/١ .

(٨٣) المنصف ١١٨/١ - ١١٩ .

(٨٤) الأصوات المحلية : مثل : غاق ، لصوت الغراب ، وحاء وماء لصوت الشاء ، وجاه لزجر البعير ، أنظر المنصف ١٢٢/١ .

الأسماء مجهولة الأصل ، فهي مثل الألف التي في الحروف ، لايعرف أصلها في الاشتقاق ، فحكموا عليها بأنها أصلية لامنقلبة ولامزيدة (٨٥) . ولولا الاستقراء الدقيق للغة ، لما استطاع العلماء أن يضعوا تلك الضوابط والقواعد ، المنثورة في أبواب الإبدال والإعـلال ، وهي قواعد ثابتة لم يستطع أحـد من المعاصرين لنا أن ينقضها ، أو ينقض شيئاً يسيراً منها ، أو يستدرك عليها أيَّ شيءٍ كان .

واستقرى علماء اللغة أوزان الأفعال ، والمصادر ، واستطاعوا أن يحصروا تلك الأوزان في معان خاصة تشترك في الدلالة عليها كل الأفعال والمصادر الواقعة ضمن تلك الأوزان ، وإن اختلفت ألفاظها ، فوضعوا بإزاء كلّ وزن معنى ، أو أكثر من معنى ، وقد تشترك الأوزان المختلفة في الدلالة على معنى واحد ، قال سيبويه : « ومن المصادر التي جاءت على مثال واحد ، حين تقاربت المعاني ، قولك : النَّزَوان والنَّفَزان ، والقَفَزان ، وانما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع ، ومثله : العَسَلان ، والرَّتكان ، وقد جاء على فُعال ، نحو : النُّزاء والقُماص ، كما جاء عليه الصوت ، نحو : الصُراخ ، والنُّباح ؛ لأن الصوت قد تكلف فيه من نفسه ماتكلف من نفسه في النَّزَوان ونحوه ، . . . ومثل هذا (يعني ماجاء على وَزْن فَعَلان) : الغَلَيان ، لأنه زعزعة وتحرك ، ومثله : الغَثَيان ؛ لأنه تجيّش وتثوّرٌ ، ومثله : الخَطَران واللمَعان ؛ لأن هذا اضطراب وتحرك » (٨٦) . وهذه الملاحظة الاستقرائية التي أوردها سيبويه في كتابه ، ستبقى ضابطاً تخضع له هذه الأوزان التي أشار اليها في حديثه عن دلالة أوزان المصادر والأفعال على المعاني المختلفة ، وكتابه ثري بمثل هذه الملاحظة الاستقرائية (٨٧) .

---

(٨٥) المنصف ١/١٢٠ ، ١٢٨ .   (٨٦) الكتاب ٢/٢١٨ .

(٨٧) الكتاب ٢/٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢ ، ٢٢٣ .

وقد تتبع اللغويون والنحاة بعد سيبويه كلام العرب ، وأتموا مابدأه ؛ وقد كان ابن جني من أنشط العلماء الذين استقروا كلام العرب . وقد تناول في كتبه مباحث كثيرة تتصل بمعاني الأوزان ، أورد فيها ضوابط كثيرة . قال في كتابه المنصف وهو يتكلم على وزن (استفعل) : « ويقع استفعل في الكلام لمعان ، منها : الطلب ، نحو : استعتبته ، أي ، طلبت اليه العُتْبَى ، (أي الرضى) واستعفيته ، أيْ ؛ طلبت منه الإعفاء ، ويكون استفعلت للشيء تصبيه على هيئة ما ، نحو : استعظمته ، أي : أصبته عظيماً وقد تأتي استفعلت بمعنى : فعلت . . . نحو : مرّ واستمرّ ، وقرّ واستقرّ (٨٨) .

ولم يقف اللغويون والنحاة ، في استقرائهم أبنية الأفعال ، عند حدّ بيان معانيها ، بل تعدوا ذلك فحصروا أبنيتها ، ووضعوا لها ضوابط في غاية الدقة . فقد استقصوا مثلاً أوزان الأفعال ، وخلصوا الى أنّ الفعل الثلاثي المجرد ينحصر في ستة أبواب ، هي : فعَلَ يفعُلُ ، وفعَلَ يفعِلُ ، وفعَل ، يفعَلُ ، وفعِل ، يفعَل ، وفعُل ، يفعُل ، وفعِل ، يفعِلُ ، والرباعي ينحصر في باب واحد : فَعْلَلَ : يُفَعْلِلُ . وتوصلوا عن طريق الاستقراء أيضاً الى أن باب (فعَلَ ، يفعَلُ) بفتح العين في الماضي والمضارع ، ينحصر في الأفعال التي تكون عينها أو لامها حرفاً من حروف الحلق (٨٩) ، ولم يشذّ عن ذلك إلاّ أفعال قليلة ، استقراها العلماء ، وأوردوها في كتبهم ، قال ابن خالويه : « ليس في كلام العرب فعَلَ ، يفعَلُ ، مما ليس فيه حرف الحلق عيناً ، أوْ لاماً ، إلاّ عشرة أحرف : أبى ، يأبى ، وقلى ، يَقْلَى ، وجَبَى ، يجبَى ، (أيْ) جمع الماء في الحوض ، وسلى ، يَسْلَى ، وخظا ، يخظى ، اذا سمِن ، . . . وغضضت ، تغَضَ ، وبضضت ، تَبَضُ ، وقنط :

(٨٨) المنصف ٧٧/١ ، وانظر ٧٨/١ و ٨١ و ٩١ ، ٩٢ .

(٨٩) حروف الحلق ، هي : الخاء ، والحاء ، والعين ، والغين ، والهمزة ، والهاء . انظر اصلاح المنطق ٢١٧ .

يقنَط»، وغسَى الليل : يَغْسَى ، اذا أظلم ، وركن ، يركَنُ ، ولم يحك سيبويه إلا حرفاً واحداً ، وهو : أبى، يأبى ، لأنه لا خلاف فيه ، والبواقي مختلف فيها » (٩٠) .

واستقرى النحاة الفعل من حيث التعدي واللزوم ، فتوصلوا الى أن هناك أوزاناً خاصة باللازم ، وأوزاناً مشتركة بين المتعدي واللازم ، قال سيبويه : « ولما لايتعداك ضربٌ . .. لا يشركه فيه مايتعداك ، وذلك : فعُلَ ، يَفْعُلُ (بضم العين في الماضي والمضارع) نحو : كرُم، يكرُم ، وليس في الكلام فَعُلْتُهُ متعدياً » (٩١) . ثم قال : : « وفعل (٩٢) على ثلاثة أبنية ، وذلك فعَل ، وفَعِل ، وفَعُل ، نحو : قَتَل ، وازِم، ومكُث ، فالأولان مشترك فيهما المتعدي وغيره ، والآخر لما لايتعدى » (٩٣) .

ان الجهود التي بذلها اللغويون والنُّحاة في استقراء اللغة لم تكن منحصرة في جانب واحد من جوانب اللغة ، ولذلك اتسعت مباحثهم التي وضعوها عن طريق الاستقراء ، فهم لم يكتفوا برصد أبنية المفردات وبيان معاني تلك الأبنية ، ومايطرأ عليها من زيادة أو إبدال ، بل تجاوزوا ذلك، فوضعوا ضوابط لغوية كثيرة ، توصلوا اليها بدراستهم كلام العرب دراسة وصفيّة ، اعتمدوا فيها على الحصر والاستقراء ، ولم يكن للمنطق أو التعليل أو القياس أيّ أثر فيها ، وتُعَدُّ ظاهرة الوقف والابتداء مثالاً من أمثلة كثيرة لتلك الدراسة الوصفية الاستقرائية ، فقد لاحظ العلماء أن العرب لاتبدأ بالساكن ولا تقف

(٩٠) ليس في كلام العرب ٢٨ – ٢٩ ، وانظر اصلاح المنطق ٢١٧ ، والأفعال ، ابن القوطية ص ٣ ، والأفعال ، ابن القطاع ١/٨

(٩١) الكتاب ٢/٢٢٦ – ٢٢٧ .

(٩٢) يعني سيبويه بقوله : (فعل) الفعل الثلاثي المجرد .

(٩٣) الكتاب ٢/٢٢٧ .

على المتحرك (٩٤)، فاذا ماجاء الحرف الأول من الكلمة ساكناً ، ألحقوا في أول الكلمة همزة سموها همزة الوصل ، جعلوها سلماً للنطق بالساكن(٩٥) قال ابن جني : « إعلم أن ألف الوصل همزة تلحق في أول الكلمة توصلاً الى النطق بالساكن ، وهرباً من الابتداء به ، إذ كان ذلك غير ممكن في الطاقة » (٩٦) . وقد رصد العلماء مواقع هذه الهمزة في الكلام ، فخلصوا الى أنها تتردد كثيراً في الأفعال والمصادر ، نحو فعل الأمر من الثلاثي ، والخماسي. ومصادر الأفعال الخماسية والسداسية (٩٧) . وهذه الهمزة لاتقع في أوائل الأسماء التي ليست بمصادر مثل أسماء الفاعلين والمفعولين وأسماء الذوات الجامدة ، إلا أنّ هناك عشرةَ أسماء قد جاءت هذه الهمزة في أولها ، وقد جمعها العلماء عند استقرائهم كلام العرب ، وهي : ابن وابنة ، وامْرُؤ ، وامْرأة واثنان واثنتان واسم واسْت وايمن وابنم وهو بمعنى : ابن قال الشاعر :

وهل لي أمٌ غيرها إنْ تركتها

أبى الله الا أنْ أكونَ لها ابنما (٩٨)

وعلى الرغم من أن العلماء ، قد بذلوا جهوداً كبيرة في استقراء كلام العرب لم يتهيأ لأحد منهم أن يستقري اللغة استقراءً تاماً يستطيع أن يزعم معه انه لم يَفُتْهُ شيٌ من اللغة ، وذلك لأن العربية لغة واسعة ، ومواردها متشعبة ، فمن المحال أن يستطيع فردٌ مّا أن يلُمَّ بها (٩٩) ، مهما أوتي من قدرة

(٩٤) الخصائص ٣٢٨/٢ وشرح المفصل ، ٦٧/٩

(٩٥) العين ٤٩/١ .

(٩٦) المنصف ٥٣/١ .

(٩٧) المنصف ٥٦/١ ، ٦٥/١ ، وسر صناعة الإعراب ابن جني ، ١٢٦ – ١٢٧ ، القاهرة ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٤ م .

(٩٨) الكتاب ٢٧٥/٢ ، والمنصف ٥٨/١ ، وسر صناعة الاعراب ١٢٩ – ١٣٠ . والصاحبي ١٢٩ .

(٩٩) تهذيب اللغة ٤/١ والصاحبي ٢٦ والمزهر ٦٤/١ .

وعلم ، ولهذا رأينا اللاحق منهم يستدرك على السابق ، فقد استُدْرِكَ مثلاً على سيبويه ، وهو من أوسع العلماء استقراءً للعربية ، استدرك عليه أبو بكر الزبيدي في باب أبنية مفردات العربية ، ووضع في ذلك كتاباً سماه : « كتاب الاستدراك على سيبويه في كتاب الأبنية » ، أورد فيه الأبنية التي وقعت في كتاب سيبويه ، وأعقب كل بناء بذكر الأبنية الزائدة على أبنية سيبويه ، قال في مقدمة استدراكه : « وكان جلة المشايخ من أهل النحو فيما روينا عنهم يزعمون ، أن ما ألّفه سيبويه يستوفي جميع أبنية الكلام ، ماخلا ثلاثة أبنية ، شذت عن جميعه ، فاستقصيت البحث عن ذلك ، وأنعمت النظر فيه ، فألفيت نحو الثمانين بناءً لم يذكرها سيبويه في أبنيته . . . فرأيت أن أُفرد في الأبنية كتاباً ألخّص ذكرها فيه » (١٠٠) .

وقد كانت استدراكات الزبيدي نوعين ، أحدهما يتعلق بأصول أبنية الكلام ، والآخر يتعلق بفروع الأبنية ، فقد ذكر سيبويه مثلاً أن وزن (فُعِل) لم يرد في الأسماء ، لأنه وزن خاص بالفعل الثلاثي المجرد المبني للمجهول ، فاستدرك عليه الزبيدي ، فنقل عن أبي حاتم عن الأخفش أنه قد جاء وزن (فُعِل) في الأسماء ، حيث قالوا (دُئِل) ، وأنشد :

جاؤوا بجيش لو قيس مُعْرَسُهُ

مــا كان الا كمُعْرَس الدُّئِلِ

ونقل أيضاً أنه يقال للاست رُئِم ، على مثال فُعِل (١٠١) .

وذكر سيبوية أنه لم يرد في الأسماء أو الصفات على وزن (فِعِل) بكسر الفاء والعين غير (إبِل) (١٠٢) ، فاستدرك عليه الزبيدي ، ونقل عن الأخفش أنه جاء في كلامهم (امرأةٌ بِلِزٌ) (١٠٣) و (جِبِرة) للصفرة عــلى

(١٠٠) الاستدراك ، ١ . (١٠١) الاستدراك ، ٦ .

(١٠٢) الكتاب ٣١٥/٢ .

(١٠٣) امرأة بلز : في القاموس (البلز) بكسرتين القصير ، وامرأة بلز الضخمة أو الخفيفة

الأسنان (١٠٤) . وذكر سيبويه أنه لم يأت على وزن (فِعَل) بكسر الفاء وفتح العين في الصفات غير (عِدَى) (١٠٥) أي : أعداء ، فاستدرك عليه ، فقال : « قد جاء صفة غير عِدَى ، قالوا : مكان سِوَى ، أي : مستوٍ . . . وماء رِوَى ، وماء صِرَى » (١٠٦) .

ولولا الاستقراء الواسع للغة الذي قام به أبو بكر الزبيدي لما استطاع أن يستدرك شيئاً على سيبويه ، وان كانت جل استدراكاته لاتعدو أن تكون أبنية لم يرد على مثالها في كلامهم الا الشيء اليسير وغالبها مهجورة لم يتردد استعمالها في العربية (١٠٧) . ولعل استقرار تدوين اللغة بعد سيبويه ، وتوفر مصادرها (١٠٨) ، هو الذي أتاح للزبيدي وغيره من العلماء أن يستدركوا على سيبويه بعض مافاته .

وممن استدرك عليه أيضاً ابن خالويه ، قال : « ليس في كلام سيبويه هذه الأبنية ، أغفلها ، الزِّيزَم : صوت الجن ، والهزنبزان : الرجل السيّء الخلق ، وشمنصير : اسم أرض ، والدَّرْداقس : عظم في الرقبة »(١٠٩). وأورد أمثلة أخرى كلها من مهجور اللغة وغريبها ، وليس فيها بناء من الأبنية المعتمدة .

واستدرك عليه كذلك ابن جني ، وعقد في كتابه « الخصائص » مبحثاً تناول فيه فوائت الكتاب ، قدم له بتوطئة أطرى فيها سيبويه واعتذر له ، ووصف الأبنية التي استدركت عليه بأنها قليلة ، وأنه لم يَفُتْهُ من اللغة على سعتها الاّ أحرف « تافهة المقدار متهافتة على البحث والاعتبار ، ولعلها أو أكثرها

(١٠٤) الاستدراك ، ٦ .

(١٠٥) الكتاب ٣١٥/٢ .

(١٠٦) الاستدراك ، ٦ .

(١٠٧) أبنية الصرف في كتاب سيبويه ، ٤٣٩ .

(١٠٨) أبنية الصرف في كتاب سيبويه ٤٣٩

(١٠٩) ليس في كلام العرب ١٧٤ ، و ١٧٥ – ١٧٧ ، ٦٥ .

(١١٠) الخصائص ١٨٥/٣ – ٢١٨ .

مأخوذة عمن فسدت لغته » (١١١) .

وليس سيبويه هو أول أو آخر من استدرك عليه ، فقد دأب علماء اللغة على أن يستدرك بعضهم على بعض ، على وفق مايتم لهم من استقراء . فمثلاً استدرك الفيروزآبادي على من سبقه من أصحاب المعاجم ، وخاصة الجوهري . فذكر في مقدمة قاموسه « أنه فاته نصف اللغة أو أكثر ، إمّا باهمال المادة، أو بترك المعاني الغريبة النادة » (١١٢) . وأحصى محمد مرتضى الزبيدي في مقدمة شرحه القاموس المواد التي استدركها الفيروزآبادي على الصحاح فكانت عشرين ألف مادة (١١٣) .

وإن عقد أيّ موازنة بين أبواب المعجمين تبين لنا نسبة المفردات التي استدركها الفيروزآبادي على الجوهري ، ولنأخذ على ذلك مثلاً باب الهمزة ، ولننظر من فصول : الهمزة ، والباء ، والتاء ، والثاء من هذا الباب في كلا المعجمين ، سنجد أن صاحب القاموس قد استدرك على الجوهري عشرة ألفاظ هي : « الأباءة ، أتأة ، الأثئية ، أزأ ، أكأ ، الأيأة ، بتأ ، بثأ ، الثِرْطئة ، ثاءة » (١١٤) .

واذا ماوضعنا في حسابنا قلة المفردات العربية التي وردت في هذه الفصول في جميع المعاجم العربية ، علمنا أن الفيروزآبادي قد أفاد من الاستقراء إفادة عظيمة في اثراء المعجم العربي ، فلولا تتبعه كلام العرب في مظانه المختلفة ، واستقراؤه جمهرة كبيرة مما دون منه لما استطاع أن يقدم لنا ذلك المعجم العظيم الذي يعد من أوسع المعاجم العربية .

ومع أن صاحب القاموس قد توسع في الاستقراء والتتبع ، ورام أن يجعل

---

(١١١) الخصائص ١٨٦/٣ .
(١١٢) القاموس المحيط ٣/١ .
(١١٣) تاج العروس ٢٣/١ .
(١١٤) الصحاح ، والقاموس : باب الهمزة ، فصل الهمزة ، والباء ، والتاء ، والثاء .

قاموسه قاموساً للغة ، فقد فاته شيء من اللغة ، فلم يدونه في معجمه ، وقد نبه السيوطي على ذلك ، فقال : « ومع كثرة ما في القاموس من الجمع للنوادر والشوارد ، فقد فاته أشياء ظفرت بها في أثناء مطالعتي لكتب اللغة » (١١٥) .

ولما شرح محمد مرتضى الزبيدي « القاموس » عمد الى استدراك مافات صاحبه من مواد أو ألفاظ ، فذكر عقب كل مادة الألفاظ التي استدركها ، وندر أن تمر مادة لغوية في التاج ، ولانجد الزبيدي قد استدرك فيها شيئاً على القاموس (١١٦) ، وعمله هذا إنما يمثل جزءً يسيراً من الاستقراء الواسع الذي قام به علماء اللغة على ممر العصور المختلفة ، واستطاعوا عن طريقه أن يضبطوا معاني مفردات اللغة ، ومايعرض لها من ضوابط واوضاع مختلفة معتمدين في ذلك على التتبع والرصد ، فوصفوا اللغة وصفاً دقيقاً ، وأحاطوا بأبنية مفرداتها ، وما يطرأ عليها من زيادة ، أو تغيير في أصواتها ، وقد وضعوا موازين دقيقة ضبطوا فيها كلام العرب ، وتعرفوا مايصح أن يأتلف من مفردات أصواتهم وما لايصح ، واستطاعوا بذلك أن يفرقوا بين كلام العرب الأصيل ، وماتسرب الى لحنهم من كلام دخيل ، سرى اليهم من مخالطتهم غيرهم من الأمم ، وان النتائج التي قدمها علماء اللغة في دراستهم الظواهر اللغوية مثل الأضداد والترادف والاشتراك والاتباع والإعلال والإبدال وغير ذلك لخير شاهد على مدى تمسكهم بالاستقراء منهجاً وتطبيقاً ، وان عناية علماء اللغة والنحو بالمنطق والتعليل والقياس لم تحل دون تمسكهم بالمنهج الوصفي الاستقرائي في دراسة اللغة وتسجيل ظواهرها .

---

(١١٥) المزهر ١٠٣/١ .

(١١٦) انظر مثلا المواد الآتية في التاج : (الأشاء) ، و (الألاء) ، و (بأبأ) ، و (بدأ) ، و (بذأ) ، و (برأ) ، و (بطؤ) ، و (بكأ) ، و (باء) .

دراسة في « مختار الصحاح » للرازي

الدكتور هشام طه شلاش

كلية التربية / جامعة بغداد

مقدمة :

لم يصل معجم من المعجمات العربية في الشهرة الى ما وصل اليه الصحاح لأبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة اربعمائة هجرية . ويعود ذلك الى سببين :

السبب الأول : النظام الذي اتبعه الجوهري في تأليف معجمه . اذ اتبع نظام الباب والفصل . فالحرف الأخير من الكلمة هو الباب والحرف الأول منها هو الفصل. وقد استقى الجوهري نظامه هذا من نظامين : النظام الأول هو النظام الألفبائي الذي ابتكره نصرُ بن عاصم الليثي المتوفى سنة تسع وثمانين هجرية . والنظام الثاني هو نظام التقفية الذي وضعه اليمان بن أبي اليمان البندنيجي المتوفى سنة مائتين وأربع وثمانين هجرية ، اذ وضع كتابه « التقفية » في اللغة مرتبا موادّه المفسّرة بحسب قافية اللفظ (١) . وقد جمع الجوهري بين هذين النظامين في صحاحه . ومع أنّ ابا عمرو الشيباني أولُ من ألّف معجماً على النظام الألفبائي الذي ابتدعه نصر بن عاصم وهو كتاب « الجيم » ، وأنّ البنديجي أوّل من ألّف معجماً على نظام التقفية ، يغلب على الظنّ أنّ الجوهري لم يتأثر بمعجم سبقه

(١) مجلة المورد /م ٥ عدد ٤ سنة١٩٧٦ ـ مقال بعنوان « التقفية في اللغة للبندنيجي » بقلم خليل ابراهيم العطية ص ٣٠١ – ٣٠٥ .

بقدر تأثّره بديوان الأدب لخاله اسحاق بن ابراهيم الفارابي المتوفّى سنة ٣٥٠ هجرية ، الذي جمع بين النظام الألفبائي ونظام التقفية . وكان ديوان الأدب أشبه بمعجمه الصحاح الا أنّ الفارابي سار فيه على نظام الأبنية علاوة على سيره على النظامين السابقين . ولذلك يمكن أنْ نعُدّ المنهج الذي سار عليه الجوهري منهجاً متطوراً شعر فيه الجوهري بقصور الأنظمة السابقة في التأليف المعجمي فألّف معجمه المشهور « الصحاح » . يُزاد على ذلك أنّ ظهور نظام الباب والفصل في التأليف المعجمي كانَ ردّ فِعْلٍ للمنهج المعجمي الذي أُلِّف على أساسه كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفّى سنة مائة وثمانين هجريّة. اذ اتبع هذا المعجم نظام المخارج الصوتية لذا سمّى الخليل معجمه هذا معجم العين لأنّه بدأ بحرف العين وهو من أحرف الحلق . ومخارج هذه الأحرف أعمق المخارج الصوتية . ثم سار هذا المعجم على نظام التقليب للفظة الواحدة ، فاذا استوفى معاني الألفاظ بعد تقليبها انتقل الى مخرج آخر أقلّ عمقاً . وهكذا الأمر في بقية المخارج . وقد اتّبع هذا النظام معجميون آخرون منهم أبو علي القالي المتوفى سنة ٣٥٦ ﻫ في كتابه البارع ، والأزهري المتوفى سنة ٣٧٠ ﻫ في كتابه التهذيب وابن عبّاد المتوفى سنة ٣٨٥ ﻫ في كتابه المحيط وابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨ ﻫ في كتابه المحكم .

وقد جرت محاولات للمتأخّرين عن عصور هؤلاء الأئمة لتطوير هذه الطريقة وتسهيل أمرها على الباحثين ، ولكن هذه المحاولات لم تجدِ نفعاً لتمسّك أصحابها بنظام التقاليب وبقيت طريقة الخليل ومقلّديه صعبة المتناول على المتخصصين بعلوم اللغة وعلى غيرهم من الدارسين .

لذلك فُضِّل صحاح الجوهري على العين وعلى غيره من المعجمات في أمور كثيرة منها سهولة ترتيبه وسهولة الانتفاع به . قال ياقوت في معجم الأدباء: (٢)

(٢) ٢/٢٦٨ طبعة مرجليوث .

« وهذا الكتاب هو الذي بأيدي الناس اليوم وعليه اعتمادُهم ، أحسن تصنيفه وجوّد تأليفه وقرّب متناوله . . . يدلُّ وضعه على قريحة سالمة ونفس عالمة ، فهو أحسنُ من الجمهرة وأوقع من تهذيب اللغة وأقربُ متناولاً من مجمل اللغة .. » .

وقال ابن منظور في لسان العرب (٣) : « ورأيتُ أبا نَصْر اسماعيل بن حمّاد الجوهري قد أحسن ترتيب مختصره وشهره بسهولة وضعه فخفّ على الناس أمره فتناولوه وقرُب عليهم مأخذه فتداولوه وتناقلوه » .

السبب الثاني : التزام الجوهري فيه إيراد ما صحّ من مفردات اللغة في حين أنّ غالب المعجمات المؤلفة جمعت ما صحّ من اللغة وما لم يصحّ ونبّهت على النوعين في مواطن ورودها ولهذا سمّى الجوهري كتابه « الصحاح » . وقد نبّه الجوهري على هذه الحقيقة في مقدّمة كتابه اذ قال (٤) : « أوْدَعتُ هذا الكتاب ما صحّ عندي من هذه اللغة التي شرّف الله منزلتها وجعل علم الدين والدُّنيا منوطاً بمعرفتها على ترتيب لم أُسبقْ إليه وتهذيب لم أُغلبْ عليه . . . بعد تحصيلها بالعراق رواية واتقانِها درايةً ومشافهتي بها العَرب العاربة في ديارِهم بالبادية . . . » .

لقد اشتُهِر الصحاح شهرة كبيرة بين العلماء فعبّروا عن شدة اعتزازهم به واعجابهم بتأليفه ، وأشاروا الى قيمته اللغوية ومكانته بين كتب اللغة (٥) : قال السيوطي في المزهر (٦): « واعظم كتاب أُلِّف في اللغة بعد عصر الصحاح كتاب المحكم والمحيط الأعظم لأبي الحسن عليّ بن سيده الاندلسي الضرير ثم كتاب العُباب للرضيّ الصاغاني . . . ثم كتاب القاموس للامام مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي شيخ شيوخنا، ولم يصل واحدٌ من هذه الثلاثة

(٣) المقدمة
(٤) الصحاح ص ٣٣ .
(٥) انظر التقريظات التي جمعها أحمد عبدالغفور عطار في مقدمة الصحاح ١١٢-١١٧
(٦) ١/١٠٠ - ١٠١ .

في كثرة التداول الى ما وصل اليه الصحاح ولا نقصت رُتبةُ الصحاح ولا شهرته بوجود هذه ، وذلك لالتزامه ما صحّ فهو في كتب اللغة نظير صحيح البخاري في كتب الحديث وليس المدار في الاعتماد على كثرة الجمع بل على شرط الصحة».

ويقول الزَّبيدي في مقدّمة التاج عند ذكره المصادر التي اعتمد عليها في تأليف معجمه : «أوّل هذه المصنّفات وأعلاها عند ذوي البراعة وأغلاها كتاب الصحاح للامام الحجّة أبي نصر الجوهري » (٧) .

ومما يدلّل على قيمة الصّحاح وأثره في الدراسات اللغوية الدراسات الكثيرة التي وضعت حوله ،إذ اهتَمّ به العلماء فألّفوا حوله وأكملوه ، ونقدوه ، وكتبوا عليه الحواشي والتعليقات واختصروه ونقلوه إلى اللغات الأخرى (٨) .

يقول احمد عبدالغفور عطّار (٩) : : « وكل هذا يدلُّ على ما لقِي الصحاح من المجد والشهرة والعناية والاهتمام ما لم يلقه معجم سواه . وألوان النشاط الحيّ الذي بعثه ألوانٌ جليلة رائعة ، والنواحي التي أثّر فيها كثيرة أعظمها التعليقات والحواشي والتكملات والمستدركات والمقارنات والنقد والدفاع والجمع بينه وبين غيره من المعجمات ، والمختصرات والترجمات والنظم ». وقد اشار العطّار (١٠) الى مجموعة كبيرة من الكتب المؤلّفة حول الصحاح في الموضوعات التي ذكرها قبل قليل .

ومن الاعمال اللطيفة في هذا المجال اختصار الإمام محمد بن أبي بكر ابن عبدالقادر الرازي صحاح الجوهري الذي اقتصر فيه على ما لا بُدّ منه في الاستعمال وسمّاه « مختار الصحاح »

---

(٧) تاج العروس طبعة الكويت — المقدمة ٣-٤ .

(٨) ذكر أحمد عبدالغفور عطار في مقدمة الصحاح ص ١٥٦ أسماء اربعين عالماً من هؤلاء.

(٩) الصحاح — المقدمة ص ١٥٧ .

(١٠) الصحاح — المقدمة ١٥٧ — ١٧٢ ومن ١٨٠-٢١٢ .

مؤلّف مختار الصّحاح :

هو الامام زين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي هكذا ضبط اسمه ولقبه وكنيته شيخه الصدر القُونَوي المتوفى سنة ٦٧٣ ﻫ عندما ذيّل بتوقيعه سماع الرازي عليه كتاب جامع الأصول في أحاديث الرسول (١١).

أحاط سيرته كثير من الغموض شمل ألقابه وكناه ومؤلفاته وتاريخ وفاته . وأغفلت أكثر كتب الطبقات ترجمته فجاءت مرتبكة الأحداث والمعالم (١٢).

وأشار عبدالله مخلص في مقاله الذي حقّق فيه تاريخ وفاة صاحب المختار الى سبب اغفال أصحاب الطبقات ترجمة الرازي فقال : « انّ الرجل هبطَ مصر وشاهد مشاهدها وجاء الشام زائراً ثم رحل عنها بدليل ما شاع في مصر عن وفاته بدمشق لمّا غاب عنها . وانّه كان في قونية سنة ٦٦٦ﻫ والظاهر أنّه كان مقيماً فيها أو فيما اليها من بلاد الروم فخفي أمره على مترجمي العَرب وبقيت مؤلفاته مخبوءة في احدى زواياها » (١٣) .

يُنسب الرازي الى مدينة الريّ وهي مدينة كبيرة من بلاد الدَّيلم بين قومس والجبال (١٤) . ولذلك قيل في نسبه : إنّه على غير القياس .

جاء الى مصر وأقام بها زمناً وجال في ربوعِها وأخذ عن بعض مشايخها وأخذ عنه طلبتُها (١٥) .

---

(١١) انظر مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٤٢٥/٢٢ إذ نقل عبدالله مخلص محقق روضة الفصاحة للرازي هذا السماع من كتاب جامع الأصول لابن الأثير الجزري .

(١٢) راجع المقال الذي كتبه عبدالله مخلص في مجلة المجمع العلمي العربي م ٨/ ٤١٦-٦٦٥.

(١٣) مجلة المجمع العلمي العربي ٦٥٨/٨ .

(١٤) مجلة المجمع العلمي العربي ٦٥٨/٨ نقلا عن الأنساب للسمعاني الورقة ٢٤٢ الوجه الثاني.

(١٥) مجلة الرسالة السنة الثامنة ١٩٤٠ مقال بعنوان مختار الصحاح وقيمة العناية به حسن السندوبي ١٨٢١ .

ووصف الرازي بركة الحبش التي بالقاهرة بهذين البيتين :

اذا زيّن الحسناء قُرطٌ فهذه   يزينُها من كل ناحية قرْطُ
ترقرق فيها أدمعُ الطّلِّ غُدوةً   فقلتُ لآلٍ قد تضمّنَها قرْطُ

قال المقريزي : وهو من شعر العلماء الذي لا يعرِّج عليه الأدباء (١٦) .

ثم ذهب الرازي الى الشام وطوّف في أنحائها . ومنها دخل بلاد الأناضول وأقام في قونية وبها صحب الشيخ العالم المحقّق صدر الدين القُونَوي وعليه سمع كتاب جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير الجزري الموصلي الى سنة ٦٦٦ هـ (١٧) .

كان لغوياً فقيهاً صوفياً مفسِّراً أديباً (١٨) .

ومما يدلُ على مكانته العلمية في نظر كبار العلماء في زمانه ما ذكره عنه شيخُه الصدر القُونَوي اذ قال فيه : « الشيخ الامام العالم الفاضل سيّد العلماء وقدوة الفضلاء محيي السُّنّة ناصر الشريعة زين الدين أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي مدّ الله في حياته » (١٩) .

لقد حقّق عبدالله مخلص تاريخ وفاته في مقال طويل في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق وخرج بخلاصة هي أنّ الرازي توفّي بعد سنة ٦٦٦هـ (٢٠) ويظهر أنّ الزّركلي في الاعلام (٢١) نقل تاريخ وفاته منه .

وعاد عبدالله مخلص بعد أربعة عشر عاماً ليُصحِّح ما سبق أنْ رجّحه في وفاته قال : « لم يترجم له أحدٌ من العلماء واشتبه عليهم أمره فظنّ بعضهم أنه توفي

(١٦) الرسالة ١٨٢١/٨ نقلا عن خطط المقريزي .
(١٧) الرسالة ١٨٢١/٨ .
(١٨) معجم المؤلفين – عمر رضا كحالة – ١١٢/٩ .
(١٩) مجلة المجمع العلمي العربي ٤٢٥/٢٢ .
(٢٠) مجلة المجمع العلمي العربي ٦٤١/٨–٦٦٥ .
(٢١) ٦ / ٢٧٩ .

في سنة ٦٦٠ هـ وظن آخرون أنّه مات في سنة ٧٦٠ هـ » وقال بعد ذلك : « توفّي في قُونيه أو ما إليها وأنّه حضر بعض السماع على الصـدر القونوي وهو محمد بن اسحاق بن محمّد بن يوسف بن علي المتوفّى سنة ٦٧٣ هـ وهذا الأخير هو ربيب محيي الدين بن عربي دفين دمشق المتوفى سنة ٦٣٨ هـ » . وأشار بعد ذلك الى كتاب روضة الفصاحة للرازي فذكر أنّه ألّفه برسم السلطان المنصور نجم الدين غازي بن قرا أرسلان الأرتقي للذي ارتقى عرش آبائه في ملك ماردين سنة ٦٩١ هـ وتوفي سنة ٧١٣ هـ .

ولذلك خرج عبدالله مخلص بنتيجة جديدة قال فيها : « وأراني – بعدما اطّلعت على كتاب روضة الفصاحة الذي أُلّف برسم المنصور نجم الدين غازي بن قرا ارسلان الارتقي ملك ماردين – مضطراً بحكم هذه الوثيقة الى تصحيح تاريخ وفاة المؤلّف والقول بأنّه تُوفي بعد سنة ٦٩١ هـ بدلاً من ٦٦٦ هـ التي رجّحتها في مقالي السابق والله أعلم بالحقائق » (٢٢) .

وقد أشار أحمد عبدالغفور عطّار الى أنّ للرازي تاريخاً لطيفاً من أوّل الخلافة الاسلامية الى القرن الثامن وأنّ منه نسخة في المكتبة الأهلية بباريس(٢٣) فاذا كان هذا صحيحاً فهو يعني أنّ الرازي توفّي بعد سنة سبعمائة هجرية .

وقد خلّف الرازي مجموعة من الكتب في علوم مختلفة أشهرُها :

١ـ الأبيات التي يُتمثّل بها في الأدب .

منه نسخة مخطوطة في مكتبة كلية اكسفورد في انكلترة (٢٤) .

٢ـ أسئلة القرآن وأجوبتُها :

وهي ألفٌ ومائتا سؤال لخّصها الشيخ زكريا بن محمد الانصاري وزاد

(٢٢) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٤٢٦/٢٢ .

(٢٣) مقدمة صحاح الجوهري ٢٠٢ .

(٢٤) مجلة المجمع العلمي العربي ٦٥٩/٨ .

عليها (٢٥) . والكتاب مطبوع في مجلد واحد (٢٦) باسم أنموذج جليل في أسئلة غرائب آي التنزيل بهامش كتاب اعراب القرآن لأبي البقاء العكبري . ومن الأنموذج خمس نسخ مخطوطة في دار الكتب المصرية باسم أسئلة وأجوبة متعلقة بالقرآن الشريف (٢٧) .

٣- تاريخ لطيف من أوّل الخلافة الإسلامية الى القرن الثامن منه نسخة في المكتبة الأهلية بباريس (٢٨) .

٤- تحفة الملوك والسلاطين :

جاء في رسالة صغيرة في أسماء المؤلفات السياسية الاسلامية وضعها بالتركية السيّد محمد طاهر البرسومي من علماء العثمانيين الأعلام أنّ لمحمد بن أبي بكر الرازي مخطوطة في خزانة ايا صوفيا في القسطنطينية اسمها تحفة الملوك والسلاطين (٢٩) .

وجاء في كشف الظنون (٣٠) : « تحفة الملوك في الفروع لزين الدين محمد ابن أبي بكر الرازي الحنفي . وهو مختصر في العبادات مشتمل على عشرة كتب الأول في الطهارة والثاني في الصلاة والثالث في الزكاة والرابع في الحج والخامس في الصوم والسادس في الجهاد والسابع في الصبر والثامن في الكراهية والتاسع في الفرائض والعاشر في الكسب .

والواضح تماماً أن الكتاب كما وضعه حاجي خليفة من كتب الفقه لا من الكتب السياسية كما وصفه محمد طاهر البرسومي .

(٢٥) كشف الظنون ٩٢/١ .
(٢٦) هدية العارفين ١٢٧/٢ .
(٢٧) مجلة المجمع العلمي العربي ٦٤٦/٨ .
(٢٨) مقدمة الصحاح - العطار ٢٠٢ .
(٢٩) مجلة المجمع العلمي العربي ٦٥٧/٨ .
(٣٠) ٣٧٤/١ .

٥- كتاب التوحيد :

نقل عنه الدميري في حياة الحيوان في آخر ترجمة الجنّ (٣١) .

٦- حدائق الحقائق في المواعظ (٣٢) :

وصفه أحمد تيمور (٣٣) بما يأتي : « هو مجموع في ٣٧ صفحة جمعه المؤلِّف من كتاب الله تعالى وسنّة رسوله (ص) . . . وكلمات العارفين . وهو في الأخلاق والمواعظ ويغلب عليه المشرب الصوفي وقد جعله في خمسة وعشرين باباً » .

منه نسخة في الخزانة التيمورية بالقاهرة (٣٤) .

٧- دقائق الحقائق في التصوّف (٣٥) .

٨- دوحة البلاغة :

ذكره الرازي في كتابه روضة الفصاحة وقال فيه : إنّه ألّفهُ في الفنون الثلاثة التشبيه والاستعارة والتورية (٣٦) .

٩- الذهب الابريز في تفسير الكتاب العزيز (٣٧) .

١٠- روضة الفصاحة في علم البيان :

قال المؤلِّف (٣٨) في أوله : « أحببتُ أن أضع فيه مختصراً مُسمّى روضة الفصاحة جامعاً بين الايجاز المعجز والإعجاز الموجز والأمثلة الفائقة

---

(٣١) حياة الحيوان ١٩٥/١٠ وانظر مقدمة الصحاح للعطار ٢٠٢ .
(٣٢) هدية العارفين ١٢٧/٢ .
(٣٣) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٦٥٧/٨ نقلا عن رسالة لأحمد تيمور .
(٣٤) مجلة المجمع العلمي العربي ٦٥٩/٨ .
(٣٥) هدية العارفين ١٢٧/٢ ، ومقدمة الصحاح للعطار ٢٠٢ .
(٣٦) مجلة المجمع العلمي العربي ٤٢٦/٢٢ .
(٣٧) مجلة المجمع العلمي العربي ٦٤٦/٨ .
(٣٨) انظر روضة الفصاحة في علم البيان للرازي تحقيق عبدالله مخلص . المنشورة في مجلة المجمع العلمي العربي ٤١٩/٢٢ .

والأشعار الرائقة والعبارات الرشيقة والاشارات الدقيقة لم يُوضع مثله في شرف نثره ونظمه على صغر قدره وحجمه ليكون سبباً لاحياء معالم هذا العلم ورسومه ووسيلة إلى اظهار مضمره ومكترمه » .

وقد ألّفه برسم السلطان المنصور نجم الدين غازي بن قرا أرسلان الارتقي الذي ارتقى العرش في ملك ماردين سنة ٦٩١ هـ وتوفي سنة ٧١٣ هـ (٣٩) .

١١ـ غريب القرآن :

ذكر فيه مؤلّفه أنّ طلبة العلم وحملة القرآن سألوه أن يجمع لهم تفسير غريب القرآن فأجاب ورتّبه ترتيب صحاح الجوهري وضمّ فيه شيئاً من الاعراب والمعاني وفرغ من تأليفه سنة ٦٦٨ هـ (٤٠) .

١٢ـ كنوز البراعة في شرح المقامات الحريريّة (٤١) .

منه نسخة بدار الكتب العمومية (٤٢) .

ومنه نسخة أخرى في دار الكتب المصرية (٤٣) .

١٣ـ مختار الصحاح :

وهو موضوع الدراسة الخاصة التي نعقدها في هذا البحث .

١٤ـ معاني المعاني :

يحتوي الكتاب على عشرة فصول . وفيه مختارات شعرية اصطفاها من مائة ألف بيت (٤٤) .

---

(٣٩) مجلة المجمع العلمي العربي ٨/٦٤٦ و ٢٢/٤١٩ .
(٤٠) كشف الظنون ٢/١٢٠٨ .
(٤١) هدية العارفين ٢/١٢٧ .
(٤٢) ايضاح المكنون ـ البغدادي ١/٤٧٥ .
(٤٣) انظر مجلة المجمع العلمي العربي ٨/٦٥٩ .
(٤٤) مقدمة الصحاح للعطار ٢٠٢ .

١٥– هداية الاعتقاد في شرح بدء الأمالي (٤٥).

مختار الصحاح :

لم يكن مختار الصحاح الكتاب الوحيد الذي اختصر فيه مؤلفه صحاح الجوهري إذ سبقه إلى هذا العمل بعض اللغويين وتلاه آخرون (٤٦) . ولكن لم يُشتهر مختصر من مختصرات الصحاح بمثل ما اشتهر به مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي . ولعلّ سبب هذه الشهرة هو أنّ مختار الصحاح للرازي لم يكن كغيره من المختصرات إذ برزت فيه شخصية الرازي واضحة ، فهو ينقد ويستدرك ويعقّب ويعلّق ويستشهد ويفسّر معتمداً في ذلك على ثقافته الخاصة أحياناً أو ناقلاً ذلك من كتب اللغة المعروفة وفي مقدّمتها تهذيب اللغة للازهري .

وهناك سبب آخر لهذه الشهرة هو ما وضحه الرازي في مقدّمة كتابه عندما تحدّث عن الدوافع التي دفعته إلى هذا التأليف وعندما تحدث عن منهجه فيه ، إذ قال : « واقتصرتُ فيه على ما لا بدّ لكلّ عالم فقيه أو حافظ أو محدّث أو أديب من معرفته وحفظه لكثرة استعماله وجريانه على الألسن مما هو الأهمُّ فالأهمّ خصوصاً ألفاظ القرآن الكريم والأحاديث النبويّة واجتنبت فيه عويص اللغة وغريبها طلباً للاختصار وتسهيلا للحفظ» (٤٧) .

ولذلك يمكن أنْ تلخّص أسباب شهرة المختار بما يأتي :

١– اقتصاره على ما كثر استعماله وجرى على الألسن في زمانه وفي مقدّمة ذلك ألفاظ القرآن الكريم والحديث النبوي .

٢– اجتنابه عويص اللغة وغريبها .

---

(٤٥) هدية العارفين ١٢٧/٢ .

(٤٦) انظر كشف الظنون ١٠٧٢/٢ – ١٠٧٣ والمعجم العربي : حسين نصار ٥١٠/٢–٥١١ . ومقدمة الصحاح للعطار ١٩٨–٢٠٧ .

(٤٧) مختار الصحاح – المقدمة ٣ .

٣- استدراكه الفوائد الكثيرة من تهذيب الأزهري وغيره من أصول اللغة الموثوق بها .

٤- نقده وتفسيره لمواد الصحاح في مواضع كثيرة من كتابه مما أبرز شخصيته بصورة واضحة وجعل لكتابه قيمة كبيرة بين كتب اللغة المختصرة .

وبسبب الشهرة الكبيرة التي نالها المختار ، أفاد منه قسم من علماء اللغة في أعمالهم فاختصره داود بن محمد القارصي المتوفى بعد سنة ١١٧٠ هـ وسماه « مختار مختار الصحاح » . واختصره أيضاً عبد الرحمن بن عيسى ابن مرشد العمري الهمذاني الحنفي المتوفى سنة ١٠٣٧ هـ وسماه « صفو الراح من مختار الصحاح » (٤٨) . وقد بين الهمذاني قيمة المختار ومكانة مؤلفه في زمانه . فقد جاء في مقدمة مختصره قوله : « ولم اتتبع الأصل - يعني الصحاح - روماً لسرعة التحصيل فان تتبع الأصل يحتاج إلى صرف زمان طويل مع كثرة الأشغال وتشتت البال . على أن المختصر - يعني الرازي - رحمه الله قد انتقى ما انتقى حسب نظره الصائب وفهمه الثاقب وأتى (٤٨) لي بمثل ما سلك مع فهمي القاصر وذهني الفاتر فلذلك عولتُ عليه ووجهتُ وجه الاعتماد عليه » (٤٨ أ) .

وأفاد منه السيد محمد بن حسن بن علي المتوفى سنة ٨٦٦ هـ في كتابه الجامع إذ استقل مادة المختار ورأى أن المؤلف ترك أموراً لغوية لازمة فأتى بمادة المختار وزاد عيها ما أهمله المؤلف (٤٩) .

وأفاد منه بير محمد بن يوسف القُونوي الأنقروي الرومي القرماني الأركلي المعروف بقرة بيري المتوفى سنة ٨٨٦ هـ أو ٨٦٦ هـ وألف كتابه

(٤٨) انظر المعجم العربي ٥٠٨/٢ ومقدمة الصحاح للعطار ٢٠٦ .

(٤٨ أ) كلامه منقول من المعجم العربي ٥٠٨/٢ .

(٤٩) المعجم العربي ٥٠٨/٢ .

« ملتقط صحاح الجوهري والملحق بمختار الصحاح » (٥٠) .

لقد ألّف الرازي مؤلفات متعدّدة في فنون مختلفة ، ولكنّ خيرَ مؤلفاته هو « مختار الصحاح » الذي عُرِف واشتهر به . وقد انتهى الرازي من تأليفه عشيّة يوم الخميس غرة شهر رمضان ليلة الجمعة سنة ٦٦٠ هـ . وقد نقل حاجي خليفة (٥١) هذا التاريخ عن المؤلف الذي ذكر ذلك في آخر كتابه ، ومما يؤيد المنقول ما ذكره عبد الله مخلص (٥٢) إذ قال : « اطّلعنا في خزانة المكتبة الخالدية في بيت المقدس على نسخة مخطوطة من مختار الصحاح جاء في آخرها ما يأتي : « تمّ الكتاب المسمى مختار الصحاح بعون الله وحسن توفيقه على يد مولّفه وكاتبه بيده محمد بن أبي بكر الرازي عفا الله عنه وغفر له ولجميع المسلمين ووافق فراغه عشية يوم الخميس غرّة شهر رمضان المبارك ليلة الجمعة الغرّاء سنة ستين وستمائة والحمد لله أولاً وآخراً وباطناً وظاهراً وصلواته على جميع رُسُله وأنبيائه — إلى هنا كلام المؤلف نقلته من خطّه وأنا أفقر الأنام إلى الحسنى وزيادة محمد الشهير ببلامي زادة ... » .

وقد طُبِع المختار — بسبب شهرته وسهولة تداوله — طبعات كثيرة في فترات زمنية مختلفة .

فقد طُبِعَ لأولّ مرة في بولاق سنة ١٢٨٢ هـ وتوالت طبعاته في هذه الدار في السنوات ١٣٠٢ هـ و ١٣٠٤ هـ و ١٣٢٣ هـ و ١٣٣٧ هـ . والتاريخ الأخير يمثل طبعته الثامنة في هذه الدار .

وطُبِعَ في مطبعة وادي النيل في سنة ١٢٨٩ هـ .

وطُبِعَ في المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٤ هـ وأُعيدَ طبعه فيها في سنة ١٣٠٨هـ .

وطُبِعَ في مطبعة محمد مصطفى سنة ١٣٠٥ هـ .

---

(٥٠) انظر كشف الظنون ١٨١٣/٢ والمعجم العربي العربي ٥١٠/٢ ومقدمة الصحاح للعطار ٢٠٥

(٥١) كشف الظنون ١٠٧٣/٢ .

(٥٢) مجلة المجمع العلمي العربي ٦٤٧/٨ .

وطُبعَ في مطبعة عبدالرازق سنة ١٣١١ هـ .

وطُبعَ في مطبعة نظارة المعارف بترتيب المصباح سنة ١٣٠٧ هـ

وأُعيد طبعه سنة ١٣١١ هـ وسنة ١٣٢٣ — ١٣٢٥ على ذلك الترتيب .

وقد اتّهم أحمد عبدالغفور عطّار (٥٣) وزارة المعارف المصرية بأنها : « أفسدت جوهره وغيّرت نظامه وأستبدلت به مايجدر أن يكون كتاباً آخر .. بعد أن غيّرت ترتيبه ليكون موافقاً ترتيب أساس البلاغة للزمخشري والمصباح المنير للفيومي والمعجمات الحديثة وحذفت الوزارة ما لا ينبغي أن يطرق مسامع النشء . وكان أولى بالوزارة أن تغيّر اسم الكتاب وتخلع عليه اسماً جديداً إذ ليس من الأمانة أن يُحدث الناشر تغييراً جوهرياً في كتاب ويتصرّف في ترتيبه ونظامه ومِوادّه ويحذف مايريد ثم يستبقي اسمه واسم مؤلفه الذي اعتُديَ على حقّه وسُلِبَه » .

وقد وكّلت الوزارة أمر القيام بتغيير ترتيب مختار الصحاح للرازي إلى الاستاذ محمود خاطر وأشرف على تحقيقه ومراجعته وطبعه وتصحيحه العلاّمة الشيخ حمزة فتحالله . وقد امتازت هذه الطبعة بدقّة الضبط وكمال التحقيق . وقد أُعيد طبع الكتاب على هذا الترتيب عِدّة مرات (٥٤) .

وطُبعَ الكتاب أيضاً في مطبعة مصطفى محمد سنة ١٣٥٥ هـ .

وطُبعَ أيضاً في مطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٩٥٠م — ١٣٦٩ هـ بترتيب المصباح أيضاً .

وطُبعَ طبعات متعدّدة مع وزيادات باسم « المختار من صحاح اللغة » وقد قام بهذه المهمة محمد محيي الدين عبدالحميد ومحمد عبداللطيف السبكي . وكانت الطبعة الخامسة منه في مطبعة الاستقامة بالقاهرة وتشتمل هذه الطبعة على كتاب مختار الصحاح بلا حذف .

---

(٥٣) مقدمة الصحاح ٢٠٣ .

(٥٤) المعجم العربي ٢/٥٠٦–٥٠٧ ومقدمة الصحاح للعطار ٢٠٣ .

وقد ضُبط ضبطاً دقيقاً وزيدت على موادّه زيادات أخذت من لسان العرب وأساس البلاغة والنهاية لابن الأثير والقاموس المحيط والصحاح للجوهري والمجمل لابن فارس وتاج العروس للزَّبيدي والمصباح المنير للفيومي ومحيط المحيط للبستاني . وقد زُيِّنت هذه الطبعة بصور الحيوان والنبات وأجزائهما (٥٥).

وصف تفصيلي لمختار الصحاح:

أ- مقدّمة الكتاب :

استهلّ الرازي مقدّمة كتابه بالحمد والصلاة بعبارة أدبية مختصرة تشوبها الصنعة وأتبعَ ذلك بالحديث عن طبيعة كتابه فأشار الى أنه مختصر في علم اللغة جمعه من كتاب الصحاح للامام العالم العلاّمة أبي نصر اسماعيل ابن حماد الجوهري رحمه الله تعالى (٥٦) .

ثم بيّن الرازي الدوافع الى اهتمامه بهذا الكتاب دون غيره من كتب اللغة فقال : «رأيتُه أحسن أصول اللغة ترتيباً وأوفرها تهذيباً وأسهلها تناولاً و اكثرها تداولاً » (٥٧) .

وبيّن بعد ذلك منهجه العام فيه فأشار الى ثلاث نقاط أساسية كان عملُه اللغوي يدور في اطارها وهذه النقاط الثلاث هي :

١- الاقتصار في الكتاب على ما لا بُدّ لكل عالم فقيه أو حافظ أو محدّث أو أديب من معرفته وحفظه لكثرة استعماله وجريانه على الألسن مما هو الأهمّ فالأهمّ وخصّ بذلك : ألفاظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية وأجتنب فيه عويص اللغة وغريبها طلباً للاختصار وتسهيلاً للحفظ (٥٨) .

٢- زيادة الفوائد اللغوية من كتاب التهذيب للازهري وغيره من أصول

(٥٥) المختار من صحاح اللغة – المقدمة .

(٥٦) مختار الصحاح – المقدمة ٣ .

(٥٧) مختار الصحاح – المقدمة ٣ .

(٥٨) مختار الصحاح – المقدمة ٣ .

اللغة الموثوق بها وصدّر هذه الزيادات بقوله : « قلت » (٥٩) .

٣ـ الاستدراك على الجوهري كلّ ما أهمله من بيان أوزان مصادر الأفعال الثلاثية التي ذكر أفعالها أو بيان أوزان الأفعال الثلاثية التي ذكر مصادرها بالنصّ على حركلته أو برده إلى واحد من الموازين العشرين الموجودة ضمن أبواب الأفعال الثلاثية الستة المعروفة ، وأشار الى أنه خصّ هذه الموازين بالذكر دون غيرها لأنّه اعتبرها فوجدها أكثر الأوزان التي يشتمل عليها هذا المختصر (٦٠) .

ثم بيّن أنّ استدراكاته على الجوهري نقلها من أصول اللغة الموثوق بها ، ولذلك اقتفى أثر الجوهري في كلّ لفظ لم يقف على ضبطه فذكره مهملاً لئلا يكون زائداً على الأصل شيئاً بطريق القياس (٦١) .

وذكر الرازي في المقدّمة (٦٢) ضوابط صرفية كانت مُعيناً له على ضبط مختصره ، وهي في الوقت عينه معين للقارىء على معرفة أصول الكلمات وكيفية ضبطها صرفياً ، ولا يتأتّى ذلك إلا بعد حفظ هذه الضوابط حفظاً تاماً . فقد ذكر الضوابط الغالبة في معرفة مصادر الأفعال الثلاثية وأشهر هذه الضوابط ما يأتي :

١ـ إذا كان الفعل الماضي الثلاثي مفتوح العين كان مصدره على وزن (فَعْل) بسكون العين إنْ كان الفعل متعدياً ، وعلى وزن (فُعُول) إنْ كان الفعل لازماً نحو : (نصر نصْراً) و (قَعَدَ قُعُوداً) .

٢ـ إذا كان الفعل الماضي الثلاثي مكسور العين في الماضي ومفتوح العين في المضارع كان مصدره على وزن (فَعْل) إنْ كان الفعل متعدّياً

(٥٩) مختار الصحاح – المقدمة ٣ .

(٦٠) مختار الصحاح المقدمة ٤–٥ .

(٦١) مختار الصحاح – المقدمة ٤ .

(٦٢) ص ٥ .

وعلى وزن (فَعَلٍ) إنْ كان لازماً نحو : (فهِم فَهَما) و (طَرِبَ طَرَباً)
٣- إذا كان الفعلُ الماضي الثلاثي على (فَعُلَ) كان مصدرُه على وزن (فَعَالة) أو (فُعُولة) أو (فِعَل) . والغالب (فَعَالَة) . نحو : (ظَرُف ظَرَافة) و (سَهُل سُهُولة) و (عَظُم عِظَماً) .

وختم الرازي هذه القواعد بقوله إنّ المصادر السماعية لا طريق لضبطها الا السماع والحفظ . والسماعُ مقدّم على القياس ولا يُصار إلى القياس الا عند عدم السماع .

وقد عرضَ الرازي في المقَدّمة (٦٣) أيضاً إلى بيان خطوط منهجه في ضبط مختصره والى ضرورة التدقيق في الضبط إذ إنّ اللفظة قد تحتاج إلى أكثر من ضابط وانّ النصّ على حركة الحرف الأوسط من الماضي قد لا تكفي في معرفة وزن المضارع لاختلاف وزن المضارع مع اتّحاد الماضي ورأى انّه لابدّ من المضارع أيضاً ، وقصدَ بذلك الأبواب الثلاثة الأولى للافعال الثلاثية المجردة . وهي : (نَصَرَ ينصرُ وضَرَبَ يضرِب وفتح يفتَح) أما البابان الرابع والخامس فقد أشار إلى أنّه يكفي فيهما النصّ على حركة الحرف الأوسط من الماضي في معرفة وزن المضارع نحو : (كرُم يكرُم) و (فرِحَ يفرَحُ) . وأشار إلى أنّ اجتماع الكسر في الماضي والمضارع قليلٌ وأنّ اجتماع الكسر في الماضي والضم في المضارع قليل أيضاً . وذهب إلى ما ذهب إليه الصرفيون من ان اجتماع الكسر في الماضي والضمّ في المضارع من تداخل اللغات (٦٤) نحو : (فضِلَ يفضُل) وغيره . وإنّ هذا النوع نصّ عليه اللغويون كما نصّ عليه المؤلف في مختصره .

---

(٦٣) ص ٥ .

(٦٤) يقصد بالتداخل أن الفعل الماضي الثلاثي قد يرد من باب وأن الفعل المضارع يرد من باب آخر فيتم التداخل بينهما. وقد سمى بعض اللغويين ذلك بتركب اللغات . فقوله : فضل يفضل ناشئ من أخذ الماضي من باب (فرح) والمضارع من باب (نصر) .

ويمكن القول بأنّ أشهر خطوط ضبطه (٦٥) ، تتلخص بما يأتي :

١- انّه لا يذكر في البابين الرابع والخامس إلا الماضي المقيّد والمصدر طلباً للايجاز .

٢- انّه اذا قال في فِعِلٍ مضارع انّه بالضّم او بالكسر فهذا يعني أنّ ماضيه مفتوح لا محالة .

٣- انّه يسند كل فِعْلٍ يذكره إلى ضمير الغائب غالباً لأنّه أخصر في الكتابة إلا في موضع يفضي إلى اشتباه الفعل المتعدّي باللازم ، أو يكون في إسناده إلى ضمير المتكلّم فائدة معرفة كونه ولوياً أو يائياً نحو غزوتُ ورميتُ لأنّ اسناده إلى ضمير المتكام يدلّ على مضارعه أو يكون الفعل مضاعفاً فيكون في إسناده إلى ضمير المتكلم مع النص على حركة عين الفعل دالاً على بابه نحو صَدَدْتُ ومسِسْتُ .

٤- انّه قد يذكر لفظ المـــاضي ويشير إلى بابه لفائدة زائدة وهي كونُه متعدّياً بنفسه أو بوساطة حرف الجرّ وأيّ حرف هو .

٥- أنّه لايذكر مضارع الفعل ولا مصدره في مازاد على ثلاثة أحرف لأنّه جارٍ على القياس في الغالب الاّ ماخرج مضارعه أو مصدره عن قياس ماضيه فإنّه ينبّه عليه .

٦- أنّه لايذكر الفعل المتعدّي بالهمزة أو بالتضعيف بعد ذكر لازمه لأنّ لازمه متى عُرف فقد عُرف تعدّيه بالهمزة والتضعيف . فإنْ اتفق ذكر الفعل لازماً أو متعدّياً بواسطة فذلك لفائدة زائدة تختص بذلك الموضع غالباً .

٧- أنّه متى ذكر مع الفعل مصدراً بوزن التفعيل أو التفعُّل أو التفعِلة أو ذكر المصدر من هذه الأوزان الثلاثة وحده ، أو قال فعّله فتفعَّل كأن ذلك نصّاً على أنّ الفعل مشدّد ، وفي هذا يؤمن الاشتباه .

(٦٥) مختار الصحاح – المقدمة ٥-٨ .

٨- أنّه التزم في الموازين منهجاً دقيقاً وهو أنّه متى قال في فِعْلٍ من الأفعال أنّه من باب ضرب أو نصر أو قطع أو غيــر ذلك من الموازين المعــدودة فانّه يكون موازناً له في حركات ماضيه ومضارعه ومصدره .

٩- أنّه التزم في ضبط الاسماء أنّه يذكر الاسم ويذكر عقيبه مثالاً مشهوراً بوزنه أو يضبط الاسم بالنصّ على حركات حروفه التي يقعُ فيها اللّبس

وقد بيّن الرازي قصْدَه من زيادة ضبط اللفظ بالميزان أو النصّ على حركاته وهو أن لايتطرّق إلى اللفظ بمرور الأيّام تحريف النُّسّاخ وتصحيفهم لأنّ التصحيف وقــع في مصنفات الذين سبقوه من المعجميين بسبب الضبط الناقص إذ اعتمدوا على ظهور الألفاظ عندهم فأهملوا ضبطها فوقع ما وقــع مما كان الرازي يخشى وقوعه .

ب- الكتاب :

١- نظامه وأبوابه وموادّه :

ألّف الرازي كتابه مُختصِراً فيه صحاح الجوهري وهذا يعني أنّ المختار يسير على وفق نظام الصحاح .

لقد سار الجوهري على نظام (الباب والفصل) وهو يعني أنّ الباب هو الأصل وأنّ الفصل هو الفرع . ويتمّ الانتقال بعد ذلك من باب الى باب ومن فصل الى فصل على وفق النظام الالفبائي : (أ ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، د . . . . . الخ) مع مراعاة أنّ الحرف الثاني للكلمة يسير على وفق النظام أيضاً .

والمعروف أن نظام الباب والفصل الذي ظهر في التأليف المعجمي عند الجوهري بصورة دقيقة انما هو نظام مُلَفّقٌ من نظامين : الأول : هو النظام الألفبائي الذي ابتكره نصر بن عاصم الليثي المتوفى سنة ٨٩ هـ (٦٦) والنظام

(٦٦) المعجم العربي بين الماضي والحاضر . د. عدنان الخطيب ٢٢ .

الثاني : هو نظام التقفية الذي ظهر عند اليمان بن أبي اليمان البندنيجي في كتابه التقفية (٦٧) .

ومع ذلك لم يتأثر الجوهري بمعجم سبقه بقدر تأثره بديوان الأدب (٦٨) لخاله اسحاق بن ابراهيم الفارابي الذي جمع بين النظامين السابقين وكان أشبه بمعجمه الصحاح لو لم يسر الفارابي على نظام الأبنية أيضاً .

ومع سهولة نظام الباب والفصل لم تخلص المعجمات المؤلفة على وفقه من النقد . ويمكن القول ان هذا النقد لم يكن عنيفاً إذ انصبّ على صعوبة ترتيب الألفاظ المعتلّة الآخر التي لا يُعرف أصل حرف العلّة فيها أواويّ هو أم يائيّ . وانصبّ أيضاً على الخلاف القائم بين أصحاب المعجمات في وجهات النظر في أصالة كثير من الحروف أو زيادتها (٦٩) ، ولاسيما مايتعلق منها بالألفاظ الرباعية والخماسية التي يختلف المعجميون في مواضع ورودها في معجماتهم .

فمختار الصحاح اذن يتّبع نظام الصحاح في ترتيب الأبواب والفصول . فهو يسير على نظام التقفية بالنسبة للأبواب ، وعلى النظام الألفبائي بالنسبة للفصول ، وأنّ الانتقال من باب الى باب يسير على وفق النظام الألفبائي أيضاً .

والمعروف أنّ النظام الألفبائي يسيرُ في طريقين بالنسبة لأهل المشرق وأهل المغرب . فالطريق المشرقي يسير على النظام الآتي : (أ ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، د ، ذ ، ر ، ز ، س ، ش ، ص ، ض ، ط ،

(٦٧) التقفية في اللغة للبندنيجي مقال بقلم خليل العطية . المورد م٥ عدد ٤ ص ٣٠١-٣٠٥.

(٦٨) ديوان الأدب — لاسحاق بن ابراهيم الفارابي تحقيق أحمد مختار عمر وتقديم ابراهيم أنيس القاهرة ١٩٧٤ ، انظر التصدير بقلم أبراهيم أنيس ص ومقدمة المحقق ٤٠ حيث عد ديوان الأدب أول معجم سلك نظام الباب والفصل . وانظر المعجم العربي . حسين نصار ٤٨٦/٢ .

(٦٩) المعجم العربي ٦٧٢/٢ .

ظ ، ع ، غ ، ف ، ق ، ك ، ل ، م ، ن ، و ، ه ، ي) . والطريق المغربي يسير على النظام الآتي : (أ ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ د ، ذ ، ر ، ز ، ط ، ظ ، ك ، ل م ، ن ، ص ، ض ، ع ، غ ، ف ، ق ، س ، ش ، ه ، و ، ي) .

وهذا يعني أن الواو تقع قبل الهاء في النظام المشرقي وبعد الهاء في النظام المغربي . وإذا تتبعنا الأبواب في الصحاح والمختار وجدنا أن الواو تقعُ بعد الهاء وإذا تتبعنا الفصول وجدنا أن الواو تقع قبل الهاء . فهل يعني هذا أنّ الجوهري والرازي اتبعا النظام المشرقي في الفصول واتبعا النظام المغربي في الأبواب ؟ .

وأغلبُ الظنّ أنّ الجوهري والرازي لم يقصدا ذلك لأنهما لو قصداه لاتّبعا النظام المغربي بدقّة . وهو يخالف النظام المشرقي كثيراً .

فما تفسير ذلك إذن ؟

تفسيره في غالب الظن أنّ نظام التقفية أوقع المعجميين في مشكلات بالنسبة للالفاظ المعتلة فلم يستطيعوا التمييز أحياناً بين ماكان واوي الأصل وماكان يائي الاصل ثم إنّ حرف العِلّة قد يكون منقلباً عن الواو وعن الياء في كلمة واحدة . وهذا يعني أنّ الكلمة ينبغي أنْ ترِد في مكانين من المعجم لذا جمعوا بينهما في باب المعتلّ تخلصاً من ذلك وقدّموا الهاء على الواو اضطراراً . أمّا في الفصول فلم يحتاجوا الى ذلك فأبقوا النظام على حاله .

والملاحظ أنّ عدد أبواب المختار ثمانية وعشرون باباً على عدد حروف الهجاء . آخرها باب الألف اللّينة وقبله باب المعتلّ الذي جمع فيه الرازي ماكان آخره الياء وماكان آخره الواو . وفي هذا الجدول بيان لعدد فصول كل باب :

الباب	عدد فصوله في المختار	الفصول الناقصة
الهمزة	٢٦	الهمزة والياء .
الباء	٢٤	الظاء والضاد والميم والياء .
التاء	٢٥	الضاد والظاء والياء .
الثاء	١٩	الدال والذال والزاي والشين والصاد . والظاء والقاف والهاء والياء .
الجيم	٢٤	الجيم والذال والظاء والياء .
الحاء	٢٠	الثاء والحاء والخاء والظاء والعين والغين والهاء والياء .
الخاء	١٩	الجيم والحاء والذال والظاء والعين والغين والقاف والهاء والياء .
الدال	٢٦	الظاء والياء
الذال	١٦	التاء والثاء والخاء والذال والسين والصاد والضاد والظاء والغين والكاف والهاء والياء .
الراء	٢٦	اللام والراء .
الزاي	١٧	التاء والثاء والذال والراء والزاي والسين والصاد والظاء والفاء والهاء والياء .
السين	٢٢	الثاء والذال والزاي والصاد والظاء والياء .
الشين	١٨	التاء والثاء والذال والزاي والشين والصاد والضاد والظاء واللام والياء .
الصاد	١٧	التاء والثاء والذال والزاي والسين والضاد والطاء والظاء والكاف والهاء والياء .
الضاد	١٤	التاء والثاء والجيم والذال والزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والكاف واللام والياء .
الطاء	١٢	الهمزة والتاء والثاء والخاء والدال والذال والراء

		والزاي والسين والصاد والضاد والطاء والظاء والكاف والميم والهاء
العين	٢٣	الهمزة والحاء والظاء والعين والغين
الغين	١١	الهمزة والتاء والثاء والجيم والحاء والخاء والذال والشين والضاد والطاء والظاء والعين والغين والقاف والكاف والهاء والياء .
الفاء	٢٥	الباء والميم والياء .
القاف	٢٥	الثاء والظاء والكاف .
الكاف	٢٨	الثاء والخاء والذال والزاي والطاء والظاء والعين والغين والقاف والياء .
اللام	٢٧	السين .
الميم	٢٨	
النون	٢٨	
الهاء	١٩	الثاء والحاء والخاء والذال والزاي والضاد والطاء والظاء والغين .
المعتلّ	٢٨	
الألف اللينة	١٢	الثاء والجيم والخاء والدال والراء والزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والغين والقاف والنون .

مما تقدّم نستخلص ما يأتي :

١ـ انّ الأبواب التي استكملت فصولها ثلاثة أبواب هي للميم والنون والمعتلّ .

٢ـ انّ الابواب التي نقصت فصولها خمسة وعشرون باباً مفصلة على وفق ما يأتي :

أ ــ باب واحد نقص فيه فصل واحد وهذا الباب هو اللام .

ب ــ ثلاثة أبواب نقص من كل منها فصلان وهذه الأبواب هي : الهمزة والدال والراء .

ج ــ ثلاثة أبواب نقص من كل منها ثلاثة فصول وهذه الأبواب هي : التاء والفاء والقاف .

د ــ بابان نقص من كل منهما أربعة فصول وهذان البابان هما الباء والجيم .

هـ ــ باب واحد نقص منه خمسة فصول وهذا الباب هو باب العين .

و ــ باب واحد نقص منه ستة فصول وهذا الباب هو باب السين .

ز ــ باب واحد نقص منه سبعة فصول وهذا الباب هو باب الطاء .

ح ــ باب واحد نقص منه ثمانية فصول وهذا الباب هو باب الحاء .

ط ــ ثلاثة أبواب نقص من كل منها تسعة فصول وهذه الأبواب هي الثاء والخاء والهاء .

ى ــ بابان نقص من كل منهما عشرة فصول وهذان البابان هما : الشين والكاف .

ك ــ بابان نقص من كل منهما أحد عشر فصلاً وهذان البابان هما : الزاي والصاد .

ل ــ باب واحد نقص منه اثنا عشر فصلاً وهذا الباب هو باب الذال .

م ــ باب واحد نقص منه اربعة عشر فصلاً وهذا الباب هو باب الضاد .

ن ــ بابان نقص من كل منهما ستة عشر فصلا وهذان البابان هما : الظاء والألف اللينة .

س ــ باب واحد نقص منه سبعة عشر فصلاً وهذا الباب هو باب الغين .

أما جذور المواد التي وردت في المختار فهي مفصلة في الجدول الآتي :

الباب	الجذور الثلاثية	الجذور الرباعية	الجذور الخماسية	مجموع الجذور
الهمزة	٩١	٥	—	٩٦
الباء	١٧٦	٧	١	١٨٤
التاء	٦١	—	—	٦١
الثاء	٤٨	١	—	٤٩
الجيم	٨٣	٦	—	٨٩
الحاء	١٠٥	١	—	١٠٦
الخاء	٤١	٣	—	٤٤
الدال	١٧١	٨	١	١٨
الذال	٢٣	٢	٢	٢٧
الراء	٣٠١	٢٧	—	٣٢٨
الزاي	٧٤	٣	—	٧٧
السين	١٢٨	١٧	—	١٤٥
الشين	٦٩	٢	—	٧١
الصاد	٦٥	٤	—	٦٩
الضاد	٥٠	—	—	٥٠
الطاء	٨٧	١	—	٨٨
الظاء	١٩	—	—	١٩
العين	١٥٨	٩	—	١٦٧
الغين	٢٤	١	—	٢٥
الفاء	١٧٢	٦	—	١٧٨
القاف	١٥٩	١٩	—	١٧٨
الكاف	٦٣	١	—	٦٤

الباب	الجذور الثلاثية	الجذوو الرباعية	الجذور الخماسية	مجموع الجذور
اللام	٢٤٤	١٩	٤	٢٦٧
الميم	٢٤٧	٤٦	—	٢٧٣
النون	٢٠٥	١١	—	٢١٦
الهاء	٥٦	١	—	٥٧
المعتلّ	٣٣٥	—	—	٣٣٥
الألف اللينة	٢١	—	—	٢١

نستخلص من هذا الجدول ما يأتي :

١ــ انّ مجموع الجذور في المختار بلغ (٣٤٥٥) جذراً وهي موزعة كما يأتي :

الجذور الثلاثية (٣٢٤٦) جذراً والجذور الرباعية (٢٠٠) جذر والجذور الخماسية (٩) جذور .

٢ــ إنّ أكثر الأبواب جذوراً هو باب المعتلّ وإنّ أقلها جــذوراً باب الظاء .

٣ــ إنّ أبواب المختار غير متساوية الجذور واذا أردنا ترتيب الأبواب ترتيباً تسلسلياً بالنسبة لأعداد جذورها وضعناها كما يأتي : ١ــ المعتلّ ٢ــ الراء ٣ــ الميم ٤ــ اللام ٥ــ النون ٦ــ الباء ٧ــ الدال ٨ــ القاف ٩ــ الفــاء ١٠ــ العين ١١ــ السين ١٢ــ الحاء ١٣ــ الهمزة ١٤ــ الجيم ١٥ــ الطاء ١٦ــ الزاي ١٧ــ الشين ١٨ــ الصاد ١٩ــ الكاف ٢٠ــ التاء ٢١ــ الهاء ٢٢ــ الضاد ٢٣ــ الثاء ٢٤ــ الخاء ٢٥ــ الذال ٢٦ــ الغين ٢٧ ــ الألف اللينة ٢٨ــ الظاء .

أما الموادّ اللغوية فانّ اعدادها موزعة على الأبواب كما يأتي :

الهمزة (٣٠٣) والباء (٨٥٨) والتاء (١٨١) والثاء (١٢٧) والجيم (٣٠١)

والحاء (٥٦٠) والخاء (٦٦) والدال (٩٢٣) والذال (٦٣) والراء (٢٠٩٧) والزاي (٢٥٧) والسين (٤٧٦) والشين (١٩٨) والصاد (٢٣٣) والضاد(٣٤٩) والطاء (٣٣٩) والظاء (٦٢) والعين (٨٥٨) والغين (٧٢) والفاء (٧٥٩) والقاف (٨٨٣) والكاف (٢٧٩) واللام (١٧٥٥) والميم (١٥٠٩) والنون (١٠٨٦) والهاء (٢٢١) والمعتلّ (٢١٢٠) والألف الليّنة (٨٧) .

يتضح من الجدول ما يأتي :

١ – انّ مجموع الموادّ اللغوية في المختار باغ (١٧٠٠١) مادة .

٢ – انّ أكثر الموادّ اللغوية متوافر في باب المعتلّ وانّ أقلها متوافرٌ في باب الألف الليّنة .

٣ – انّ أبواب المختار غير متساوية الموادّ وإذا أردنا ترتيبها ترتيباً تسلسلياً بالنسبة لاعداد موادّها وضعناها كما يأتي :

١ – المعتلّ ٢– الراء ٣– اللام ٤– الميم ٥– النون ٦– الدال ٧– القاف ٨ – الباء والعين ٩– الفاء ١٠– الحاء ١١– السين ١٢– الضاد ١٣– الطاء ١٤– الهمزة ١٥– الجيم ١٦– الكاف ١٧– الزاي ١٨– الصاد ١٩– الهاء ٢٠– الشين ٢١– التاء ٢٢– الثاء ٢٣– الألف الليّنة ٢٤– الغين ٢٥– الخاء ٢٦– الذال ٢٧– الظاء .

والمقام هنا يستدعي التعريج على مسألة شغلت بال قسم من المعنيين بالدراسات المعجمية وهذه المسألة هي مفهوم كلمة « مادة » . والواضح تماماً أنّ المادة ليست الجذر ، وأنّ قول اللغويين إنّ الصحاح جمع أربعين ألف مادة وأنّ القاموس المحيط جمع ستين ألف مادة وانّ اللسان جمع ثمانين ألف مادة وأنّ التاج جمع مائة وعشرين ألف مادة لا يعني أنّ هذه المعجمات جمعت هذه الأعداد من الجذور . ويؤكد ذلك أنّ الاستقراء بيّن أنّ جذور الصحاح بلغت (٥٦١٨) جذراً وأنّ جذور اللسان بلغت (٩٢٧٣) جذراً ، وأنّ جذور القاموس بلغت (١٠٣٤٣) جذراً ، وأنّ جذور التاج

بلغت (١١٩٧٨) جذراً (٧٠) ، وهذا يعني أنّ الجذر ليس المادة قطعاً .

قال محمد مصطفى رضوان (٧١) في دراسته للقاموس المحيط : المقصود بالمادة في القاموس الأصل أساسياً كان أو فرعياً ولا عبرة بما يشتق منه . فالفعل أيّاً كان نوعه وجميع مشتقاته وملحقاته تعتبر كلها أصلاً واحداً غير أننا نصف المادة المجرّدة بأنها أساسية والمزيدة بأنها فرعية » .

يفهم من كلامه أنّ المواد عنده تمثل الأصول المجردة وما يتفرّع منها من فروع بعد زيادة حروف الزيادة سواء أكانت تلك الأصول عربية أم معرّبة أم دخيلة أم مولدة ، ولا عبرة بما يشتق منها من مشتقات ، فالفعل عنده باختلاف أزمنته وباختلاف مشتقاته ـ كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة ـ مادة واحدة .

لقد اختصر الرازي صحاح الجوهري ، لذلك كانت الموادّ اللغوية التي ضمّها المختار بين صفحاته يمثل جانباً كبيراً من الموادّ اللغوية التي ضمّها الصحاح بين صفحاته . والذي يتبين من الاستقراء أنّ الفصيح من كلام العرب كان له النصيب الأوفر في المختار ، فغالب مانقله الرازي من الصحاح كان من المادّة اللغوية التي أكدّ الجوهري صحتها فيه . ومع ذلك نقل الرازي شيئاً من الألفاظ المعرّبة والمولدة والعامية التي أوردها الجوهري في صحاحه . ولكنّ قلّة هذه الألفاظ وندرتها تصوّر أصلاً ندرتها وقلتها في الصحاح.

لقد أورد الرازي من الألفاظ المعرّبة (١٢١) لفظة موزعة على لغاتها التي نقلت منها كما يأتي :

من الفارسية (٥٠) لفظة (٧٢) . ومن الرومية (٦) الفاظ (٧٣) ومن

(٧٠) دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس باستخدام الكومبيوتر ص ٩ .

(٧١) دراسات في القاموس المحيط ٩٢ .

(٧٢) انظر المواد : (دلب) و (وزب) و (خلج) و (ديج) و (أجر) .

(٧٣) انظر المواد : (بطرق) و (سجل) .

العبرانية لفظتان (٧٤) ، ومن النبطية لفظة واحدة (٧٥) . وأورد الرازي (٦٢) لفظة معرّبة دون أن ينسبها الى لغاتها التي نقلت منها (٧٦) .

ومن أمثلة ذلك قول الرازي في المختار :

الحُبُّ بالضمّ : الخابية فارسي (٧٧) معرّب . والدولاب : واحد الدواليب فارسي (٧٨) معرّب . والحُرْدِيّ : من القصب بوزن الكرديّ نبطيّ (٧٩) معرّب . والبطريق بكسر الباء : القائد من قواد الروم (٨٠) وهو معرّب . وإيل : اسم من أسماء الله تعالى عبرانيّ أو سريانيّ (٨١) والسَّجَنْجَل : المرآة وهو رومي (٨٢) معرّب .

وكان عدد الألفاظ العامية في المختار (٣٣) لفظة وعدد الألفاظ المولدة (١١) لفظة . وقلّة عدد ألفاظ هذين النوعين في المختار تشير الى أنّ ذكرهما لم يكن مقصوداً لذاته بقدر ماهو تنبيه على خطأ استعمالهما أو ضعفه من جهة ، وحثٌّ على الاهتمام بالفصيح من كلام العرب من جهة أخرى .

ومن أمثلة ذلك :

« وجمع البيت بيوت ... وتصغيره بُيَيْت بِيَيْت بضم أوله وكسره ، والعامة تقول : بُوَيت » (٨٣) . و « أخَذَه بذنبه مؤاخذة والعامة تقول : واخذه » (٨٤) و « آجره الدار أكراها ، والعامة تقول : واجره » (٨٥) . و « الجَبْر ضد القَدَر ، قال أبو عبيد : هو كلام مولّد » (٨٦) و « البُرْجاس غَرَض في الهواء يُرمى فيه وأظنّه مولداً » (٨٧) و « والطَرَش بفتحتين أهوَن الصَمَم ، ويقال : هو مولّد » (٨٨) .

وقد وثّق الرازي كثيراً من الألفاظ اللغوية التي وردت في معجمة

---

(٧٤) انظر مادة (أيل) . (٧٥) انظر مادة (حرد) .
(٧٦) انظر المواد : (دود) و (قزز) و (عسس) و (غطس) .
(٧٧) مادة (حبب) (٧٨) مادة (دلب) (٧٩) مادة (حرد)
(٨٠) مادة (بطرق) (٨١) مادة (أيل) (٨٢) مادة (سجل) (٨٣) مادة (بيت)
(٨٤) مادة (أخذ) (٨٥) مادة (أجر) .
(٨٦) مادة (جبر) (٨٧) مادة (برجس) (٨٨) مادة (طرش) .

بالشواهد التي نقلها من الصحاح . وكانت أعداد شواهده موزعة كما يأتي :

الشواهد الشعرية	الشواهد القرآنية	شواهد الحديث	أقوال الفصحاء	الأمثال
١٤٧	٨٧٠	٥٧٠	١١٥	٨٠

يتضح من ذلك :

١- أنّ شواهد القرآن الكريم هي الشواهد الغالبة في المختار وتليها شواهد الحديث النبوي . وأنّ شواهد المثَل هي أقلّ الشواهد عدداً فيه . وهذا يدلّ على أنّ شواهد القرآن الكريم تقع في مقدّمة الشواهد التي يعتمد عليها الرازي في مسألة التوثيق اللغوي لأنّ النص القرآني أوثق نصّ عرفته العربية بسبب الاهتمام به وحفظه ونقله نقلاً متواتراً .

٢- أنّ الرازي لم يستشهد الا بعدد قليل جداً من الشواهد القرآنية في حين أنّ الجوهري استشهد بعدد كبير منها ، وهذا يدلُ دلالة كبيرة على قلة قيمة الشاهد الشعري عند الرازي في مسألة التوثيق اللغوي .

وقد استشهد الرازي بـ (١٤٧) شاهداً شعرياً . منها (٣٤) شاهداً منسوباً الى قائليها و (١١٥) شاهداً من غير نسبة .

والشعراء الذين وردت أسماؤهم في المختار هم :

بشر والأعشى وعنترة وجرير والفرزدق وأبو ذؤيب وامرؤ القيس والطرماح وحسان بن ثابت وابن أحمر وذو الخرق الطهوي ولبيد والشّماخ وخوّات ابن جُبير وابن مقبل وعمرو بن معد يكرب والنابغة وزهير وقعنب وعمران ابن حِطّان وخنساء وعمرو بن كلثوم وزياد الأعجم وأبو الاسود الدؤلي والحطيئة (٨٩) .

وقد استشهد الرازي بأقوال الفصحاء من العرب وهذه الأقوال ليست

(٨٩) انظر على التوالي المواد : ردب وشتت وخبث ودجج وعبد وملك وزني وأذذ و ذبرورجا وعصر وعير وطرز وعجز وجدع وقنع وطرق وسكف وأجل وسرول وعلم وألا وعنم وقوم وأذن وليه ورعى وسخا وشلا وغلى وكسا .

كثيرة في المختار ولكنها على أيّ حال تمثل نسبة عالية من أقوال الفصحاء التي وردت في الصحاح إذ لم يهمل الرازي منها الا شيئاً قليلاً سنذكر نسبته في الصفحات التالية :

وقد استشهد الرازي بأقوال ابن عباس (٩٠) وعُمَر (٩١) والحسن (٩٢) وأنس (٩٣) ومعاذ (٩٤) وعليّ (٩٥) وابن عمر (٩٦) ومعاوية (٩٧) وابن مسعود (٩٨) وأبي هريرة (٩٩) وعائشة (١٠٠) وأم زرع (١٠١) والعباس ابن عبد المطلّب (١٠٢) وسعد (١٠٣) وعثمان (١٠٤) وأبي بكر (١٠٥) وأبي سفيان (١٠٦) .

ب– الظواهر المنهجية في المختار :

أولاً : الاختصار :

لما كان المختار مختصراً من الصحاح اقتضى المقام اجراء موازنة بينهما لبيان مدى الاختصار الذي اجراه الرازي على صحاح الجوهري ، وتشمل هذه الموازنة عدد الفصول والجذور والمواد اللغوية والشواهد واللغويين الذين جرّد الرازي كتابه من أسمائهم في غالب المواضع .

---

(٩٠) انظر المواد : جيأ ودسر ونقر وحمز وصمع .
(٩١) انظر المواد : كذب وقرح وعبد وأثر وسكر وعقر ونهش ومعدد ومرط و ورع .
(٩٢) انظر المواد : غبب وضفف ودنق وفوق .
(٩٣) انظر مادة (جدد) .
(٩٤) انظر المواد : خمر وخمص وضغط ورتأ .
(٩٥) انظر المواد : سخر ونغر وخفر ونصص وحرق وخرق ووخم .
(٩٦) انظر المواد : سرر وجحف وضحا .
(٩٧) انظر مادة (كمثر) (٩٨) انظر المواد : هوش ولظظ وحرف وخلل ومحل .
(٩٩) انظر المواد : حصص وقشع.
(١٠٠) انظر المواد : حيض وبلغ وقرف ودلق وحبك وعطل .
(١٠١) انظر مادة (شقق) (١٠٢) انظر مادة (بلل)
(١٠٣) انظر مادة (حبل) (١٠٤) انظر مادة (كبل)
(١٠٥) انظر مادة (ميل) (١٠٦) انظر مادة (جلهم)

أ ـ الفصول :

اتّفق الصحاح والمختار في عدد فصول الأبواب الآتية : الميم والنون والمعتلّ وعدد فصول كلٍّ باب (٢٨) فصلاً ، والدال وعدد فصوله (٢٦) فصلاً ، والفاء وعدد فصوله (٢٥) فصلاً ، والهاء وعدد فصوله (١٩) فصلاً ، والشين وعدد فصوله (١٨) فصلاً .

ولكنّ الرازي نقص من باب الهمزة فصلين هما : الهمزة والياء ومن باب الباء فصلين هما : الظاء والياء ، ومن باب التاء فصلاً واحداً هو : الياء ومن باب الثاء ثلاثة فصول هي :الدال والقاف والهاء ومن باب الجيم فصلاً واحداً هو الجيم ، ومن باب الحاء فصلاً واحداً هو : الحاء ، ومن باب الخاء اربعة فصول هي : الجيم والذال والقاف والهاء ، ومن باب الذال أربعة فصول هي : الخاء والغين والكاف والهاء ، ومن الراء فصلاً واحداً هو : الراء ، ومن باب الزاي خمسة فصول هي : التاء والراء والزاي والفاء والهاء ، ومن باب السين فصلاً واحداً هو : الياء ، ومن باب الصاد أربعة فصول هي : التاء والكاف والهاء والياء ، ومن باب الضاد اربعة فصول هي : الجيم والسين والطاء والكاف ومن باب الطاء أربعة فصول هي : الجيم والذال والطاء والياء ، ومن باب الظاء أربعة فصول هي : الدال والراء والكاف والميم ، ومن باب العين فصلين همـا : الهمزة والظاء ، ومن الغين سـتة فصول هي : الهمزة والتاء والثاء والشين والضاد والهاء ، ومن باب القاف فصلاً واحداً هو : الثاء ، ومن باب الكاف فصلاً واحداً هو : الزاي ، ومن باب اللام فصلاً واحداً هو : الياء ، ومن باب الألف اللينة فصلاً واحداً هو الحاء .

ب ـ الجذور والموادّ :

الجدول الآتي يوضح مـدى الاختصار الذي أجراه الرازي في المختـار على صحاح الجوهري .

	الجذور الثلاثية	الجذور الرباعية	الجذور الخماسية	مجموع الجذور
الصحاح	٤٨١٤	٧٦٦	٣٨	٥٦١٨
المختار	٣٢٤٦	٢٠٠	٠٩	٣٤٥٥

يتضح من هذا الجدول أنّ نسبة جذور المختار إلى جذور الصحاح هي ٦١ ونصف في المائة (١٠٧)

أما بالنسبة للموادّ فقد ذكر الزّبيدي في تاج العروس (١٠٨) أنّ صحاح الجوهري حوى أربعين الف مادة . و اذا علمنا أن عدد موادّ المختار بلغت بعد الاستقراء (١٧٠٠٠) مادة تقريباً تبينّ لنا أنّ نسبة موادّ المختار الى موادّ الصحاح تبلغُ أثنين واربعين ونصفاً في المائة .

ج — الشواهد :

الجدول الآتي يوضّح مدى الاختصار الذي أجراه الرازي على شواهد الصحاح .

	الشواهد الشعرية	شواهد القرآن	شواهـــد الحديث	أقوال الفصحاء	المثـــل
الصحاح	٨٤٠٠	١٠٥٠	٥٨٠	١٩٠	٥٨٠
المختار	١٤٧	٨٧٠	٥٧٠	١١٥	٨٠

نستخلص من الجدول المارّ ذكره مايأتي :

١ــ أنّ الرازي اختصر شواهد الشعر وشواهد المثل اختصاراً كبيراً فلم يُبقِ منها الا النزر اليسير .

٢ــ أنّ شواهد القرآن وشواهد الحديث تكاد تكون متساوية في الكتابين وهذا دليل على اهتمام الرازي بهذين النوعين من الشواهد فلم يختصر منها الا القليل . وهذه النتيجة الاستقرائية تؤكد ماذكره الرازي في مقدمّة كتابه

(١٠٧) الاحصائية المتعلقة بصحاح الجوهري ينظر فيها (دراسة احصائية لجذور معجم تاج العروس باستخدام الكومبيوتر ص ٩ .   (١٠٨) ٧٣/١ .

اذ قال: « واقتصرتُ فيه على ما لابُدّ لكل عالم فقيه أو حافظ أو محدّث أو أديب من معرفته وحفظه لكثرة استعماله وجريانه على الألسن مما هو الأهم فالأهم خصوصاً ألفاظ القرآن العزيز والأحاديث النبويّة » (١٠٩) . ثم أنّ هذه الاحصائية تضعف ماذهب اليه حسين نصّار من أنّ الرازي حذف من الصحاح كثيراً من الشواهد الحديثية (١١٠) .

د ــ أسماء علماء اللغة :

لقد جرّد الرازي كثيراً من الموادّ اللغوية في الصحاح من أسماء رواتها من علماء اللغة المعروفين . وعمله هذا مظهر من مظاهر الاختصار الكبير الذي أجراه على صحاح الجوهري اذ كان هدفه ــ كما عبرّ في المقدمّة ــ ذكر الأهم فالأهمّ .

وقد اخترنا في الجدول التالي قسماً من اسماء اللغويين الذين وردت اسماؤهم في الصحاح والمختار . والجدول يبيّن بوضوح مقدار ماحذفه الرازي من اسماء اللغويين ويمكن للقارئ أن يتصوّر نسبة ما ورد منهم في المختار الى ماورد منهم في الصحاح .

علماء اللغة	الصحاح (١١٢)	المختار
الأصمعي	٢١٢٠	٩٤
ابن السكيت	٨١٠	٥٤
الفرّاء	٥٣٠	١٠٠
أبو عبيدة	٢٢٠	٦٦
الأخفش	٢٢٠	٨٩

(١٠٩) اعتمدنا في احصاء شواهد الصحاح على (٢٥٣) صفحة من صفحاته ، ويمثل هذا المقدار ١٠/١ من الكتاب ثم ضربنا الاعداد المستقراة في العدد ١٠ لذلك كانت النتيجة تقريبية.

(١١٠) المختار – المقدمة ٣ .

(١١١) المعجم العربي ٢/٥٠٦ .

(١١٢) اخترنا من الصحاح (٢٥٣) صفحة وهي تمثل ١٠/١ من الكتاب ثم ضربنا النتائج العامة في (١٠) لذلك كانت الأرقام الكلية المأخوذة من الصحاح أرقاماً تقريبية

علماء اللغة	الصحاح	المختار
أبو عبيد	٥٠٠	٥٧
أبو عمرو	٣٥٠	٢٦
أبو زيد	٢٢١٠	٣٥
ابن الاعرابي	١٠٠	١٨

ثانياً : الزيادات والفوائد اللغويّة :

قال الرازي في مقدمّة (١١٣) المختار : « وضممت اليه فوائد كثيرة من تهذيب الأزهري وغيره من أصول اللغة الموثوق بها ومما فتح الله تعالى عليّ ، فكلّ موضع مكتوب فيه : « قلت » فإنّه من الفوائد التي زدتُها على الأصل » .

يتّضح من النص أنّ الزيادات والفوائد اللغوية في المختار على نوعين :

١ــ النوع الأول : الفوائد اللغوية التي زادها الرازي من عنده .

هذه الفوائد تمثّل زاده العلمي وثقافاته الخاصة ، لذلك لم يُشِرفيها الى مصدر من المصادر التي كان ينقل منها .

٢ــ النوع الثاني : الفوائد اللغوية التي نقلها الرازي من المصادر اللغوية المشهورة . وقد صرّح في المختار بأسماء تلك المصادر . والمقام يقتضي ايراد أسمائها مرتبة بحسب أهميتها عنده وبحسب عدد مرات استخدام كلّ مصدر من تلك المصادر .

أــ تهذيب اللغة : لأبي منصور محمّد بن أحمد الأزهري المتوفى سنة ٣٧٠ هـ .نقل منه (٨٤) مرة .

وقد كان الرازي يذكر اسم الكتاب مرةً ويذكر اسم المؤلف مرة

(١١٣) ص ٣ .

أخرى ويورد اسم المؤلّف مقترناً باسم المصدر مرة ثالثة فيقول : الأزهري (١١٤) أو الأزهري في التهذيب(١١٥) أو التهذيب (١١٦) أوتهذيب الأزهري (١١٧) .

ب- ديوان الأدب : للفارابي اسحاق بن ابراهيم المتوفى سنة ٣٥٠ ﻫ
نقل منه (١٩) مرّة .

وقد كان الرازي يورد اسم المؤلّف أحياناً ، ويورد اسم المصدر ومؤلّفه أحياناً أخرى ، وقد يجرّد المصدر من اسم مؤلّفه فيقول :

ديوان الأدب (١١٨) أو الفارابي (١١٩) أوديوان الأدب للفارابي (١٢٠) أو الديوان (١٢١) .

ج- الفصيح : لثعلب أحمد بن يحيى الشيباني المتوفّى سنة ٢٩١ ﻫ
نقل منه (٥) مرات .

وقد أورد الرازي مصدره هذا بمثل ما أورد سابقيه فهو يقول : ثعلب (١٢٢) أو فصيح ثعلب (١٢٣) أو الفصيح (١٢٤) .

د- المُغرب في ترتيب المُعرّب للمطرزي أبي الفتح ناصر بن عبدالسيد: الخوارزمي المتوفى سنة ٦١٦ ﻫ .

نقل منه (٤) مرات .

وأورد اسم الكتاب مرتين ، وقرنه باسم المؤلّف مرتين أخريين فهو

(١١٤) المواد (ثوب) و (جرب) و (خطب) (١١٥) مادة (جدب) .
(١١٦) المواد : (ثلث) و (قدر) و (بسس) و (ربض)
(١١٧) المواد : (نفخ) و (برد) و (طعن) .
(١١٨) المواد (شيأ) و (نبج) و (حمد) و (رغد) و (سدد) .
(١١٩) المواد : (لوب) و (سجل) و (خون) .
(١٢٠) المواد (حرث) و (تبع) . (١٢١) المواد : (دمل) و (نمل) .
(١٢٢) المواد (وجب) و (زمهر) و (نمل)
(١٢٣) مادة (نفخ) (١٢٤) مادة (حمل) .

يقول : المغرب(١٢٥) أو المُعرّب للمطرزي(١٢٦)أو المطرزي في المغرب(١٢٧)

هـ شرح الغريبين : للهروي أبي عبيد أحمد بن محمد المتوفى سنة ٤٠١ هـ .

نقل منه ثلاث مرات وأورد مصدره بذكر اسمه مرتين ، وقرنه باسم مؤلّفه مرة أخرى . فهو يقول : شرح الغريبين (١٢٨) أو شرح الغريبين للهروي (١٢٩) .

و- المجمل في اللغة : لأبي الحسين أحمد بن فارس المتوفّى سنة ٣٩٥هـ نقل منه ثلاث مرات .

أورد الرازي اسم المؤلّف مرة وأورد اسم الكتاب مرتين ، فهو يقول : المجمل (١٣٠) أو ابن فارس (١٣١) .

ز- المفصّل : للزمخشري : جارالله ابي القاسم محمود بن عمر المتوفى سنة ٥٣٨ هـ .

نقل منه مرة واحدة ، فقال : المفصّل للزمخشري (١٣٢) .

ح- المنهاج : لم يذكر اسم مؤلّفه .

ونقل منه مرة واحدة ، فقد جاء في المختار (١٣٣) : « الزُّماوَرْد معرّب والعامة تقول : بَزْماورد ، قلت : وحقيقته الشواء المدقوق الملفوف في الرُّقاق ثم يقطع ويسمّى أوساطاً . ذكر صفته صاحب المنهاج في كتابه في آخر الباء مع الرازي » .

ولعلّ الرازي قصد بهذا الكتاب « منهاج البيان في مايستعمله الانسان

---

(١٢٥) المواد (دلب) و (قرن)
(١٢٦) مادة (طهر).
(١٢٧) مادة (نمل)
(١٢٨) المواد (بسس) و (ربض).
(١٢٩) مادة (سوا)
(١٣٠) المواد (قدر) و (ركك)
(١٣١) مادة (جوت) .
(١٣٢) مادة (حمد) .
(١٣٣) مادة (ورد) .

من الأدوية المفردة والمركبة » لابن جزلة علي بن عيسى الكاتب من تلامذة النصير الطوسي الطبيب المتوفّى سنة ٤٩٣ هـ .

ضمّنه مؤلفه ذكر جميع الأدوية والأشربة وكلّ مركّب وبسيط ومفرد وخليط ورتّبه على حروف المعجم (١٣٤) .

ط ـ المصادر (١٣٥) : للبيهقي أبي جعفر أحمد بن علي البيهقي المتوفىّ سنة ٥٤٤ هـ .

نقل الرازي منه مرة واحدة إذ قال : « ذكر البيهقي في مصادره »(١٣٦)

الهروي : الغريب : لأبي عُبيد الهروي : القاسم بن سلاّم المتوفّى سنة ٢٢٤ هـ .

نقل منه مرة واحد (١٣٧) .

لقد قلنا : إنّ الرازي زاد على مادة الصحاح اللغوية فوائد كثيرة منها ماهو منقول من المصادر المختلفة ومنها مازاده الرازي من عنده مما يمثّل ثقافته الشخصية التي حصل عليها بالممارسة الطويلة والقراءة الكثيرة . والمقام يقتضي حصر هذه الفوائد والتمثيل لها بما يوضّح الغرض المطلوب .

١ ـ النقد :

لقد وجّه الرازي نقداً خفيفاً لصحاح الجوهري وكتب عليه ملاحظات قليلة يمكن توزيعها على مايأتي :

أ ـ التناقض في عبارات الجوهري :

١ ـ قال الجوهري في مادة (كسف) : « كسفت الشمس من باب جلس وكسفه الله يتعدّى ويلزم قال الشاعر :

الشمس طالعةٌ ليست بكاسفة   تبكي عليك نجوم الليل والقمرا

أي ليست تكسف ضوء النجوم مع طلوعها لقلّة ضوئها وبكائها عليك » قال

---

(١٣٤) انظر كشف الظنون ٢/١٨٧٠ .

(١٣٥) الاسم الكامل للكتاب هو (تاج المصادر) انظر المعجم العربي ١/١٧٨ .

(١٣٦) مادة (بس) .   (١٣٧) مادة (ركك).

الرازي : « قلت : أورد هـذا البيت في « بكى » وجعل النجومَ والقمرَ منصوبة بقوله تبكي ، وهنا جعلها منصوبة بكاسفة وفيه نظر » .

وقال الرازي في ماد (بكى) : « قلت : أورد رحمه الله هذا البيت في (كسف) وجعل النجوم والقمر منصوبة بكاسفة وهنا جعلها منصوبة بقوله تبكي وفيه نظر » .

٢- وقال الجوهري في (فمم) : « الفم أصله فوه نقصت منه الهاء فلم تحتمل الواو الاعراب لسكونها فعوّض عنها الميم » قال الرازي : قلت : قال في (فوه) إنّ الميم عِوضٌ عن الهاء لامن الواو وهو مناقض لقوله هنا »

وقال الجوهري في (فوه) : « الميم في فم عوض عن الهاء في فوه لاعن الواو » .

قال الرازي : « قلت : قال في فم أنّ الميم فيه عوض عن الواو وهو مناقض لقوله هنا » .

٣- قال الجوهري في مادة (سخن) : « وماءٌ مُسَخّنٌ وسخين » وأنشد ابن الاعرابي :

مشعشعة كأن الحصّ فيها إذا ما الماء خالطها سخينا

قال : وقول من قال : جُدْنا بأموالنا ليس بشيء

قال الرازي : قلت : قد ذكر رحمه الله في سخي ضد هذا

وجاء في مادة (سخي) : قال الجوهري : « وسخي بالكسر سخاء فيها قال عمرو بن كلثوم :

مشعشعة كأنّ الحصّ فيها إذا ما الماء خالطها سخينا

أي جُدْنا بأموالنا ، وقول من قال : سخينا من السخونة نصب على الحال ليس بشيء » .

قال الرازي : « قلت : قد ذكر رحمه الله تعالى في سخن ضد هذا »

وأمثلة ذلك كثيرة (١٣٨) .

ب- إغفال التفسير أحيانا :

قال الجوهري في مادة (عتو) : « عتا من باب سما وعُتيّاً أيضاً بضم العين و كسرها فهو عاتٍ وقوم عُتِيّ وتعتّى مثل عتا ولا تقل عتيتُ » .

قال الرازي: « قلت : العاتي المجاوز للحدّ في الاستكبار والعاتي الجبّار أيضاً ، وقيل العاتي هو المبالغ في ركوب المعاصي المتمرّد الذي لا يقعُ منه الوعظُ والتنبيه موقعاً والجوهري رحمه الله تعالى لم يفسره »

جـ- وضع الألفاظ في غير مواضعها :

١- قال الجوهري : « ومالي بفلان يدان أي : طاقة . وقال الله تعالى « والسماء بنيناها بأيدٍ »

قال الرازي : « قلت : قوله تعالى بأيدٍ أي : بقوّة وهو مصدر آدَ يئيدُ أيداً إذا قوِيَ وليس جمعاً ليد ليُذكَر هنا بل موضعه باب الدال وقد نصّ الأزهري على هذه الآية في الأيد بمعنى المصدر . ولا أعرِف أحداً من أئمة اللغة أو التفسير ذهب إلى ما ذهب إليه الجوهري من أنّها جَمعٍ يد »

٢- وقال الجوهري في مادة (عندلب) : « والبلبل يعندل أي يصوّت» .

قال الرازي : « قلتُ والبلبل يعندل موضوعه باب اللام في (عندل) وقد ذكره فيه فذكره هنا ضائع » .

د- اقتصار الجوهري على الغريب أحياناً وإغفال المشهور من كلام العرب .

١- قال الجوهري في مادة (ايت) : « ألاته من عمله شيئاً نقصه مثل ألته » .

قال الرازي : « قلت : لاته يَليتُه بمعنى ألته أشهر من ألاته وهي من القراءات السبع ولم يذكرها » .

(١٣٨) انظر المواد : (وكر) و (عشش) و (جنز) و (نعش) .

٢– وقال الجوهري في مادة (ظهر) : « والظِهار قول الرجل لامرأته أنتِ عليَّ كظهر أمّي وقد ظاهر من امرأته وتظهّر منها وظهّر منها تظهيراً كلّه بمعنى » .

قال الرازي : « قلتُ : ترك تظاهر منها وهي مما قُرِئ به في السبعة وذكر ظهّر الذي من غرابته لم يُقرأ به في الشوّاذ أيضاً » .

هـ– ضعف التفسير :

نقل الرازي من الصحاح في مادة (زرب) : « الزرابيّ : النمارق » وعقّب على ذلك بقوله : « قلتُ : النمارق الوسائد وهي مذكورة قبل آية الزرابيّ فكيف يكون الزرابيّ النمارق ، وانّما هي الطنافس المخمّلة البُسُط » .

و– الانفراد بألفاظ أو معانٍ لم ترد في مصادر أخرى .

فقد عبرّ الرازي عن شكّه في ألفاظ معينة انفرد بها الجوهري في الصحاح فأوردها الرازي من غير تصريح بعدم صحتها لأنه ليس لديه مايؤيّد شكّه ، فهو ينقل عن الجوهري قوله : « والتفخيذ المفاخذة » ثم يعقّب على ذلك بقوله : « قلت : لم أجد المفاخذة فيما عندي من الأصول » (١٣٩) .

ونقل عن الجوهري قوله : « والناقوس أيضاً مايُنمّس به الرجل من الاحتيال» وعقّب على ذلك بقوله : « لم أجد في ما عندي من أصول اللغة التنمّس والتّنميس بالمعنى الذي قصده » (١٤٠) .

ونقل عن الجوهري قوله : « التّوْبَة الرجوع عن الذنب وياب قال ... وقال الأخفش : التّوْبُ جمع تَوْبة كعَوْمة وعَوْم » وعقّب على ذلك بقوله : « قلتُ لم يذكر الجوهري في (عوم) معنى العَوْمة ولا وجدتُه في غير الصحاح من أصول اللغة التي عندي » (١٤١) .

---

(١٣٩) مادة (فخذ)

(١٤٠) مادة (نمس) (١٤١) مادة (توب) .

دفاع عن الجوهري :

الواقع أنّ الرازي لم يكن مُصيباً في كل ملاحظاته فقد تعسّف في حكمه في قسم من تلك الملاحظات وكان الحقّ فيها مع الجوهري . ويجدر بنا في هذا المقام أن نذكر بعضاً من تلك الملاحظات لندلل على وهم الرازي وإصابة الجوهري .

١- قال الجوهري في مادة (قنا) : « وأحمرُ قانٍ أي : شديد الحمرة » .

قال الرازي : « قلتُ المشهور أحمر قانئٌ بالهمزة كما ذكره أئمة اللغة في كتبهم حتى الجوهري رحمه الله تعالى فانّه ذكره في باب الهمزة أيضاً ولو كان من البابين لنبّه عليه أو لذكره غيره في المعتلّ ولم أعرف أحداً غيره ذكره فيه فيجوز أن يكون من سبق القلم » .

والجواب على ذلك ان الفيروزآبادي أورده في المعتلّ أيضاً .

ونبّه ابن الطيبّ الفاسي شيخ الزّبيدي على أنّ اعادة ذلك في (قنى) اشارة الى الخلاف في أصله فقد يكون مهموزاً وقد يكون مخفّفاً واشار ابن منظور في اللسان (١٤٢) الى ذلك مستشهداً بحديث أنس عن أبي بكر وصَبْغه : « فغلّفها بالحنّاء والكتم حتى قنا لونها » أي أحمرّ .

واشار الزبيدي في التاج الى ذلك أيضاً ولكنه قال : « انّ ذكرَه في الياء بعيد عن الصواب فإنّه من قنا يقنو اذا اشتدّت حمرتُه ، وأحمرُ قانٍ شديد الحُمرة » لذلك أورده الزّبيدي في مادة (قنو) من التاج .

٢- قال الجوهري في مادة (عندل) : « العندليب بوزن الزّنجبيل : طائر يقال له الهزار » .

قال الرازي : « قلت : العندليب موضعه باب الباء وقد ذكره فيه فهو هنا زيادة » .

---

(١٤٢) مادة (قنو) .

والغريب أنّ ماذكره الرازي في مادة (عندل) لاوجود له في الصحاح المطبوع (١٤٣) .

٣- ونقل الرازي قول الجوهري في مادة (برر) : « ويتبرَّرَه أي : يُطيعُه » وعقّب الرازي على ذلك بقوله : « قلتُ : لاأعلم أحداً ذكر التبرُّر بمعنى الطاعة » .

ونحن نقول : جاء في القاموس : « البرُّ الطاعة كالتّبرُّر »
وزاد الزّبيدي في التاج : « يُقال : فلانٌ يَبَرُّ خالقه ويتَبَرَّرُه أي : يُطيعُه » .

٤- ونقل الرازي قول الجوهري في مادة (درك) : « الادراك : اللّحوق » وعقّب عليه بقوله : « قلتُ : صوابُه اللّحاق » .

ونحن نقول إنّه لامجال لتوهيم الجوهري في ماقال فقد جاء في اللسان (لحق) : « اللّحْقُ واللّحُوق والالحاق : الادراك . . .واللّحاق مصدر لحِق يلحَقُ لحاقاً » .

وهذا يعني أنّ ماأورده الجوهري ، وما أورده الرازي كلاهما صحيح » .
٥- ونقل الرازي قول الجوهري في مادة (هجس) : « الهاجسُ : الخاطِرُ، يُقال : هَجَسَ في صدري شيٌ أي : حدث وبابه ضَرَبَ » وعقب الرازي على ذلك بقوله : « قلتُ : استعمل حدث بمعنى وقع وخَطَر وهو غير معروف بهذا المعنى »

نقول : « الظاهر أنّ تصحيفاً وقع في نسخة الرازي من الصحاح والظاهر أيضاً أنّها (حدس) بالسين لا بالثاء كما هو الحال في المطبوع من الصحاح(١٤٤)
٦- ونقل عن الجوهري في مادة (زفت) قوله : « الزِفتُ كالقير » وعقّب الرازي على ذلك بقوله : « قلتُ : قال الأزهري : الزِفتُ القيرُ »

---

(١٤٣) انظر الصحاح تحقيق أحمد عبدالغفور عطار (عندل) .
(١٤٤) انظر الصحاح تحقيق أحمد عبدالغفور عطار .

ونحن نقول إنّ الجوهري نفسه قال ما قاله الأزهري في التهــذيب ودليلنا على ذلك الصحاح المطبوع . (١٤٥)

والواضح أنّ بعض مـــا سُجِّل على الجوهري من ملاحظات كان بسبب أوهام النُّسّاخ وقد وقف الرازي على شيء من ذلك في مختاره . فقد جاء في المختار : « وائتاب بوزن اغتاب مثل آب فَعَل وافتعلَ بمعنى قال الشاعر:

ومن يتّق فانّ الله مَعْه   ورزق الله مؤتابٌ وغادي

قلت : وفي أكثر النُسخ واتّأبَ مضبوط بتشديد التاء وهو من تحريف النُّسّاخ والبيت يدل عليه وأيضاً فانّ اتّأبَ بمعنى استحيا وهو مذكور في وأبَ فليس هذا موضعه ولا التفسير مطابقاً له » .

وقد وقع الرازي نفسه في الوهم عندما صحّف كلام الجوهري بسبب تصحيف النّسّاخ فقد جاء في المختار : « والذُّبّانةُ بالضم وتشديد الباء ونون قبل الهاء واحدة الذُّباب ولا تقلْ ذبّانة بالكسر وجمع الذُباب في القِلةَ أَذِبّة والكثير ذِبّان كغراب وأغرِبة وغِربان » (١٤٦)

وجاء في الصحاح : « والذُّبَاب معروف الواحدة ذُبَابة ولا تقُلْ ذِبّانة ... الخ » .

وورد في اللسان مثل ما ورد في الصحاح . وهذا يعني أنّ قوله : « الذُّبّانَة ... واحدة الذّباب » ليس في الصحاح وانّما هو وهم وقع فيه بسبب النّسخ .

٢ـ التحقيق :

اعتمد الرازي في تحقيق المادة اللغوية وتوثيقها على مصدرين : المصدر الأول : الشواهد . والمصدر الثاني : النقل من الكتب .

(١٤٥) المصدر نفسه .
(١٤٦) المختار (ذبب) .

أ- الشواهد :

لقد استشهد الرازي بالقرآن الكريم والحديث النبوي والشعر والأمثال وأقوال الفصحاء . ونقل شواهد الصحاح في المختار بنسب مختلفة أشرنا إليها في ما سبق من أبواب . وكان اعتماده في تحقيق مادة الصحاح على الشواهد القرآنية التي استقاها هو نفسه من القرآن الكريم لتوثيق ألفاظ الصحاح ومعانيها :

١- قال الجوهري في مادة (صدع) : « الصَّدْعُ : الشَّقّ . وقد صدعه فانصدعَ وبابه قطع » وعقّب الرازي على ذلك بقوله : « قلت ومنه قوله تعالى : والأرض ذات الصّدع » .

٢- وقال الجوهري في مادة (جمع) : « والجميعُ ضد التفرّق » وعقّب الرازي على ذلك بقوله : « قلتُ : ومنه قوله تعالى : جميعاً وأشتاتاً »

٣- وقال الجوهري في مادة (أيل) : « وآلى يـُؤلي إيلاء حلَف وتألّى وائتلى مثله » وعقّب الرازي على ذلك بقوله :« ومنه قوله تعالى : ولا يأتلِ اولو الفضل منكم » .

٤- قال الجوهري في مادة (عقب) : « وأكل أكلةً أعقبته سقماً أي : أورثته » وعقّب الرازي على ذلك بقوله : « قلت : ومنه قوله تعالى : أعقبهم نفاقاً ، أي : أورثهم بخلهم نفاقاً »

وأمثلة ذلك كثيرة (١٤٧)

ب- النقل من الكتب :

وفي مقدّمة هذه الكتب التهذيب للازهري إذ نقل منه أشياء كثيرة وثّق بها مادة الصحاح اللغوية .

١- فقد نقل من الصحاح في مادة (قلت) قول الجوهري : « القَلَتُ والمسنون الوجه الذي في أنفه ووجهه طولٌ » .

(١٤٧) انظر المواد (سرب) و (ثوب) .

بفتحتين الهلال وبابه طرِب وقال أعرابيّ إنّ المسافر ومتاعه لعلى قَلَتٍ الا ما وقى الله » ، وعقّب الرازي على ذلك بقوله : « قُلْتُ : وهكذا رواه الأزهري أيضاً ولا أعرفُ أحداً من أئمة اللغة يرويه حديثاً كما يرويه بعض الفقهاء في كتبهم » .

٢- ونقل من الصحاح في مادة (ثجج) قول الجوهري : « والثّج أيضاً سيلان دماء الهَدْي وهو لازم نقول منه ثجَّ الدمُ يثِجُّ بالكسر ثجاجاً بالفتح » . وقال الرازي معقّباً على ذلك بقوله : « قلتُ : وقد نقل الازهري عن أبي عُبيد مثل هذا » .

٣- التوضيح والتكميل :

فهو يفسّر الغامض من كلام الجوهري ويوضّح ما يحتاج إلى توضيح ويكمل شواهده الناقصة إذا وجد أنّها تحتاج إلى إكمال وقد يبيّن طبيعتها إذا وجد ذلك ضرورياً . وأمثلة ذلك كثيرة في ثنايا المختار .

أ- جاء في الصحـــاح في مادة (تفه) : « التافه الحقير اليسير وقد تفِه من باب طرِبَ ، وفي الحديث في ذكر القرآن : لا يتفَه ولايتشانُّ »وعقّب الرازي على ذلك بقوله : « لا يتفه أي : لا يصيرُ حقيراً ولا يتشانُّ : لايُخلِق على كثرة الردّ ، من قولهم : تشانّت القِربة أي أخلقتْ وصارت شنّاً »

ب- وقال الجوهري في (طهم): « وجهٌ مُطَهّم أي مجتمع مدور ومنه الحديث في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم يكن بالمُطَهّم ولا بالمُكلثم أي : لم يكن بالمدوّر ولا بالموجَن ولكنّه مسنون الوجه » . وعقّب الرازي على ذلك بقوله : « قلتُ : الموجَنُ العظيم الوجنات وهو المُكَلْثَم .

ج- وقال الجوهري في (بخل) : « ويُقـــال : الولد مبخلةٌ مجبنةٌ » وعقّب الرازي على ذلك بقوله : « قلت هذا حديث عن النبيّ صلى الله عليه وسلم » .

د- وقال الجوهري في (سكك) : والسِّكة أيضاً الطريقة المصطفّة من النخل ومنه قولهم : خيرُ المال مهرة مأمورة او سِكة مابورة أي : ملحقة» وعقّب الرازي على ذلك بقوله : « قلتُ : هذا حديث ذكره المحدّثون وأئِمة اللغة عن النبيّ صلى الله عليه وسلم والجوهري أيضاً ذكره في أمر وقال وفي الحديث » .

هـ- قال الجوهري في(سجد) : « والسجّادة الخُمْرة » وعقّب الرازي على ذلك بقوله : « الخُمْرة سجّادة صغيرة تعمل من سعف النخيل وترمل بالخيوط » .

و- وقال الجوهري في مادة (وري) : « وَرَى القيحُ جوفه يَريه وَرْياً : أكله وفي الحديث لأنْ يمتلِئْ جوف أحدكم قيحاً حتى يَرِيَه » ، وأكمل الرازي الحديث بقوله : « قلتُ : تمام الحديث خيرٌ من أنْ يمتلِئْ شعراً »

ز- وقال الجوهري في مادة (حرث) : « الحَرْثُ كَسْبُ المال وجمعه أحراث وبابه نصر ، وفي الحديث : احرث لدنياك كأنّك تعيش أبداً » وزاد الرازي بعد ذلك قوله : « قُلْتُ : تمام الحديث واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً كذا نقله الفارابي في الديوان » .

وأمثلة ذلك كثيرة (١٤٨) .

٤- الاستدراك :

زاد الرازي موادّ ومعاني ولغات ونظائر قليلة على صحاح الجوهري استقاها من مصادره التي اعتمد عليها . والظاهر أن هذه الموادّ والمعاني واللغات كانت شائعة مشهورة في زمانه فسدّ بها ثغرة في ما هو مستعمل معروف آنذاك .

---

(١٤٨) انظر المواد : (حبب) و (جرب) و (غلب) و (قلب) و (طرح) و (طلح) و (غبب) و (زيد) و (صحب) و (عتب) .

فبعد أن أورد معاني مادة (سلك) ومشتقاتها قال الرازي : « ولم يذكر في الأصل سلك الطريق إذا ذهب فيه وبابه دخل وأظنّه سها عن ذكره لأنّه مما لا يُترك قصداً » .

وبعد أن ذكر معاني مادة (خلل) ومشتقاتها قال : « قلتُ : لم يذكر اختلّ الأمرُ بمعنى وقع فيه الخلل » .

وبعد أن نقل قول الجوهري في مادة (زمهر) : « الزمهرير شدّة البرد» عقّب على ذلك بقوله : « قلت : وقال ثعلب الزمهرير أيضاً القمرُ في لغة طيِّئٍ وأنشد :

وليلة ظلامُها قد اعتكر قطعتُها والزمهرير ما زهر

وبه فسّر بعضهم قوله تعالى « ولا زمهريرا » أي : فيها من الضياء والنور ما لا يحتاجون معه إلى شمس ولا قمر » .

وبعد أنْ نقل عن الجوهري في مادة (أرب) قوله : « والمأربة بفتح الراء وضمّها » عقّب عليه بقوله : « قلتُ : ونقل الفارابي مأرِبة ايضاً بالكسر وبابه طرِب » .

وبعد أن أورد قول الجوهري في مادة (ثقب) : « والثُّقبُ بالضم جمع ثُقْبة كالثُقَب بفتح القاف » عقّب عليه بقوله : « قلتُ : ونظيره دُلْبة ودُلَب ونُقبة ونُقَب » .

وبعد أنْ نقلَ عن الجوهري في مادة (ثوب) قوله : « والمثابةُ الموضع الذي يثابُ إليه مرة بعد أخرى ومنه سُمّي المنزل مثابة وجمعه مثاب » عقّب الرازي على ذلك بقوله : « قلتُ : ونظيره غمامة وغمام وحمامة وحمام » .

٥- التنبيهات :

ينبّه الرازي في المختار على مواضع الألفاظ في الصحاح وتنبيهه هذا ناشئٌ من اختلاف اللغويين أحياناً من صِحّة اللفظة واعتلالها فقد يراها بعضهم

صحيحة الآخِر ويراها آخرون معتلة الآخِر وهذا يعني أنّ اللفظة قد تقعُ في موقعين مختلفين من المعجم ، وهذا ما نبّه الرازي عليه في مختاره .

وقد يستشهد الرازي بآية قرآنية أو حديث نبوي ويرى بعض ذلك محتاجاً إلى تفسير أو توضيح فنبّه على موضع تفسيره في كتابه . وقد ترِد اللفظةُ في موضع مقترنة بلفظة أخرى وهذا يقتضي ورود هذه اللفظة في مكان آخر من المعجم بسبب هذا الاقتران فينبه الرازي على ذلك أيضاً .

فقد نقل عن الجوهري في مادة (ألث) قوله : « ألَثَّ بالمكان : أقام به . وفي الحديث لا تِلِثّوا بدار معجزة » وعقّب على ذلك بقوله : « وتفسيره في عجز » .

ونقل عن الجوهري في مادة (بهأ) قوله : بَهَأْتُ بالرجل وبهِئتُ بَهْأً وبهُوءاً : أنِست به وما بهأْتُ له : أي : ما فطِنتُ والبَهـاء من الحسن ، وعقّب الرازي على قوله « والبهاء من الحسن » بقوله : « يأتي في المعتلّ » .

ونقل عن الجوهري في مادة (كفأ) قوله : « ومُكفئ الظعن يوم من أيّام العجوز » وعقّب عليه بقوله : « قلتُ : ذكره في عجز » .

ونقل عن الجوهري قوله في مادة (نبأ) : « ومنه النبيء لأنه أنبأ عن الله تعالى » وعقّب الرازي على ذلك بقوله : « قلت : تمام الكلام في النبي مذكور في نبأ من المعتلّ » .

ثالثاً : الضبط :

نقل الرواة عن العرب الفصحاء ثروة لغوية كبيرة ، وكان جُلُّ اعتمادهم في ضبط مفرداتها على السماع ، وبعد ذلك دُوِّنت اللغة وكانت في أول أمرها خالية من الاعجام والاعراب ، وكانت السليقة العربية آنذاك كفيلة بضبط ألفاظ اللغة على الصورة التي دُوِّنت بها .

وقد اعتمد أئمة اللغة في رسائلهم اللغوية – في أول عهدهم بالتدوين – على الرواية ومشافهة العرب الفصحاء . ثم انتقلوا بعد ذلك من طور تأليف الرسائل اللغوية إلى طور التأليف المعجمي فنقلوا مادة الرسائل اللغوية في كتب كبيرة سمّوها المعجمات حصروا فيها ما وصل إليهم ما استعمله العربُ من الفاظ اللغة في أطوار حياتهم المختلفة .

وقد اهتمّ المعجميون بضبط ألفاظ معجماتهم ، ويظهر أنّ ضبط القلم لم يؤمنْ معه التصحيف والتحريف اما سهواً من الضابط واما سهواً من النسّاخ لذلك انتقل ضبط المفردات اللغوية من طور الضبط بالقلم إلى طور الضبط بالعبارة ونعني به وصف حروف اللفظة وبيان حركة كل حرف فيها بالكتابة لا بضبط القلم .

وقد ضبط الرازي معجمه بالقلم وبالكتابة وكأنّه كان يحذر من أن يقع فيما وقع فيه غيره من التصحيف والتحريف بمرور الأيام .

وفكرة الضبط بالعبارة ليست جديدة عند الرازي فقد رأيناها في البارع للقالي والتهذيب للازهري والصحاح للجوهري . والملاحظ أنّ الرازي كان أكثر من الجوهري ضبطاً وتقييداً فهو يضبط ما أهمله الجوهري وقد يزيد على ضبطه ضبطاً جديداً من عنده .

وقد بيّن الرازي في مقدّمة المختار الخطوط المنهجية الدقيقة في ضبط كتابه . وتلك الخطوط هي مظهر من مظاهر بروز شخصيته في هذا المعجم الصغير ، لأنّه كان يرمي من هذا الضبط إلى هدفين :

الهدف الأول : الاختصار :

فهو لا يذكر في البابين الرابع والخامس من الأفعال الثلاثية إلاّ الماضي المقيّد والمصدر طلباً للايجاز . ولا يذكر الفعل الماضي إذا كان مضارعه مضموم العين أو مكسورها لأن الماضي يكون حينئذٍ مفتوح الوسط لا محالة .

ثم أنّه يسند كلّ فعلٍ إلى ضمير الغائب غالباً لأنّه أخصر في الكتابة إلا في المواضع التي يقع فيها اللبس فانّه يسنده إلى ضمير المتكلّم . ثم أنّه لا يذكر مضارع الفعل ولا مصدره في ما زاد على ثلاثة أحرف لأنّه جار على القياس في الغالب . وهو لا يذكر الفعل المتعدّي بالهمزة او بالتضعيف بعد ذكر لازمه لأن لازمه متى عُرِف فقد عُرِف تعـدّيه بالهمزة والتضعيف . ولا شكّ أنّ الغاية من هذه الوسائل في الضبط والتقييد الاختصار .

الهدف الثاني : تحصين معجمه من التصحيف والتحريف اللذين يمكن أنْ يقعا في أيّ معجم إذا أهمِلَ ضبطُه .

فقد بيّن الرازي في مقدمة (١٤٩) كتابه قصده من زيادة ضبط اللفظ بالميزان أو النصّ على حركاته ، وهـذا القصد هو أن لا يتطرّق إلى اللفظ بمرور الأيام تحريف النسّاخ وتصحيفهم لأنّ التصحيف وقع في مصنّفات الذين سبقوه من المعجميين الذين اعتمدوا على ظهور الألفاظ عندهم فأهملوا ضبطها فوقع ما وقع مما كان الرازي يخشى وقوعه .

ويمكن حصر أهم أساليب الضبط بالكتابة عند الرازي ما يأتي :

١ـ الضبط ببيان نوع الحرف :

قال الرازي : « وبأرَ بِئراً بهمزة بعد الباء حفره » (١٥١) وقوله بهمزة بعد الباء من زياداته على الجوهري .

٢ـ الضبط بالحركات والسكنات :

قال الرازي : « والبُؤْبُؤ بالضمّ : أصل الشيء » و « أدُبَ بالضم أَدَباً

(١٤٩) راجع حديثه عن الخطوط المنهجية في ضبط المختار في أول هذا البحث في الدراسة المخصصة للمقدمة .

(١٥٠) ص ٧-٨ . (١٥١) مادة (بأر) .

بفتحتين » و « الجُنْدُب بفتح الدال وضمها ضرب من الجراد (١٥٢) فقوله في العبارات السابقة : بالضمّ وبالكسر وبفتحتين وبفتح الدال وضمها من زياداته .

٣ــ الضبط بالأوزان :

أـ الوزن الصرفي :

قال الرازي : « البَرِّيتُ بوزن فَعْليت البَرِّيّة » و « تبارُّوا تفاعلوا من البِرّ » و « ويقال هذا تَوْأم هذا : على فَوْعل » (١٥٣) .

ويظهر أنّ الضبط بالوزن الصرفي مما نقله من الجوهري فاكتفى به ولم يزد عليه .

ب ــ الوزن باللفظ الذي يشبه اللفظ الموزون :

قال الرازي : « الأَبَدُ : الدهرُ والجمعُ آباد بوزن آمال وأُبود بوزن فلوس » و « ائتاب بوزن اغتاب » و « الخَرُّوب بوزن التنّور : نبت معروف والخُرْنوب بوزن العُصفور لغة » (١٥٤) . فقوله ــ في العبارات السابقة ــ بوزن آمال وبوزن فُلوس وبوزن اغتاب وبوزن التنُّور وبوزن العصفور من زياداته .

٤ــ الضبط ببيان نوع الصيغة :

قال الرازي : « جُدِّر الصبيّ فهو مُجَدَّر على ما لم يُسَمَّ فاعله » و « زُكِم الرجلُ على ما لم يُسَمّ فاعله » (١٥٥)

فقوله على ما لم يُسَمَّ فاعله ــ في العبارتين ــ من زياداته .

٥ــ الضبط بالاشارة إلى الباب :

---

(١٥٢) انظر على التوالي المواد : (بأبأ) و (أدب) و (جندب) .
(١٥٣) انظر على التوالي المواد : (برر) و (وأم) .
(١٥٤) انظر على التوالي المواد : (أبد) و (أوب) و (خرب) .
(١٥٥) انظر مادتي : « جدر » و « زكم » .

قال الرازي : « بدأ به وابتدأ وبدأه فعله ابتداء وبدأ الله الخلقَ ... وباب الثلاثة قطع » و « بريءٌ منه ومن الدَّين والعيب من باب سلِم » و آب : رجع وبابه قال » (١٥٦) .

فقوله في العبارات السابقة — « وباب الثلاثة قطع » و « من باب سلم » و « بابه قال » من زياداته .

وقد يستخدم الرازي أكثر من أسلوب واحد في ضبط الكلمة وهو نوع من المبالغة في الدِقّة والحرص على ضبط كلام العرب فقد ضبط بعض الألفاظ بالوزن والمعنى من ذلك قوله : « يقال جاءت إبلُكَ أبابيل أي : فِرقاً وطيرٌ أبابيل ... نظيره وزناً ومعنى طيرٌ أَبابيد » (١٥٧) ومن ذلك أيضاً قوله : و « بَيْدَ كغير وزناً ومعنى » (١٥٩) .

وقد يضبط اللفظ بالحركة وبيان نوع الحرف كقوله : « والحَدَبَة بفتح الدال ... التي في الظهرِ » و « المِخْلَبُ بكسر الميم للطائر والسباع كالظفر للانسان » و « الدأب بسكون الهمزة العادة والشأن » (١٥٩) .

وقد يضبط اللفظ بذكر الوزن الصرفي واللفظ المماثل . فهو يقول : « والتّأْخاذُ كالتِّذكار تَفْعال من الأخذ » (١٦٠) .

مختار الصحاح ما له وما عليه :

١ــ قيمة المختار :

لم يكن المختار مجرّد مختصر لصحاح الجوهري فقد برزت شخصية الرازي فيه بوضوح إذ بنى اختصاره على منهج واضح الغاية منه التقاط الفاظ القرآن الكريم والحديث النبوي وما هو مشهور مستعمل في زمانه من

(١٥٦) انظر المواد : (بدأ) و (برأ) و (أدب) .
(١٥٧) مادة : (أبل) .　　(١٥٨) مادة (بيد) .
(١٥٩) انظر المواد : (حدب) و (خلب) و (دأب) .
(١٦٠) مادة : (أخذ) .

صحيـــح اللغة . وزاد على ذلك فوائد لغوية كثيرة استقى بعضها من تهذيب اللغة للازهري ومن غيره من كتب اللغة المعتمدة . واستقى البعض الآخر من ثقافته الخاصة في العلوم المختلفة . وضبط بعد ذالك معجمه ضبطاً دقيقاً وحصّنه مما يمكن أنْ يقع فيه من التصحيف والتحريف بسبب النسخ بمرور الايّام .

لقد أعدّ لنا الرازي معجماً صحيحاً غاية في الصحة وخلّصه من عويص اللغـــة وغريبها طلبـــاً للاختصار وتسهيلاً للحفظ . وعارض المادة اللغوية فيه على نسخ كثيرة من صحاح الجوهري (١٦١) . فلا عجب إذن أن يهتمّ به الباحثون ويتداولونه حقبة طويلة من الزمن ، وتتفنّنُ الأوساط العلمية في طبعه طبعات جيدة ليكون مرجعاً مهماً من مراجع لغتنا العربية الشريفة . قال فيه أدوارد فنديك (١٦٢) — بعد اطلاعه على منهجه الدقيق في تناول المواد اللغوية : « فصار المختار أصح من الصحاح وهو بالحقيقة جوهرة من الجواهر » .

وقد أفاد منه مرتضى الزّبيدي فجعله واحداً من مراجعه المهمة في تاج العروس (١٦٣) .

وأفاد منه أحمد عبد الغفور عطّار (١٦٤) فجعله مصدراً مهماً من مصادر تحقيق الصحاح ونقل منه كثيراً من الفوائد وكثيراً من التصحيحات التي قوّم بها مادة الصحاح اللغوية .

٢— ما يؤخذ على المختار :

لقد نجح الرازي في تطبيق منهجه في المختار إلى حدٍ كبير وبخاصة

---

(١٦١) انظر مختار الصحاح : (كفأ) و (أوب) و (بتت) و (جدب) فقد أشار فيها الرازي الى نسخ الصحاح التي قرأها واعتمد عليها في تحقيق المادة اللغوية في المختار .

(١٦٢) اكتفاء القنوع .

(١٦٣) ذكره في المقدمة ٦/١ ونقل منه في التاج ٦٣/١ و ٤٢٢/٣ .

(١٦٤) الصحاح — انظر على سبيل التمثيل ٨٩/١ ، ١٤٣ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ ٤٢٣ ، ٤٤٤ ، ٤٧٨ ، ٤٨١ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٥٢٣ ، ٥٣٠ .

ما يتعلّق بالألفاظ القرآنية إذ استقصى هذه الألفاظ في الصحاح فنقلها برُمّتها ومن الطبيعي أنْ يهمل الرازي ما أهمله الجوهري منها لأنه يختصر كتابه .

فقد أهمل لفظ « الأنام » الذي ورد في قوله تعالى : « والأرض وضعها للانام » (١٦٥) وأهمل لفظ « التابوت » الذي ورد في قوله تعالى : « أن اقذفيه في التابوت » (١٦٦) وقوله تعالى : « إنّ آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربّكم » (١٦٧) . وأهمل لفظ (تحت) الذي ورد في قوله تعالى: « له ما في السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى (١٦٨) . وأهمل لفظ « تلك » الذي ورد في قوله تعالى: « تلك إذن قسمةٌ ضيزى »(١٦٩)

وقد أهمل الرازي هذه الالفاظ وغيرها لأنّ الجوهري سبقه إلى إهمالها ولعلّ الجوهري أهملهـــا في صحاحه لشهرتها ودورانها على السنة الناس ووضوح معانيها وكان بمقدور الرازي أن يستدركها في معجمه كما استدرك مئات غيرها استقاها من كتب اللغة المختلفة .

وقد ألزم الرازي نفسه في مقدّمته بالاقتصار على المشهور والمتداول والجاري على الألسن من كلام العرب . ومع التزامه بذلك قصّر في اهمال كثير من الالفاظ التي وردت في صحاح الجوهري مع شهرتها وتداولها فأخلّ بمعجمه كثيراً حتى اصبح قاصراً عن استيفاء الألفاظ المشهورة .

فقد اهمل : « الربيء والربيئة بمعنى الطليعة والجمع الربايا . وقولهم إنّي لأربأ بك عن هذا الأمر أي : أرفعك عنه » (١٧٠) .

وأهمل : « الرّفاء بالمدّ الالتئام والاتّفاق ، يقال للمتزوج بالرّفاء والبنين » (١٧١) . وأهمل « مُرْفَأ السفينة وهو الموضع الذي تلجأ اليه السفينة»

(١٦٥) سورة الرحمن ١٠ . (١٦٦) سورة طه ٣٩ .
(١٦٧) سورة البقرة ٢٤٨ . (١٦٨) سورة طه ٦ .
(١٦٩) سورة النجم ٢٢ . (١٧٠) مادة (ربأ) . (١٧١) مادة (رفأ) .

(١٧٢) وأهمل : « الشيء وجمعه أشياء » (١٧٣) . وأهمل : « طأطأ رأسه : طامنه » (١٧٤) . وأهملَ : « قَمُؤ الرجلُ بالضمّ قماءً وقماءَةً : صار قميئاً وهو الصغير الذليل » (١٧٥) . وأهمل : « كفأتُ الاناءَ : كببْتُه » (١٧٦) وأهملَ « الكَمْأة واحدُها كَمْءٌ على غير قياس » (١٧٧) . وأهمل : « تَلَكّأ عن الأمر تلكُّؤاً تباطأ عنه وتوقف » (١٧٨) . وأهملَ : « تعِب بمعنى أعيا وأتعبه غيرُه فهو تعب ومُتعب » (١٧٩) . وأهملَ « الجباب التي تُلبس » (١٨٠) . وأهمل : « الجَعْبَة واحدة جعاب النُشّاب » (١٨١) . وأهملَ الذَّرِب : الحادّ من كل شيء ، ولسانٌ ذربٌ وفيه ذَرَابة أي : حِدَّةٌ » (١٨٢) . وأهملَ : « الأرنب واحدة الأرانب » (١٨٣) .وأهملَ : « السبّابة وهي من الأصابع مايلي الابهام » (١٨٤) . وأهملَ : « المشجَب : الخشبة التي تلقى عليها الثياب » (١٨٥) . وأهملَ : « شَحَب جسمه اذا تغير » (١٨٦) . وأهملَ : « شذَّبتُ الشجرة تشذيباً ، وجِذْعٌ مُشَذَّبٌ أي : مُقشر » (١٨٧) . وأهمل : « اصطحب القومُ : صحب بعضهُم بعضاً » (١٨٨) وأهمل « الصَخَب : الصياح والجَلَبة (١٨٩) . وأهمل : « الضَبّ : دُوَيْبّة والجمع ضباب وأضبّ » (١٩٠) . وأهمل : « الأنبوبة وهي ما بين كل عُقدتين من القَصَب ــ والجمع أُنْبوب وأنابيب »(١٩١) .

---

(١٧٢) مادة (رنأ) .

(١٧٣) مادة (شيأ) .

(١٧٤) مادة (طأطأ) .

(١٧٥) مادة (كمأ) .

(١٧٦) مادة (كفأ) .

(١٧٧) مادة (قمأ) .

(١٧٨) مادة (لكأ) .

(١٧٩) مادة (تعب) .

(١٨٠) مادة (جبب) .

(١٨١) مادة (جعب) .

(١٨٢) مادة (ذرب) .

(١٨٣) مادة (رنب) .

(١٨٤) مادة (سبب) .

(١٨٥) مادة (شجب) .

(١٨٦) مادة (شحب) .

(١٨٧) مادة (شذب) .

(١٨٨) مادة (صحب) .

(١٨٩) مادة (صخب) .

(١٩٠) مادة (ضبب) .

(١٩١) مادة (نبب) .

وأهمل الهَضَبة : الجبل المنبسط على وجه الأرض » (١٩٢) . وأهمل : « الفاختة واحدة الفواخت من ذوات الأطواق » (١٩٣) . وأهملَ : « التهافُت : التساقط قطعة قطعة . وتهافتَ الفراشُ في النار : أي تساقط . وكل شيء انخفض واتّضعَ فقد هفت وانهفت » (١٩٤) . وأهمل : « الياقوت والواحدة ياقوتة والجمع اليواقيت وهو فارسيّ معرّب » (١٩٥) . وأهمل : « الدّماثة : سهولة الخُلُق » (١٩٦) . وأهمل : « الحَشْرجَة : الغرغرة عند الموت وتردد النَفَس » (١٩٧) . وأهمل : « التّشَنُّج : تقبض الجلد » (١٩٨) . وأهمل الفاظاً أخرى كثيرة (١٩٩) .

رحم الله الرازي فقد قدّم للعربية معجماً مختصراً جيداً ، ذاعت شهرتـه بين الدارسين واهتمّ به القاصي والداني بسبب شهرة أصله وروعة اختصاره . فكان بحق معجماً دقيقاً غاية في الدِقّة يمكن الاعتماد عليه اِلى حدٍّ كبير .

★ ★ ★

(١٩٢) مادة (هضب) .
(١٩٣) مادة (فخت) .
(١٩٤) مادة (هفت) .
(١٩٥) مادة (يقت) .
(١٩٦) مادة (دمث) .
(١٩٧) مادة (حشرج) .
(١٩٨) مادة (شنج) .
(١٩٩) الألفاظ التي استشهدنا بها مستقاة من أبواب الهمزة والباء والتاء والثاء والجيم فقط .

شعر البَبَغاء (١)

- ٢ -

تحقيق

هلال ناجي

[٢٥]

وجلس الببغاء بحضرة ابي العشائر بن حمدان ، وبين يديه كانون قد عمل النار في باطن فحمه ، فقال فيه :

ومجلسٍ حلَّ مـن يحلُّ بهِ ... من المعالي في أرفعِ الـدرج
أمسى ندامُ الكانونِ فيه لنـا ... أكثَر أنسِ النفـوسِ والمُهَجِ
يُبدي لنا ألسُناً كالسنَةِ الـ ... حيّاتِ مـن ثابتٍ ومختلـجِ
لمّا بـدا الفحمُ فيـه أسود كالـ ... ليـلِ وبثَّ الشرارَ كالسُّرُجِ
ودبَّ صبغُ اللهيبِ فيـه بتضـ ... ريج خدود الشقائقِ الضرج
ظننتُ شمسَ الضُحى به انكشفتْ ... للخلقِ في قُبّةٍ مـن السّبَجِ

التخريج ؛ نثور المحاضرة ٣/٣٠٥

[٢٦]

وقال ابو الفرج الببغاء يصف سَبَطانة (١) :

١- وجَوْفاءَ حـاملـةٍ تهتدي ... الى كلّ قلبٍ بمقروحـه
٢- مُقَوَّمـة القَدِّ ممشـوقَة ... مُهفْهَفةِ الجسمِ ممسـوحه
٣- مُثَقّفة فَمُهـا عَيْنُهـا ... تُبَشّـر ظنّي بتصحيحـه
٤- فانْ هيَ والجارح أُستُنْهِضا ... إلى الصيـد عاقَتْهُ عن ريحه

---

(١) السبطانة : من آلات الصيد تتخذ من خشب ، مستطيلة كالرمح مجوفة الداخل يجعل الصائد بندقة من طين صغيرة في فيه ، وينفخ بها فيها فتخرج منها بحدة فتصيب الطير فترميه ، وهي كثيرة الاصابة .

٥ - إذا المرءُ أودعَها سِرَّه ... لتُخْفيه باحَتْ بتصريحه

٦- مَوَاتٌ تعيشُ اذا ما أعادَ ... لهـا النافخُ الـروحَ من روحه

٧- هـي السَّبَطَانة في شكلها ... ففي القلب حَرٌّ تَباريحه

٨- تَحُطُّ أبا الفرخ عن وَكْره ... وتَسْتَنْزِلُ الطيرَ من لُوحِه(١)

التخريج : مخطوطة مباهج الفكر ومناهج العبر الورقة ١٢٧ .
والابيات في نهاية الارب ١٠/٣٥٠ - ٣٥١ .
ورواية عجز الثالث : قلبي بتصحيحه .
ورواية عجز السابع : جد بتاريخه .

(١) اللوح : الفضاء بين السماء والارض .

[٢٧]

وقال الببغاء في تمثال سبع في رمح :

وضيغم في ذابلٍ يلـوح

مساورٌ تسيل منه الـروح

جسمٌ ولكن ليس فيه روح

التخريج : محاضرات الادباء ٢/٣٧٧ .

[٢٨]

ولـه :

١- غادِني بالصَّبُوح قبل الصَّباحِ ... واجْرِ في حَلْبَة الصِّبا والمراحِ

٢- واغتَنِمْ زائرَ الغرام فقد بشَّـ ... ـر بالغَيْثِ من نسيم الـرياح

٣- عاطنيها كالجُلَّنار إذا ما ... كُلِّلَتْ من حَبابها بالأقاحِ

٤- في اختصاص التُفّاح بالطيب والحُمْرةِ لافي كثافةِ التُفّاح

٥- غير نُكْرٍ أن تستمدَّ شعاعَ الـ ... ـشمسِ منها كواكبُ الأقداح

٦- فهْيَ أصْلُ الانوار لطفاً كما كا ... ساتها عنصر الـزلال القَراح

٧- خَدَمتها الأجسامُ بالطبع لمّا ... شاهَدَتْ قُرْبَها من الأرواح

٨- فتدارك بها حُشاشة أفرا ... حي وحَرِّك بها سكون ارتياحي

٩- بين وَرْدَيْنِ من بَنان وخدّ ... وشَرابَيْنِ من رضاب وراحِ

١٠- ونشيدٍ مُستَنْبط من حديث ... وغناءٍ يُغْني عن الإقتراح

١١- فألَذُّ الحياة ما خلط العا ... قِلُ فيه فسادَهُ بصلاح !

التخريج : يتيمة الدهر ٢٧٩/١ ، والابيات ١ ، ٣ ، ٤ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ في شرح المقامات ٦٥/٢ ورواية الثامن : حشاشة نفسي أو فحرك .
ورواية الحادي عشر : العاقل فيها .

[٢٩]

وقال النرجس :

١- ونرجس لم يَعْدُ مُبْيَضُّه الـ ... كأسَ ولا أصفرُهُ الراحا

٢- تخال أقْحافَ لجينٍ حوَتْ ... من أصفرِ العَسْجدِ أقداحا

٣- كأنّما تُهدي التحايا به ... لُطْفاً الى الارواح أرواحا

٤- يُلهي عن الورد إذا ما رنا ... ويَخْلُفُ المِسْكَ اذا فاحا

٥- أحْبِبْ به من زائرٍ راحلٍ ... عَوَّض بالأحزان أفراحا

٦- فانتهز الفرصَةَ في قربه ... وكُنْ الى اللذات مرتاحا

٧- وهاتها عذراء لم تُفْتَرَع ... في الليل إلاّ عاد إصباحا

٨- كأنما كل بنانٍ حوَتْ ... كاساتها تحمل مصباحا

٩- واجْنِ بالحاظِكَ منوَجْنَتَيْ ... مديرِها وَرْداً وتفاحا

التخريج : يتيمة الدهر ٢٨١/١ . والابيات من ١ - ٦ في مخطوطة حدائق الأنوار (الورقة ٥٤) .
ورواية الخامس : زائر رائح .
والابيات ١ - ٤ في شرح مقامات الحريري ١٠٥/١ .
رواية الثاني : تخال احقاق .
ورواية الثالث : كأنما يهدي المحيي به .
ورواية الرابع : يغني عن الورد اذا ما رنا ... ويخلف الورد اذا فاحا

[٣٠]

قال ابو الفرج الببغاء يصف شبكة (١) العصافير :

١ــ رَقْراقةٌ في السّرابِ تَحْسَبُها ... على الثّرى حُلّةً من الزَّرَدِ

٢ــ كالدِّرْعِ لكنّها مُعَوَّضَةٌ ... عن المسامير كثرةَ العُقَدِ

٣ــ سائرها أعينٌ مُفَتّحةٌ ... لا ترتضي نِسْبَةً الى جَسَدِ

٤ــ كأنّها في غرورها زخرف الد ... نيا المشوب السرور بالنكدِ

التخريج : مخطوطة مباهج الفكر ومناهج العبر الورقة ١٢٧ .

والابيات ١ - ٣ في نهاية الارب ١٠/٣٥٣ ورواية الثاني : في المباهج : كثرة العدد والتصويب عن النهاية .

(١) من آلات الصيد وهي شركة الصائد بصيد بها ، تتخذ من الخيوط وتعقد عقداً حتى تتشابك ثم تناط بحلقاتها أوتاد تشدها الى الارض وتنصب عادة في المراعي الخصبة وعلى مشارع المياه وينثر حولها العلف الذي يغري الطرائد بالاقتراب .

[٣١]

وقال :

لقد عَزَّ العزاء عليَّ لما ... تَصَدّى لي ليقتلني الصّدودُ

إذا بَعُدَ الحبيبُ فكلُّ شيءٍ ... من الدُنيا ولَذّتِها بعيدُ

التخريج : يتيمة الدهر ١/٢٧٣ .

[٣٢]

وقال :

يا مُسْقِمي بجُفونٍ سُقْمُها سَبَبٌ ... الى مواصلة الأسقام في جسدي

وحَقِّ جفنيك لا استعفيتُ من كَمَدي ... دهري ولو مُتُّ من همٍ ومن كَمَدِ

عذرت من ظلَّ في حُبِّيك يَحْسُدُني ... لأنه فيك معذور على حسدي

التخريج : يتيمة الدهر ١/٢٧٤ .

[٣٣]

وقال :

ما ضرَّ من بَعُدَ السرورُ ببعــده   لو كان يُجْمِلُ في صيانة عهده
يبــدو فأطرق هيبــةً ومخافــة   من أن يؤثر ناظــري في خــدّه
قد صِرْتُ أعْجَبُ أن عِلّة طرفه   ليســت تؤثّر علّةً في وُدّه

التخريج : يتيمة الدهر ١/٢٧٤ .

[٣٤]

وقال :

قد كان أحْسَنُ شيء بَعْدَ بُعْدِهم   بروح مِثْلِكَ أن تنأى عن الجسدِ
هُمْ بالوصال أعادوها اليك ، فَلِمْ   ذَخَرْتَها بعدهُمْ للصبر والجَلَدِ ؟
وعُدْتَ بالدمع تعليلاً كأنّك قــد   اظهرت ما ليس موجوداً لدى أحَدِ

التخريج : يتيمة الدهر ١/٢٧٥ .

[٣٥]

وقال في رَمَد المحبوب :

١ـ بنفسيَ ما يشكوه من راح طَرْفُه   ونَرْجِسُه مما دَهى حُسْنَه وَرْدُ
٢ـ أراقتْ دمي ظُلْماً محاسنُ وجهه   فاضحى وفي عينيه آثاره تبــدو
٣ـ غَدَتْ عينه كالخدّ حتى كأنّما   سَقَى عَيْنَهُ من ماءِ توريدهِ الخد
٤ـ لئن أصبحَتْ رَمْداء مُقلة مالكي   لقد طالما استشفَتْ بها مُقَلٌ رُمْدُ

التخريج : يتيمة الدهر ١/٢٧٦ والبيتان الاول والثاني دون عزو في اسرار البلاغة ص ٢٥٩ ورواية: الثاني دمي عمداً . والمقطعة في معاهد التنصيص٢/١٧ورواية عجز الاول: مما زها حسنه . وهي في خاص الخاص ص ١٥٠ ورواية الاول : الورد .

[٣٦]

وله :

واليوم من غسق العجاجة ليلة   والسمر تخرق سجفها الممدودا

وعلى الصِّفاح من الكفاح وصدقِهِ روعٌ أحال بياضها تـوريـدا
والطعن يغتصب الجياد شياتها والضرب يقدح في التّريك وقودا
وعلى النفوس من الحمام طلائع والخوف ينشدُ صبرها المفقـودا
وقد استحال البرُّ بحراً ، والضحى ليلاً ، ومُنْخرق الفضاء حـديدا
وأجلُّ ما عند الفوارس حثّها في طاعة الهرب الجيادَ القُودا
حتى اذا ما فارق الرأيُ الهوى وغدا اليقين على الظنون شـهيدا
لم يُغْن غير أبي شجاعٍ والعلا عنه تُناجي النصرَ والتـأييدا

التخريج : يتيمة الدهر ١/٢٨٢ – ٢٨٣ .

[٣٧]

ومن قصيدة له في سيف الدولة ، أولها :

١– سقت العهاد خَليطَ ذاك المعهد ريّا وحيّا البـرقُ برقـة ثهمدِ

قال فيها :

٢– قاد الجيادَ الى الجياد عوابساً شُعْثاً ، ولولا بأسُه لـم تنقد
٣– في جَحْفَلٍ كالسيل أو كالليل أو كالقَطْر صافح موج بحرٍ مُزْبِدِ
٤– مترقّد الجنبـات يعتنق القنـا فيه اعتناق تواصُلٍ وتـودُّد
٥– مُثْعَنْجِر بظُبا الصوارم مُبْرِقٍ تحت الغبار وبالصواهل مرُعد
٦– ردَّ الظلام على الضحى فاسترجعَ الـ إظلام من ليل العَجاج الأرْبَدِ
٧– وكأنّما نقشتْ حـوافرُ خيلِهِ للناظـرين أهِلّـةً في الجلمد
٨– وكأنّ طَرْفَ الشمس مطروفٌ وقد جُعِلَ الغبارُ لـه مكان الإثْمِدِ

ووصف فيها اللواء فقال :

٩– ومُمَلّكٍ رِقَّ القنا مستخرج باللطف أسرار الـرياح الركّدِ
١٠– خرس يناجيها فتفهم نطقـه وتجيبه أنفاسهـا بتصعّـد

١١– قلق كأن الجو ضاق به فما ينفك بين توثب وتهدد
١٢– وكأن همة ربه قالت له طُل وارْق في درج المعالي واصعد

وفيها يقول :

١٣– إن المحامد رتبة لا يبلغ الـ إنسان راحتها إذا لم يجهد
١٤– من لم تُبلّغه السيادة نفسه دون الابوة لم يكن بمسود

وقال في ختامها يصف القصيدة :

١٥– حُلَلٌ من المدح ارتضى لك لبسها شكري فأغرب مفرد في مفرد
١٦– لمّا نَشَرْتُ عليك فاخرَ وَشْيها قالت لك العلياءُ أبْلِ وجدّد

التخريج : القصيدة ما عدا الابيات ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٦ في نشوار المحاضرة ١/٢٧٩ والابيات من ٢ – ٨ في يتيمة الدهر ١/٢٨٣ . والسابع والثامن فقط في وفيات الاعيان ٣/٢٠٢ وهما في شذرات الذهب ٣/١٥٢ وهما ايضاً في معاهد التنصيص ١/١٩٨ وهما في النجوم الزاهرة ٤/٢١٩ . وهما في خاص الخاص ص ١٥٠ وهما في المرقصات والمطربات ص ٤٢ . وهما فيمخطوطة روح الروح الورقة ٢٦٤ ورواية عجز الثامن : لعينها كالاثمد والبيتان السابع والثامن في مخطوطة السحر والشعر لابن الخطيب . ورواية السابع : في جلمد . ورواية الثامن : الغبار به .

[٣٨]

وله من اخرى :

في خَميسٍ كأنما السُّمْرُ والأبـ طالُ فيه غيلٌ حَمَتْهُ أسودُ
سَلَبَ الشمسَ ضوءها بشموس طالعاتٍ افلاكهنَّ حديد
عارضٌ كُلّما جلَتْهُ بروق الـ بيض حَنّتْهُ بالصهيل الرعودُ

التخريج : يتيمة الدهر ١/٢٨٤ .

[٣٩]

وله من اخرى :

أتاهُم بألحاظ الجياد ، ولم يكن لينأى عليها المنزلُ المتباعدُ
من اللاءِ يهجُرْنَ المياه لدى السُّرى ويعتضْنَ شمَّ الجوِّ والجوُّ راكدُ

مَرَنَّ عـلى لذع القنا فكأنّمـا عليهنّ من صبغ الدماء مجاسد
نَسَجَنَ مِلاء النّقْـع ثم حرَقْنه بِكَرٍّ لها منه الى النـصر قائد
عليهنَّ من نسج الغُبار غـلائلٌ رقاقٌ ، ومن نضح الدماء قلائدُ

التخريج : يتيمة الدهر ١/٢٨٥ .

[٤٠]

وله من رسالة الى سيف الدولة :

يقـابلنـا البدر مـن بُرْده ِ ويشملنا السـعد مـن سعده
ولو فَخَرَ المجـد لم تَلْقه فخوراً بشيء سـوى مجـده

التخريج : يتيمة الدهر ١/٢٦٣ .

[٤١]

وله من رسالة الى المهلبي الوزير :

وإنْ رأى المتناهي من سيادته الى المحلٍّ الذي لم يَرْقَهُ أحَدُ
أن يقتضي ليَ حظاً من مكارمه يُغْري عليّ العِدا من اجله الحَسَدُ
فالشمس تدنو ضياءً وهي نازحة والسحب تروي ومن اوطانها البعد

التخريج : يتيمة الدهر ١/٢٦٤ .

[٤٢]

وله من رسالة كتبها الى عدة الدولة أبي تغلب بن ناصر الدولة :

فما يَفْدَحُ الفقرُ في حالـه ولا يطمعُ الدهـر في قصـده
وكيف وقد صار ضيف الغما م وهو قريب على بُعْدِهِ ؟
ومَنْ عَلِقَتْ بأبي تغلبٍ يـداه احتذى البدر من سعده
همامٌ قضى الله من عرشِهِ له بالامارة فـي مَهْـدِهِ
فَطَوْدُ السـيادة في دَسْتِهِ وشمسُ الرياسة في بُرْدِهِ

[٤٣]

قال ابوالفرج الببغاء في مدح سيف الدولة يذكر غزاته لسمندو وهي بلد في وسط بلاد الروم في سنة ٣٣٩ هـ

التخريج : يتيمة الدهر ٢٦٥/١ .

وهل يترك التأييد خدمة عسكرٍ ... واقدام سيف الدولة العضب قائده

عَفَتْ عن سَمَنْدُو خيله وتنجّزت ... بخَرْشَنَةٍ ما قدمته مواعدُهْ

وزارت به في موطن الكفر حيث لا ... يشاهد الاّ بالرماح مشـــاهده

التخريج : معجم البلدان ١٤٤/٣ ، ونخب تاريخية وادبية جامعة لاخبار الامير سيف الدولة الحمداني ص ٣١٠ .

[٤٤]

وقال :

طمعتُ ثم رأيتُ اليأسَ اجمل لي ... تنزّهاً فخصمتُ(١) الشوقَ بالجلدِ

تبدّلَتْ وتبدلنا وأخسرنا ... من ابتغى خلَفاً يسلي فلم يجد

التخريج : المنتظم ٢٤٢/٧ .

(١) خصمت : غلبت .

[٤٥]

وقال ابو الفرج الببغاء يصف الفخ (٢) :

ذو قصرٍ أحدب من غير كِبَرْ

محتقرُ المنظرِ خبّارُ الحَبَرْ (٣)

مستضعفٌ لكن اذا ضِيم انتصر

مستأنس فإن مسسناهُ نَفَرْ

(٢) آلة صيد حديدية مقوسة لها دفتان تفتحان قسراً وتعاقان عن الانغلاق بطرف شظاة أو نحوها ، فاذا مر بها الحيوان وأصابها انطبقت عليه .

(٣) الحبر : الأثـر .

وإنْ جنى جنايــةً لمْ يعتــذرْ
مُفَوَّقٌ سَهْماً(١) إذا شكَّ افسمر
نصالُه الحَبّ ومأواه الحــفَــرْ
لمّا رأى العصفورُ حَبّاً قد بَــدَرْ
ارتاب بالحنطةِ ما بينَ المَدَرْ
ولم يزَلْ بين الرجاءِ والحَــذَرْ
يبعثه الحرصُ ويُعييه الخَطَــرْ
ثم هــوى مستيقناً لمــّا افتــكر
انّ بني الدنيا جميعاً في غَرَرْ (٢)
وأمل النفَــعَ ولم يخشَ الضَرَرْ
فَشَدَّهُ الفَخُّ بأشراكِ الغِيَرْ (٣)
ولمْ يطقْ دفعَ القضاءِ والقَدَرْ
وكثرةُ الاطمــاع آفات البشــر
وفي تصاريف الليالي مُعْتَبَرْ
والحزمُ أنْ تجزعَ من حيث تُسَرّ
وآخرُ الصفو وإنْ لذَّ الكَدَرْ

التخريج : مخطوطة مباهج الفكر ومناهج العبر الورقة ١٢٦ .

(١) الفوق : ميل وانكسار في الفوق . والفوق : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر .
(٢) الغرر : التعريض للهلاك .
(٣) غير الدهر : أحداثه .

[٤٦]

وقال ابو الفرج عبدالواحد بن نصر يصف الجلاهق (٤) :

(٤) الجلاهق : من ادوات الصيد ، وهي قوس تتخذ من القنا ويلف عليها الجرير وتغرى، وفي=

وداية (١) ترضع عبر درّها (٢)

(   ) (٣) انحناء ظهرها

مقاتُها شاخصةٌ في صدرِها

نجلاءُ لا يطرف هدبُ شفرها

طائرةٌ مقيمةٌ في وكرها

باطشةٌ لكن بغيرِ ظُفرها

آراؤها تصدرها عن فكرها

نجيبةٌ في أصلها ونَجْرها

بنتُ كُعُوب (٤) سُبيَتْ من سُمْرها

فافتضّها الصانعُ بَعْدَ مهرِها

بِقَطْعِها وبَرْدِها ونَشْرِها

حتى اذا سار خمولُ ذكرِها

أبرزها في حُلَلٍ من خِدْرِها

— وسط وترها قطعة دائرة تسمى الجوزة توضع فيها البندقة ، فاذا شد الوتر عند الرمي قذف بالبندقة وأصاب الهدف . وتسمى ايضاً قوس البندق . وتتخذ البنادق من طين لزج متماسك الأجزاء يجعل على شكل كرات صغار ملس ثم تجفف ويرمى بها عن الجلاهق . والجلاهق رمي دقيق لا يكاد يخطئ .

(١) الداية : القابلة .

(٢) الدر : اللبن .

(٣) كلمتان لم اوفق لقراءتهما .

(٤) الكعوب : جمع كعب وهو العقدة من عقد الرمح .

بوَتَرٍ مطالبٍ بوترها
مثلّثٍ به كمالُ أمرِها
فلم تزل مرّته (١) بنبرها (٢)
ينعي الى الطيرِ امتدادَ عمرها
كأنّما البُنْدقُ بعدَ جرِّها
حقوِدُها صادرةٌ عن صدرها
جيدت بسُحبٍ طميت بمرِّها
كأنّها تحتَ انسكابِ قَطْرها
اسرةُ لوطٍ مُطِرتْ بصخرها
فلم تَزَلْ تغمرنا بِبِرِّها
حتى اعترفنا كلُّنا بشكرها
أفعالُها ناطقةٌ بِفَخْرها
تعنو ملوكُ الطيرِ خوفَ مَكْرِها
من بازها في فتكه وصقرها
لا ينكر الجارح عُظْمَ قدرها

التخريج : مخطوطة مباهج الفكر رقم ٤١١٦ - الفاتح الورقة ٣٥٠

(١) المرة : قوة الخلق وشدته .
(٢) النبر : رفع الشيءْ بسرعة .

[٤٧]

قال صاحب النشوار : كنت أنا وابو الفرج الببغاء نشاهد بركة مائت ، وجعل فوقها ورد وبهار وشقائق ، حتى غطى اكثر الماء ، وحضر ابو علي الهائم ، فسأل أبا الفرج أن يعمل في ذلك شيئاً ، فعمل بحضرتنا ، وأنشد :

خجل الورد من جوار البَهار ... فمشى باحمراره في اصفرارِ
وحكى الماءُ فيهما أحمرَ الياقو ... تِ حُسْناً مُرَصَّعـاً بنضـارِ
جُمِعا بالكمال في بركةٍ تُمـ ... ـتع حُسناً نواظـرَ الحُضّار
أضْرَمَ الماءُ بالشقيق بها النا ... رَ وعهدي بالماء ضـدّ النـار
فوجدنا أخلاقَ سيِّدِنا الزهـ ... ـر ذكاء تربي على الازهار
ظَلْتُ منه ومن نداماه للأنْـ ... ـس نـديمَ الشموسِ والاقمار

التخريج : نشوار المحاضرة ١١٢/٧ وبدائع البدائه ص ٢٩٥ .

[٤٨]

وقال :

ومُهَفْهَفٍ لما اكتسَتْ وَجناتُه ... حُلَلَ الملاحة طُرِّزَتْ بعذارِهِ
لمّا انتصرتُ على عظيم جَفائه ... بالقلب كان القلبُ من انصاره
كَمُلَتْ محاسنُ وجههِ فكأنما اقـ ... ـتبس الهلالُ النـورَ من أنواره
وإذا ألَحَّ القلبُ في هِجْرانهِ ... قال الهوى : لا بُدَّ منه فَدارِهِ

التخريج : يتيمة الدهر ٢٧٤/١ ووفيات الاعيان ٢٠١/٣ – ٢٠٢ ورواية عجز الاول : خلع الملاحة . ورواية صدر الثاني : أليم جفائه . وشذرات الذهب ١٥٢/٣ وروايته مماثلة لرواية الوفيات .

[٤٩]

وله من قصيدة شكر :

قد جاءت البَغْلَةُ السَّفْواءُ يجنب منـ ... ـها البرق غيث ندىً ينهلّ ما طرُهُ
عريقة ناسبَتْ أخوالها ، فلها ... بالعِتْقِ من كرم الجنسين فاخرُهُ
ملءُ الحزام وملءُ اللبـد مُجْفَرَةٌ ... يُريكَ غائِبَها في الحسن حاضره
أهدى لها الروضُ من اوصافه شِيَةً ... خضراء ناضرةً إذ حال ناضـره

ليست بأوّل حملان شريْتَ بهِ حَمْدي، ولا هي ياذا المجد آخره
كم قد تقدّمها من سابحٍ بيدي عنانُهُ ، وعلى الجوزاء حافره

التخريج : يتيمة الدهر ٢٨٦/١ .

[٥٠]

وقال في رسالة لسيف الدولة :

فلا انْتَزَعَ الله الهُدى عزَّ بأسِهِ ولا انتزع الله الوغى عز نصـره
وأحسَنَ عن حفظ النبيِّ وآله ورَعْي سَوام الدين توفيرَ شكره
فما تدرك المُدّاحُ أدنى حقوقه بإغراق منظوم الكلام ونثـره

التخريج : يتيمة الدهر ٢٦٢/١ .

[٥١]

وقال :

١ـ ويوم كأنَّ الدهر سامحني به فصار اسْمُهُ ما بيننا هِبَةَ الدهر
٢ـ جرتْ فيه أفراسُ الصبا بارتياحنا الى دَيْر مُرّان المُعَظّم والعمر
٣ـ بحيث هواء الغُوطتين مُعَطّرُ الـ نسيم بانفاس الرياحين والزهر
٤ـ فمن روضة بالحسن تَرْفِدُ روضةً ومن نَهَرٍ بالفيض يجري الى نهر
٥ـ وفي الهيكل المعمور منه افترعْتُها وصحبي حَلالاً بعد توفية المهر
٦ـ ونَزَّهْتُ عن غير الدنانير قدرها فما زلْتُ منها أشرب التبر بالتبر
٧ـ وحلَّ لنا ما كان منها محرَّماً وهل يُحْظَر المحظورفي بلد الكفر؟
٨ـ فأهْدَتْ ليَ الايامُ فيه مودّةً دعتني في سترٍ فَلبّيتُ في سِتْرِ
٩ـ أتى من شريف الطبع أصدق رغبة تُخاطبني عن معدن النظم والنثر
١٠ـ وكان جوابي طاعةً ، لا مقالةً ومن ذا الذي لايستجيب الى اليسر ؟
١١ـ فلاقيتُ ملءَ العينِ نُبْلاً وهمّةً مُحَلّى السجايا بالطلاقة والبشر

١٢- وأحْشمني بالبرّ حتى ظننتـه ... يريد اختداعي عن جَناني ولاأدري

١٣- ونـزّه عن غير الصفاء اجتماعَنا ... فكنتُ وإياه كقلبين في صــدر

١٤- وشـــاء السرورُ أن يلينا بثالثٍ ... فلاطـَفنَا بالبدر أو بأخي البدر

١٥- بمُعْطي عيونٍ ما اشتهت من جَماله ... ومُضْني قلوبٍ بالتجنُّبِ والهجر

١٦- جَنَيْناجَنِيّ الورد في غيروَقْته ... وزَهْرَ الربا من روض خدّيه والثغر

١٧- وقابلَنا من وجهـــه وشرابه ... بشمسين في جُنْحَيْ دجى الليل والشّعْر

١٨- وغنّى فصار السمع كالطرف آخذاً ... بأوْفَرِ حـظٍ من محاسنه الزُّهْرِ

١٩- وأمْتَعنَا من وَجْنتيه بمثل ما ... تُمزّجُ كفّاه من الماء والخمر

٢٠- سرورٌ شكرنامِنّةَ الصحوإذْ دعا ... اليه ، ولم نشكر به مِنّة السكْر

٢١- كأنّ الليالي نِمْنَ عنه فعندما ... تَنبّهْنَ نَكّبْنَ الوفاء الى الغدر

٢٢- مضى وكأني كنتُ فيه مُهَوِّماً ... يحدث عن طيف الخيال الذي يسري

٢٣- وهل يحصل الإنسان من كلّ مابه ... تسامحه الأيامُ إلا على الذكر ؟

التخريج : يتيمة الدهر ٢٥٨/١ - ٢٥٩ . وهي مع حكايتها في مطالع البدور في منازل السرور ٢٥١/١ - ٢٥٧ . والقصيدة في الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة - قسم مدينة دمشق - ص ٢٨٣ - ٢٨٦ . رواية الثالث : بانواع الرياحين . رواية الرابع الى نهر رواية السادس : زلت فيها . رواية السابع : في وطن الكفر . الثامن : واهدت . التاسع : يخاطبني من منطق . العاشر : فكان . الحادي عشر : نبلا وهيبة . الثاني عشر : فاحشمني .... يريد اختزالي عن حياتي وما ادري . الرابع عشر : أن حبينا بثالث . السادس عشر : في غير حينه الثاني والعشرين : مضى فكأني ... احدث . والقصيدة ايضاً في البدور المسفرة في نعت الاديرة .

[٥٢]

وله في صفة شمعة :

وصفرٍ كأطراف العوالي قدودها ... قيامٌ على أعلى كراسٍ من الصفْرِ

تَلَبّسْنَ من شمس الأصيل غلائلاً ... فأشرقن في الظلماء بالخلع الصُّفْرِ

عرائس يجلـوها الدجى لمماتها   وتحيا إذا أذرتْ دموعاً من التبـر
إذا ضربت أعناقها في رضا الدجى   أعارته من أنوارها خِلَع الفجـر
تبكي على احشـائها بجسومهـا   فأدمعها أجسامها أبداً تجري
علاها ضياء عـامل في حياتها   كما تعمل الأيام في قصر العمر

التخريج : نشوار المحاضرة ٢/٣٠٦ .

[٥٣]

وكتب يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الازدي الى أبي الفرج الببغاء ، الى الموصل ، يتشوقه ، بعد خروجه من بغداد ، قطعة اولها :

ظعنتَ فما لأُنسي مـن ثواء   وبِنْتَ فبان عن قلبي السرور

فأجابه ابو الفرج :

بقربك من بعـادك أسـتجيرُ   وهل في الدهر غيرك من يجيرُ
نـأيتَ فمـا لسـلواني دنوٌّ   وغبت فمـا للذّاتي حضـورُ
وقـد صاحبتُ إخـواناً ولكن   متى تغني عن الشمـس البدور
فيا من رعتُ منـه الدهر قدماً   بمن تسمو بخدمتـه الامور
ومن قَدَّرْتُ أنّ لـه نظيراً   فحين طلبتُ اعـوزني النظير
إذا كنتَ السرور وغبت عنّي   فكيف يتمّ بعـدك لي سرور

التخريج : نشوار المحاضرة ٢/٥٢ .

[٥٤]

دخل الببغاء على الوزير أبي نصر سابور بن أردشير وقد نُثرت عليه دنانير وجواهر ، فأنشد بديها :

نثروا الجواهرَ واللجينَ وليس لي   شيءٌ عليه سوى المدائح انثرُ
بقصائدٍ كالدُرِّ إنْ هي أنشدت   وثنا اذا ما فاح فهو العنبـرُ

التخريج : وفيات الاعيان ٣/٢٠١ .

[٥٥]

وقال في وصف كانون نار من ابيات :

وذي أربعٍ لا يطيق النهــوضَ ولا يألف السيــر فيمــن سرى
نحمّلــه سَبَجــاً أســوداً فيجعلــه ذهبــاً احمــرا

التخريج : معاهد التنصيص ١٦٩/١ .

[٥٦]

وقال في مدح ابي نصر سابور بن أردشير :

لُمْتُ الزمانَ عــلى تأخير مُطّلَبي
ففال : ما وجــه لومي وهو مَحْظُورِ؟
فقلتُ : لو شئتَ ما فات الغنى أمَلي
فقال : أخْطَأتَ ، بل لو شاء سابور
عُذْ بالوزير أبي نَصْر ، وسَلْ شَطَطاً
أسْرِفْ فانك في الاسراف معــذور
وقد تقبلتُ هــذا النصح من زَمَني
والنصحُ حتى من الاعــداء مشكورُ
وما انطَرَفَ رجــائي عنك مُنْصَرَفٌ
وهل يفارق جرم المشتري النــورُ

التخريج : يتيمة الدهر ١٣٠/٣ والاول والثاني في انوار الربيع ٢٥٣/٣ .

[٥٧]

وقال :

يا منْ رضيتُ من ... (١) الكثير به
أنت البعيدُ على قُرْب من الدار

(١) كلمة غير مقروءة ولعلها (الخلق) .

أعماتُ فيكَ المنى حلاً ومُرْتحلاً
حتى رددتَ المنى أنضاءَ اسفار

التخريج : مخطوطة الوافي بالوفيات ٢٨٥/١٥ « مصورة المكتبة المركزية ببغداد » .

[٥٨]

وله في غلام خرج غازياً :

يا غازياً أتتِ الأحزانُ غازيةً
الى فؤاديَ والأحشاء حين غزَا
إنْ بارزتْكَ كُماةُ الروم فارْمهمُ
بسهم عينيك تَقْتُلْ كلّ من برَزا

التخريج : يتيمة الدهر ٢٧٦/١ .

[٥٩]

وقال في المرآة :

كل فَضْلٍ لكل نوعٍ وجنسٍ — دون فضل المرآة من غير لبسِ
لطفَتْ رقّةً وفاقت صفاءً — فهي كالماء في عيانٍ ولمسِ
واستدارتْ بباهرِ النور حتّى — ظنّها الناظرون قطعة شمسِ
واذا ما نأى نديمي عنـي — ظلّ طرفي بها ينادمُ نفسي

التخريج : محاضرات الادباء ٣٨١/٢ .

[٦٠]

وقال :

وليلةٍ أوْسَعَتْني — حُسْناً ولهواً وأنسا
ما زلْتُ ألثمُ بدراً — بها وأشربُ شمسا

إذْ أطْلَعَ الديــر سَعْداً ... لم يبق مُــذْ بانَ نَحْسا
فصار للروح منّــي ... رَوْحــاً وللنفس نفســـا

التخريج : يتيمة الدهر ٢٥٧/١ .

[٦١]

وقال :

فَحماً قــدَّم الغــلامُ فأهدى ... في كوانينــه حيــاةَ النفوسِ
كان كالآبنوس غيــر مُحلّى ... فغدا وهو مُذْهب الآبنوسِ
لقيَ النــارَ في ثياب حدادٍ ... فكَسَتْهُ مُصَبّغاتِ عــروسِ

التخريج : زهر الآداب ١٧٨/١ .

[٦٢]

لمّا ورد عميد الجيوش ابو علي بن استاذ هرمز ، بغداد ، لتدبير امورها ، كتب اليه ابو الفرج الببغاء ، الابيات التالية :

سألتُ زماني بمنْ استغيث ؟ ... فقال : استغثْ بعميد الجيوشِ
فناديتُ : مالي بــه حــرمــة ... فجاوبَ : حوشيتَ من ذا وحوشي
رجــاؤك إياه يُدنيك منـــه ... ولو كنتَ بالصين أو بالعريش
ذَبَحَتْ بيَ داري وفرَّ العبيدُ ... وأودتْ ثيابي وبعتُ فروشـــي
وكنــت ألَقّبُ بالبَبّغــاءِ ... قديماً ، فقــد مزّق الــدهر ريشي
وكان غــذائي نقــيَّ الأرزّ ... فها أنــا مقتنعٌ بالحشـــيش

التخريج : المنتظم ٢٤٢/٧ .

[٦٣]

كتب ابو اسحاق الصابي من سجنه قصيدة يتشوق فيها لابي الفرج الببغاء بعد ان زاره فيه اولها :

أبا الفرج اسلمْ وابْقَ وانْعَمْ ولا تزل　　يزيدُكَ صَرْفُ الدهر حَظّاً إذا نَقَص

فأجابه ابو الفرج في الحال مع رسوله :

١ــ أيا ما جداً مُذْ يَمَّمَ المجدَ ما نكَصْ
وبَدْرِ تمام مُذْ تكاملَ ما نَقَصْ

٢ــ سَتَخْلُصُ من هذا السِّرار ، وأيّما
هــلالٍ تَواري بالسِّرار فما خلَصْ ؟

٣ــ بــرأفة تاج الملّــةِ المَلكِ الّــذي
لسؤدده في خُطّــة المشتري حصص

٤ــ تَقَنّصْتَ بالألْطافِ شكري ، ولم أكنْ
علمتُ بانّ الحرّ بالبرّ يقتنــص

٥ــ وصادفتُ أدنى فرصَةٍ فانتهزتُهــا
بلُقياك إذ بالحزم تنتهز الفرص

٦ــ أتتني القوافي البــاهراتُ إتحمــل
بدائع من مُسْتَحْسن الجدّ والــرخص

٧ــ فقابلتُ زهر الروض منها ولم أرع
وأحرزت درّ البحر منها ولم أغصْ

٨ــ فإنْ كنتُ بالبَبْغاء قــدماً ملقبــاً
فكم لَقَبٍ بالجور لا العدل مخترص

٩ــ وبعد ، فما اخشى تَقَنُّصَ جــارحٍ
وقلبك لي وَكْرٌ ورأيُكَ لي قَفَصْ !

فانتهى الابتداء والجواب الى عضد الدولة ؛ فأعجب بهما واستظرفهما ، وكان ذلك أحد أسباب إطلاق أبي اسحاق من اعتقاله ، ثم اتصلت بينهما المكاتبة والمودة .

التخريج : يتيمة الدهر : ٢٦٨/١. والقصيدة في المنتظم ٢٤٣/٧ وقد لحقها تحريف وتصحيف.
رواية صدر الاول : أبا حامد ... ما نقص .
=

- ورواية الثاني : وانما هلال . ورواية الرابع : تقنصت بالانصاف . ورواية الخامس: اسنى فرصة . ورواية السادس : بحمل البدائع . ورواية السابع : منها ولم يجد . ورواية عجز التاسع : وقلبك لي وغر . والقصيدة في وفيات الاعيان ٣/٢٠٠-٢٠١ . رواية السادس : الزاهرات تجمل . ورواية السابع : منها ولم أرد. والابيات ١ - ٤ ومعها التاسع في بهجة المجالس ٢/١١٠ - ١١١ .

رواية الاول :

أيـا ماجداً في حلبة المجد ما نكص ويا كاملا في رتبة الفضل ما نقص

ورواية الثاني : في السرار وما خلص .

ورواية الثالث :

بدولة ..... له في اعالي قبة المشتري حصص .

ورواية الرابع :

تقنصت إلطافي وما كنت قبل ذا أظن بأن المرء بالبر يقتنص

ورواية التاسع :

فاصبحت لا أخشى أذية جارح ورأيك لي وكر وقلبك لي قفص

والابيات ١ - ٤ ومعها التاسع في جمع الجواهر في الملح والنوادر ص ٣٠٥

رواية الاول : قد يمم .

ورواية الثاني : في السرار .

ورواية الثالث : بدولة .... له في أعالي قبة المشتري خصص

ورواية الرابع : تقنصت انصافي وما كنت قبل ذا اظن بان المرء بالبر يقتنص

ورواية التاسع : فلا أخشى .

[٦٤]

وقال ابو الفرج الببغاء :

خـذوا من العيش فالاعمارُ فانيـةٌ
والدهر منصرفٌ والعيش منقـرضُ

في حامل الكأس من بدر الدجى خلَفٌ
وفي المدامة من شمس الضحى عوَضُ

كأنَّ نجمَ الثريّا كفٌّ ذي كرم
مبسوطـةٌ للعطـايا ليس تنقبض

التخريج : معاهد التنصيص ١/١٣٩ .

[٦٥]

١ــ يا سادتي ، هذه نفسي تُوَدِّعكم
إذ كان لا الصبرُ يُسْليها ولا الجَزَعُ

٢ــ قد كنتُ أطمعُ في رَوْح الحياة لها
فالآنَ إذ بِنْتُمُ لم يبق لي طمعُ

٣ــ لا عذّب الله روحي بالبقاء ، فمــا
أظُنُّني بعدكم بالعيش أنتفــع

التخريج : يتيمة الدهر ٢٧٣/١ – ٢٧٤ . ووفيات الاعيان ٢٠١/٣ ورواية الاول : هذه روحي تودعكم . شذرات الذهب ١٥٢/٣ رواية الاول : هذه روحي ورواية الثاني : روحي الحياة لها والآن . وهي في انوار الربيع ٢٧٤/٦ ورواية عجز الثالث : اظنها بعدكم بالعيش تنتفع . وهي في خاص الخاص ص ١٥٠ ورواية الثاني : الحياة لكم فالآن مذ . ورواية الثالث : نفسي بالبقاء فلا . وهي في انوار الربيع ٨٨/٤ ورواية الاول : هذه روحي .

[٦٦]

وقال :

١ــ جاوَرْت بالحبِّ قلباً لم تَذَرْ فِكَري
للحبِّ مستمتعا فيــه ولم تَدَعِ

٢ــ [مُفَرّقاً بين هَمٍ غيرِ مفترقٍ
عنه ، وبين سُلُوٍ غير مجتمع]

٣ــ يصبو ولكن يكفّ الحلم صبوَتهُ
وأشرفُ الحُبّ أدناه من الــورع

٤ــ وبي أمسّ غرام لو أنست الى الــ
شكوى ولكن أعدّ الصبر للجزع

٥ــ ما بال أهل زماني من تجــاهلهم
بموضعي بين مغبونٍ ومختدعِ

٦- من لم تزد قــومَهُ أفعالُهُ شَرَفاً
بالفضل فهو لمعنىً غير مختــرع

٧- عِفْتُ المواردَ لمّا لم أجــد ظمأً
في كثرة الماء ما يُغني عن الجُرَعِ

التخريج : القطعة ما عدا البيت الثاني في نشوار المحاضرة ١/١١٥ والبيتان الاول والثاني فقط في يتيمة الدهر ١/٢٧٦ .

[٦٧]

وانشد لنفسه :

كمْ كربةٍ ضاق وسعي عن تَحَمّلها
فَملتُ عن جَلَدي فيهــا الى جزَعي

ثم استكنتُ فأدْنَتْني الى فَرَجٍ
لم يَجْرِ بالظنّ في يأسي ولا طمعي

التخريج : الفرج بعد الشدة ص ٤٦٠ .

[٦٨]

ومن شعر الببغاء :

سلوا الصبابَة عنّي هل خاوتُ بمنْ
أهوى مع الشوقِ إلاّ والعفافُ معي

تأبى الدناءَةَ لي نفسٌ نفائسها
تَسْعى لغير الرضا بالريّ والشبع

وهمّةٌ ما أظنُّ الحظَّ يــدركها
إلاّ وقد جاوزتْ في كلٍّ ممتنــع

لا صاحَبَتْنِيَ نفسٌ إن هممتُ لما
أرضى بها غمرات الموت لم تُطِعِ

على جناب العُلا حلّي ومرتحلي
وفي حمى المجد مصطافي ومرتبعي

وما نضوتُ لباسَ الذلّ عن أملي
حتى جعلتُ دروع البأس مُدَّرعي

وكلّ من لم تُؤدِّبْهُ خلائقُهُ
فانّه بعظاتي غير منتفع

التخريج : مخطوطة الوافي بالوفيات ١٥/٢٨٦ .

[٦٩]

وقال ابو الفرج الببغاء :

لنا روضة في الدار صيغ لزهرها
قلائدُ من حمل الندى وشنوفُ

أيطيفُ بنا منها إذا ما تنفستْ
نسيمٌ كعقل الخالديِّ ضعيفُ

التخريج : معاهد التنصيص ١/١٣١ .

[٧٠]

كان الببغاء من ندماء سيف الدولة الحمداني ، وحدث أن مرّ بمغانيه بعد وفاته فقال متفجعاً :

عَجَبَاً لي وقد مررتُ بأبيا
تك كيف اهتديتُ سبلَ الطريقِ

أتراني نسيتُ عهدك فيها ؟
صدَقوا ! ما لميّتٍ من صديق

التخريج : نشوار المحاضرة ٣/١٦٠ (الهامش) .

وقال : [٧١]

حَصَلْتُ من الهوى بك في مَحَلّ
يُساوى بين قُربك والفراقِ
فلو واصَلْتَ ما نَقَصَ اشتياقي
كما لو بِنْتَ ما زاد اشتياقي

التخريج : يتيمة الدهر ١/٢٧٤ .

وقال : [٧٢]

يا منْ تشابَهَ منه الخَلْقُ والخُلُقُ
فما تُسافِرُ إلاّ نحوَهُ الحَدَقُ
توريدُ دَمْعيَ من خديك مختلسٌ
وسُقْمُ جسميَ من جفنيك مُسْتَرَقُ
لم يبق لي رَمَقٌ أشكو هواكَ به
وانّما يتشكى من به رَمَقُ

التخريج : يتيمة الدهر ١/٢٧٤ وتاريخ بغداد ١٢/١١ والمنتظم ٢٤١/٧ - ٢٤٢ ورواية الثاني : ترديد دمعي . وهي في البداية والنهاية ٣٤٠/١١ .

[٧٣]

أوَ لَيْسَ من احدى العجائب أنني
فارَقْتُه فحييتُ بعد فراقِه ؟
يا مَنْ يحاكي البدر عند تَمامه
ارْحَمْ فتىً يحكيه عند محاقه

التخريج : يتيمة الدهر ١/٢٧٥ وفي خاص الخاص ١٥٠ ورواية عجز الاول : وحييت وهما في
وهما في الصبح المنبي ص ٢٧٦ .
وهما في مخطوطة روح الروح الورقة ١٩٧ ورواية عجز الاول : وحييت .
وهما في مخطوطة السحر والشعر لابن الخطيب .
رواية الاول : وحييت .
ورواية الثاني : عند كماله .

[٧٤]

أصعد ابو الفرج الببغاء الى سيف الدولة بن حمدان ، هو وجماعة من الشعراء الكبار ، يمتد حونه ، فأخرج يوماً خازن الأمير قدحاً من ياقوت أزرق ، فملأه ماء وتركه يتشعشع ،فقال له ابو الفرج : يا مولانا ، ما رأيت أحسن من هذا ! فقال : قل فيه شيئاً وهو لك ، فقال ابو الفرج في الحال :

١- كم مِنّةٍ للظلام في عُنُقي | بجمع شَمْلٍ وضَمّ مُعْتَنِقِ
٢- وكم صباحٍ للـراح أسلمنـي | من فَلَقٍ ساطعٍ الى فَلَـقِ
٣- فعاطنيها بكـراً مُشَعْشَعَةً | كأنهـا في صفائها خُلُقـي
٤- في أزرق كالهواء يخرقه اللحـ | ظُ وإن كان غيـر مُنْخَرِقِ
٥- كـأنّ أجـزاءهُ مركّبَةٌ | حُسْناً ولطفاً من زُرْقة الحَدَقِ
٦- ما زلتُ منـه منادماً لُعَباً | مذ اسكرتها المـدامُ لم تُفِقِ
٧- تختالُ قبل المزاج في ازرق الـ | فجر وبعدَ المزاج فـي شَفَقِ
٨- أدهشها سكرنا فإن يكن الصمـ | تُ حديثاً فذاك عن فَـرَقِ
٩- تغرق في أبحر المدام فيسْـ | تنقذهـا شُرْبُنا من الغَـرَقِ
١٠- ونحن باللّهْو بين مصطبحٍ | يمرَحُ أمْناً وبين مغتبـقِ
١١- فلو ترى راحتـي وصبغتها | في لـونها في معصفرٍ شَرِقِ
١٢- لخِلْتَ أنّ الهواء لاطفني | بالشمس في قطعةٍ من الافـقِ

فاستحسنها سيف الدولة وأعطاه اياه .

التخريج : القصيدة في بدائع البدائه ٢٩٧ - ٢٩٨ . وهي ما عدا البيتين الثامن والعاشر في يتيمة الدهر ١/٢٧٩ - ٢٨٠ . رواية السادس : اسكرتها السقاة ورواية الحادي عشر :

فلو ترى راحتي وزرقتـه | من صبغها في معصفرشـرق

[٧٥]

وله من رسالة كتبها الى عدة الدولة ابي تغلب بن ناصر الدولة :

فمن نظرٍ يُسارع في صلاحي ومن وصف يحث على نفاقي
فانعــام أَسَرُّ من التــداني على عــدم أفَظّ من الفراق

التخريج : يتيمة الدهر ٢٦٧/١ .

[٧٦]

وانشد لنفسه :

أشقيتني فرضيت أن أشقى وملكتنــي فقتلتني عشقــا
وزعمتَ انك لا تكلمنــي عشراً فمن لك انني أبقى ؟ !
ليس الذي تبغيــه من تلفي متعــذراً فاستعمل الــرفقا

التخريج : إرشاد الاريب الى معرفة الاديب ٢١٩/٥ .

[٧٧]

وله من رسالة الى المهلبي الوزير :

وفي الحقيقة لولا أن مُعْتَقِلي عن السُّرى جودُ سيف الدولة الملكِ
لما اقتصرتُ على غير المسير الى من حظه في المعالي غير مشتركِ
لكنه فَلَكُ الفضل المحيط ، ومــا من عادة الشمس أن تنأى عن الفَلَك

التخريج : يتيمة الدهر ٢٦٤/١ .

[٧٨]

وله من رسالة كتبها الى عدة الدولة أبي تغلب بن ناصر الدولة :

محروسة ضمن الشكرُ الوفيّ لها عن الزيادة نَيْلَ السؤل في الدرك
تحقّق الدهر أن الملك منذ نَشــا له ابو تغلبَ اسمٌ غير مشترك
واستخلف الفلك الدوّار هِمّتــه فلو وَنَى أغنت الدنيا عن الفَلَكِ

التخريج : يتيمة الدهر ٢٦٦/١ .

[٧٩]

وقول أبي الفرج الببغاء من أبيات :

ترى الثريا والبدر في قرن كما يحيّى بنرجسٍ ملك

التخريج : معاهد التنصيص ١٣٨/١ .

[٨٠]

قال ابو الفرج الببغاء يصف حصانا:

إنْ لاح قُلْتَ أَدُمْيَةٌ أمْ هيكلُ أو عَنّ قلتَ : أسابحٌ أم أَجْدَلُ
تتخاذلُ الالحاظُ في إدراكهِ ويَحارُ فيه الناظرُ المتأمِّلُ
فكأنّهُ في اللطف فَهْمٌ ثاقِبٌ وكأنّه في الحسن حظٌّ مُقْبِلُ

التخريج : يتيمة الدهر ٢٨٥/١ – ٢٨٦ .
وهي في مخطوطة مباهج الفكر – المرقة ٤١١٦ مكتبة الفاتح الورقة ٢٧٤ وهي في نهاية الارب ٥٨/١٠.

وقال :

[٨١]

ما كلٌ منْ طَوّل عُثْنُونَهُ يَزدادُ فضلاً يا أبا الفَضْلِ
طَوَّلْتَ عُثْنُونَك تبغي العُلا أيّ عُلا في ذَنَب البَغْلِ
ولستُ أحصي كم رأيتُ امرأً ألحى ، ولكن كوسج العَقْلِ
قد ملأت لحيتُه صَدْرَهُ ورأسُهُ أفرغُ من طَبْلِ

التخريج : حماسة الظرفاء ١٤٩/٢ .

[٨٢]

وقال الببغاء في لصٍّ جُعل على رأسه برنس فطوق به :

وبدّل من تاج العمامة برنساً ببالغ في تقويمه وهو مائلُ
أمال به طولاً سوى الجسم وهو من زيادته في طوله متضائل

التخريج : محاضرات الادباء ١٩٩/٢ .

[٨٣]

وله من اخرى في سعد الدولة بن سيف الدولة :

لا غيثُ نُعماه في الورى ُخلّبُ الا ... بــرق ولا وِرْدُ جــوده وَشَلُ

جاد الى أنْ لم يُبْقِ نــائلُـــه ... مالاً ، ولم يَبْقَ للـــورى أَمَل

التخريج : يتيمة الدهر ٢٨٢/١ ووفيات الاعيان ٢٠٢/٣ .

[٨٤]

وقال من رسالة لسيف الدولة :

كأنمـــا ادّخَرَ الرحمن معظمـــه ... دون الملوك لسيف الدولة البَطَل

رآه أكْرَمَهُم في الخير إن ذُكروا ... وصفا ، وأفضلهم في القول والعمل

فهـــزّه وظُبا الأسياف مُغْمَدَة ... واستلّهُ غيرَ منسوب الى الفَلَلِ

حتى غدا الدين من بعـــد العُبُوس به ... جَذْلان يرفلُ من نُعماه في حُلل

فلو تكلم في حـــال وقيل له : ... من خير هذا الورى؟ لم يُسْمِ غير علي

التخريج : يتيمة الدهر ٢٦٢/١ .

[٨٥]

قال :

يا مَنْ إذا خِفْتُ فيه العَذْلَ آمنني ... جميلُ إنصافه من عَذْل عُذّالي

ما يستحقُّ زماني ــ وَهْوَ سامحني ... بمثل وُدِّكَ ــ أن اشكوه في حال

رآك غاية آمالي ، فما بَـــرِحَـــتْ ... تسعى لياليه حتى نِلْتُ آمـــالـــي

التخريج : يتيمة الدهر ٢٧٥/١ .

[٨٦]

وله من قصيدة :

١ــ كم للصّبابة والصِّبا من منزلِ ... مـــا بين كلواذى الى قطر بُّلِ

٢ــ جادَتْهُ من ديم المدام سحائبٌ ... أغنَتْهُ عن صوب الحيـــا المتهلِّل

٣– غيث إذا ما الراحُ أوْمَضَ بَرْقُه فرعـوده حَثُّ الثقيـل الأوّل
٤– لَطُفَتْ مواقعُ صَوْبه فسِجاله تَهْمي على كُرَبِ النفوس فتنجلي
٥– راضَعْتُ فيه الكأس أهْيَفَ ينثني نحوي بجيدِ رشا وعَيْنَيْ مُغْزِلِ
٦– فأتى وقد نقش الشعاعُ ثيابـه بممزج من نسجهـا ومثقـل
٧– وكسا البنان بها خضاباً يا لَهُ لـو أنه من وقتـه لم يَنْصُل
٨– قدح البزالُ زنادها من دونها فتهافتت مثل الشـراب المرسـل
٩– وطَغَتْ لعجز الماء عن إطفائها حتى ظننتُ الكأس جذوة مُصطلي
١٠– فوردت أرْوى مورد، وشرِبْتُ أحـ ـلى مشربٍ ، ونهلت أعذب منهلِ
١١– ونَزَعْتُ لا في السكر خُنْتُ تصوّني
بِخَنَاً ، ولا في الصحو شنْتُ تجملي

التخريج : يتيمة الدهر ١/٢٨٠ والابيات ١ – ٧ في معجم البلدان ٤/١٣٣ رواية البيت الرابع :
نطقت مواقع صوبه بسحابة تهمي على كرب الفؤاد فتنجلي
ورواية البيت السادس :
بنانـه بمموج من نسجها ومبقل
ورواية صدر السابع :
وكسا الخضاب بها بناناً يا له .

وله من قصيدة : [٨٧]

جُزِيت أفضل ما يُجزاه ذو كَرَمٍ
أخلاقُه في دياجي دهره شُعَلُ
حماهُ وهو غـلامٌ غير مكتهلٍ
عن المطامع فضلٌ فيـه مكتهـل

التخريج : يتيمة الدهر ١/٢٨٢ .

وله من اخرى : [٨٨]

من كل مُتّسع الاخلاق مبتسم
للخطب إن ضاقت الأخلاق والحِيَلُ

يَسْعى به البرقُ إلاّ أنّه فــرس
في صورة الموتِ إلا أنه رَجُـــــلُ
يَلْقى الرماحَ بصدرٍ منه ليس لــه
ظهر ، وهادي جوادٍ ماله كَفَلُ

التخريج : يتيمة الدهر ٢٨٣/١ .

[٨٩]

وله من اخرى :

من كل مُختالة تنقب بــالـ عِثْيَرِ وَجْهَ الضحى من الخجلِ
تضمُّ أحشاءها على أُسُــد تزأر في غابــة من الأَسَــل

التخريج : يتيمة الدهر ٢٨٤/١ .

[٩٠]

وله من اخرى :

ويوم أغصَّ اتســاع الفضا ء جيشٌ لمن أمّه مهــولُ
يخيل أنْ مــا لــه آخرٌ إذا مــا تــراءى لــه أوّل
ويغصب شمس الضحى نورها من الخيل ما تبعث الارجــلُ
دجىً أنت بــدر به والنجــو م زرقــك والظلمــة القسطل

التخريج : يتيمة الدهر ٢٨٤/١ .

[٩١]

وله من رسالة كتبها الى سيف الدولة :

١ـ فَصِرْتُ أمسك عن أوصاف نعمتــه
عَجزاً ، وينطق عن آثارها حــالي
٢ـ لمّا تحصَّنْتُ مــن دهــري بمعقلـه
سَمَتْ بحملانه ألحــاظ إقبالي

٣– وواصلتني صـلاتٌ منه رُحْـتُ بها
أختال مـا بين عزٍّ الجاه والمال

٤– فلينظر الدهرُ عُقبى ما صـبرت له
إذْ كان من بعض حُسّادي وعُذّالي

٥– ألمْ أكدْه بحُسن الانتظار الـى
أن صُنْتُ حظّي عن حَلّ وترحال

٦– بلغت ما لا يحوز السؤل نائلـه
ولايدافع عن فضـل وإفضال

٧– يا عارضاً لم أشِمْ مذ كنت بارقهُ
إلاّ رويت بغيثٍ منـه هطّال

٨– رويد جودك قدضاقت بـه هممي
وردّ عني برغم الدهر إقـلالي

٩– لم يَبْقَ لي أملٌ أرجو نـداكَ بـهِ
دهري لانّكَ قد افنيتَ آمالـي

التخريج : يتيمة الدهر ٢٦٣/١ . وهي في تاريخ بغداد ١٢/١١ . ورواية الاول : وتنطق . ورواية الثاني : من دهري بخلعته . ورواية الخامس : عن حط وترحال. ورواية السادس : من لا يحوز . والتاسع لوحده في شرح المضنون به على غير اهله ص ٢١٥.

[٩٢]

وكتب الى الامير سيف الدولة من رسالة :

ورجاء سيف الدولة الشرف الذي
يتقاصر التفصيل عـن تفصيله

ضَمّنْتُ تأميلي نَداه فـردّه
جذلانَ من سَفَر الظنون بسؤله

وأفقتُ حين بلغت وِرْدَ نَواله

عن وِرْدِ ممتنع النوال بخيلـــه

فالغيث يغبطني على إنعــامــه

والــدهرُ يحسدني على تأميله

التخريج : نخب تاريخية وادبية جامعة لاخبار الامير سيف الدولة الحمداني لماريوس كانار ٣٥٢ نقلا عن قطعة من نشوار المحاضرة (ليست ضمن ما نشره عبود الشالجي) في اجزائه الثمانية انظر : Raad, XII 1932, P. 191

[٩٢ ب]

وقال الببغاء :

واكثر من تلقى يَسُرُّكَ قــولُهُ

ولــكن قليــلٌ من يَسُرُّك فِعْلُهُ

وقد كان حسنُ الظنِّ بعض مذاهبي

فادَّبنــي هــذا الزمــانُ وأهلُــهُ

التخريج : المخطوط رقم ١٢٥٩٢ بمتحف الآثار بغداد .

[٩٣]

وقال ابو الفرج الببغاء يمدح سيف الدولة من قصيدة :

١ــ نَداكَ إذا ضنَّ الغمامُ غمامُ

وعَزْمكَ إن فلّ الحسامَ حُسامُ

٢ــ فهذا ينيلُ الرزق وهو مُمَنّعٌ

وذاك يفلّ الجيش وهو لُهــام

٣ــ ومن طلبَ الاعداء بالمال والظُبا

وبالسعد لم يصعب عليه مَرام

التخريج : الصحيفة ٨٣ من حماسة فريدة مجهولة المصنف ترجعللقرن السادس الهجري ، مصورتها في مكتبتي واصلها في خزانة مغربية خاصة ، واغلب الظن ان مصنفها مغربي لما فيها من نوادر الأشعار المغربيةوالاندلسية . رالابيات له في يتيمة الدهر ٣١/١ ورواية الثاني: وذاك يرد .

[٩٤]

وقال :

١- خيالُكَ منك أعرَفُ بالغرامِ   وأرأفُ بالمحبِّ المستهـامِ
٢- فلو يَستطيع حين حَظَرتَ نومي   عليَّ لزار في غَيْرِ المنامِ

التخريج يتيمة الدهر ٢٧٥/١ ووفيات الاعيان ٢٠١/٣ . وهما في شرح مقامات الحريري ٢٣٠/٢
ورواية الاول : كان اعرف . ورواية عجز الثاني : لكان يزور .

[٩٥]

وقال في عِتْق الخمر :

وعريقــة الأنساب والشِّيمِ   موجودة ، والخلق في العــدم
قَدُمَتْ فلا تُعزَى الى حَدَثٍ   إلاّ اذا عُزِيَت الى الهَرَمِ
هي آدمُ الكرْم المولد في الـ   دنيا وحَوّا الخمر في القــدم
كملت فضائلها وقصَّر عــن   أوصافــها الاغــراق في الكلم
ظهرت ونور الشمس في فلك   من قبل خَلْق الصبح والظلــم
فانهــلَّ جوهــرُها بمنسكبٍ   لم يعتصر بيــد ولا قَــدَمِ
واشتقَّ معنى اسم السُّلاف لها   من كونها في سالف الأممِ
فكأنّها في صَفْوِها خُلُقي   وكأنّها في عِتْقِها كــرمي

التخريـج : يتيمة الدهر ٢٧٨/١ - ٢٧٩ .

[٩٦]

وله من اخرى :

في سالبٍ للشمس ثوبَ ضيائها   بعجاجة ملء الفضاء الهــام
كالليل إلاّ أنّ ثوبَ ظلامه   من عِثْيَرٍ ونجومَه مــن لامِ
يلقى الدجى من بيضه بضُحىً كما   يلقي الضحى من نقعه بظلامِ

التخريج : يتيمة الدهر ٢٨٣/١ .

[٩٧]

وله من اخرى :

١ـ في عارضٍ ضاقَتِ الارضُ الفسيحة عن
سُراه إذْ سـال فيها سَيْلُه العَرِمُ

٢ـ كأنّه الليـلُ لاقُرْبٌ ولا بُعُـدٌ
يخفى عليه ، ولا فَـجٌ ولا عَلَـمُ

٣ـ يهدي الغبار اليه الشمس كاسفةً
كأنّها فيـه سرٌ ليس ينكـتـم

٤ـ شقَّ الغضنفرُ آجامَ الـرماح بـه
والموت يُسفر احيانـاً ويلتثـم

٥ـ فراسلَ الدهرُ في الاعـداء عَزْمَته
وكاتَبَ النّسْرَ عنه السيف لا القـلم

٦ـ ومـا سمعنا بليثٍ قبـل رؤيتـه
إذا سَرَى صاحَبَتْهُ في السُّرى الأجَمُ

٧ـ البـاذلُ العُرْفَ والانواءُ باخـلةٌ
والمانعُ الجارَ ، والاعمارُ تُخْتَـرَمُ

٨ـ حيثُ الدجى النقع ، والفجر الصوارم وال
أسْدُ الفوارس ، والخطِّية الأجَـمُ

التخريج : يتيمة الدهر ٢٨٥/١ والبيتان السابع والثامن في المرقصات والمطربات ص ٤٢ ورواية الثامن : حيث الدجى النقع و البيض الكواكب .

[٩٨]

وله من رسالة كتبها الى سيف الدولة يذكر منصرفه من بعض الغزوات ظافراً :

لانّه الغاية القصوى التي عجزت عن أن تؤمِّل إدراكاً لها الهِـمَمُ

ما تستحقُّ ملوكُ الدهر مرتبةً ... في الفضل إلاّ له من فوقها قـدم
ذكاؤه إن دجا ليل الشكوك ضحىً ... وظله إن خطا صَرْف الردى حَرَمُ
فلو عَدا الكرم الموصوف راحته ... عن أن يجاوزَها لم يكرم الكرم

التخريج : يتيمة الدهر ١/٢٦٢ .

[٩٩]

وله من رسالة كتبها الى جعفر بن محمد بن ورقاء :

جادَ رَبْعاً حلّاتَهُ يا همام ... ُمن ندى كفك العزيز رهـامُ
فقبيحٌ إن استزدتُ له صَوْ ... ب غمامٍ وأنت فيـه غمـام
ما بأرض لم تَبْدُ فيها صباحٌ ... ما بدارٍ حللتَ فيهـا ظلام
وإذا ما حللت في بلد فَهْـ ... ـوَ جميع الدنيا وأنتَ الانامُ
سؤدَدٌ عنده التفاخُرُ ذلٌّ ... وندىً عنـده الكرامُ لئـام
وسجايا كأنّها الروضُ إلاّ ... انّها للعـدوّ موتٌ زُؤامُ
انتمُ أنفُسُ العلا يا بني وَرْ ... قاء والناس كلهـم أجسـام
سَخِطَ المال من أكفكم ما ... حَمِدَتْهُ السيوف والاقلامُ

التخريج : يتيمة الدهر ١/٢٦٥ .

[١٠٠]

وله من قصيدة في سيف الدولة يذكر وقعة كانت له مع بني كلاب ، وعفوه عنهم :

اذا استلّك الجانون أغمدك الحلم ... وإن كفّك الإبقاء انهضك العزمُ

ومنها قوله :

ومن لم يؤدِّبْهُ لفرط عُتُوِّه ... اذا ما جنى الانصاف ، أدّبه الظلم

ومنها :

اذا العُرْبُ لم تجز اصطناع ملوكها بشكرٍ تعاوَتْ في سياستها العُجْمُ
أعِدْها الى عادات عفوك محسناً كما عَوَّدتها قبلُ آباؤك الشُمُّ
فإن ضاق عنها العذر عندك في الذي جَنَتْهُ ، فما ضاق التفضّل والحلم

التخريج : نشوار المحاضرة ١/١٠٣ .

[١٠١]

حكى ابن لبيب غلام ابي الفرج الببغاء ان سيف الدولة كان قد أمر بضرب دنانير للصلات ، في كل دينار منها عشرة مثاقيل ، وعليه اسمه وصورته . فأمر يوماً لابي الفرج منها بعشرة دنانير ، فقال ارتجالا :

نحنُ بجود الامير في حَرَمِ نَرْتَعُ بين السعود والنِعَمِ
أبدع من هذه الدنانير لم يجر قديماً في خاطر الكرم
فقد غَدَتْ باسمه وصورته في دهرنا عُوذَةً من العَدَمِ

التخريج : يتيمة الدهر ١/٣٢ اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء لمحمد راغب الطباخ ١/٢٨٢ ونخب تاريخية وادبية ص ٣٤٨ – ٣٤٩ .

[١٠٢]

وقال من قصيدة كتبها الى سيف الدولة يذكر وقعة كانت له مع بعض العرب :

عدلُ الصوارمِ أعدل الاحكامِ وشبا الأسنّة أكتب الأقلامِ
أخْلِقْ بمن كفر الغنى أن يغتدي كفرانُهُ سبباً الى الإعدام
من كان في الإكرام مفسدة له فهوانه أولى من الإكرام

ومنها قوله :

فتركتهم صرعى كأنك بالظبى عاطيتهم في الروع كأس مُدام
متهاجرين على الدنوّ كأنما أنفت رؤوسهم من الاجسام

التخريج : نشوار المحاضرة ١/٣٥٣ .

[١٠٣]

وقال ابو الفرج عبدالواحد بن محمد المخزومي الببغاء يمدح سيف الدولـة في ضمن رسالة وكان سيف الدولـة قد انصرف من بعض غزواته اليها فقال :

وكيف يُقهر من لله ينصر من ... دون الورى وبعزّ الله يَعتَصِمُ
إنْ سار سار لواءُ الحمد يقدمه ... أو حَلَّ حلّ به الاقبالُ والكَرَمُ
يلقى العِدا بجيوش لا يقاومها ... كثرُ العساكر إلاّ أنّها هِمَمُ
لمّا سقَى البيضَ ريّا وهي ظامئةٌ ... من الدماءِ وحُكْمُ الموت يحتكم
سقَتْ سحائبُ كفّيْه بصَيّبها ... ديارَ بكرٍ فهانت عندها الدِيَمُ

التخريج : معجم البلدان : مادة ديار بكر – ٦٣٧/٢ .

[١٠٣ ب]

قال الببغاء في الاصطرلاب :

ومستديرٍ معجم التقسـيم ... منتسب الاشـكال والرسومِ
دَبّرَهُ فكرُ امرىءٍ حكيـمِ ... فصاغه في صِغَرِ التجسـيمِ
مسـاوياً للفلكِ العظيـمِ ... مقتطعاً لسـائر النجـومِ

التخريج : محاضرات الأدباء ١ / ١١٧ .

[١٠٤]

وقال في وصف الجلاهق :

ومِرْنانٍ (١) مُعَبَّسَةٍ ضَحوك ... مُهَذَّبَةِ الطبائـع والكيـانِ
مُغالِبَةٍ وليس بهـا حَراكٌ ... وباطشةٍ وليس لهـا يَـدانِ
لها في الجارح النّسب المُعلّى ... وإن هيَ خالفَتْهُ في المعـاني
تطير مع البُزاة بلا جَناحٍ ... فَتَسْبِقُهـا الى قَصَبِ الرهانِ
وتُدْرِكُ ما تشاء بغير رِجْلٍ ... ولا بـاعٍ يَطولُ ولا بَنـانِ
وتلحَظُ ما يَكِلُّ الطرفُ عنه ... بلا نَظَرٍ يصحّ ولا عِيـانِ

(١) المرنان : الوتر اذا صوتت .

لها عُضْوان من عَصَبٍ ولحم | وسائرُ جِسْمِها من خَيْزُرانِ
يُخاطَبُ في الهواء الطيرُ منها | بلفظٍ ليس يصدُرُ عن لسانِ
فإن لم تُصْغِ أرْدَتْهابطَعْنٍ | ينوبُ الطين فيه عن السِّنان
مُقَرْطَـقة ممنطقة خَـلوب | مُهَفْهفَة مُخَفّفة الجِران
مُذَكّرة مؤنّثة تَهـادى | من الأصباغ في حُلَلِ القيان
مُعَمَّرة تَزايَدُ كُلّ يـومٍ | شَبيبَتهُا على مَرِّ الزمانِ
كأنَّ اللهَ ضمّنها فبـانتْ | لنا في الرزقِ عن أوفى ضَمانِ
أعزّ على العيون من المآقـي | وأحْلى في النفوس مـن الأماني
اذا ما اسْتَوْطَنَتْ يوماً مكاناً | تولّى الجَدْبُ عن ذاك المكانِ

التخريج: مخطوطة مباهج الفكر ومناهج العبر الورقة ١٢٥ – ١٢٦ وهي ايضاً في نهاية الارب ١٠/٣٤٨ – ٣٤٩ .

[١٠٥]

وقال الببغاء يصف الثعلب :

وأعفرِ المَسْك (١) تلقاهُ فتحسبَه | من أدكنِ الخزّ مخبُوّاً بخيفان(٢)
كأنّ أذنَيْهِ في حُسْنِ انتصابِهما | اذا هُما انتصبا للحِسِّ زُجّانِ(٣)
يَسْري ويتبعه من خلفه ذَنَبٌ | كأنّه حين يبدو ثعلبٌ ثـاني
فـلا يشُكّ الذي بالبعد يبصره | فـرداً بأنّهما في الخلقةِ اثنانِ

التخريج : مخطوطة مباهج الفكر المرقة ٤١١٦ – مكتبة الفاتح الورقة ٢٥٤ .
وهي في نهاية الارب ٩/٢٨١ .

(١) العفرة : لون العفر والتراب . والمسك : الجلد .
(٢) في الاصل : بحقيان . ولم أجدها في المعجم فاثبت رواية النهاية ، والخيفان : حشيش جبلي .
(٣) الزج : الحديدة في اسفل الرمح يركز بها في الارض .

[١٠٦]

وقال :

ومسمعٍ ليس بذي لسانِ
محكم في صمم الآذان
سرّ يُؤديه الى إعـلان

التخريج : محاضرات الادباء ٢/١٧٢ .

[١٠٧]

وقال :

فليالي الصبا أسرّ ليـالٍ   وزمان الهوى ألـذ زمـان
وأسرّ البلاد ما حمد السـا   كنُ فيها خـلائق الجيـران

التخريج : نشوار المحاضرة ٣/١٦٠ .

[١٠٨]

وقال :

عَلّمْتُ طيفَكَ إسعافي فما هَجَعَتْ
عيناي إلا وطيفٌ منك يطـرقنـي
فكيف أشكر مَنْ إن نمت واصلني
بالطيف منـه ، وإن لم أَغْفُ قاطعني

التخريج : يتيمة الدهر ١/٢٧٥ .

[١٠٩]

وقال في الورد :

١ـ زَمَـنُ الورد أظـرفُ الأزمـان
وأوانُ الربيع خيـرُ أوانِ

٢ــ أدرك النرجسُ الجنيُّ وفـــزنا
منهمـــا بالخـدود والأجفان

٣ــ أشرفُ الزَهر زار في أشرف الدهـــ
ـر ، فَصِلْ فيه أشرف الإخـــوان

٤ــ واجلُ شمس العُقار في يد بدر الـ
حُسْن يخدمْك منهما النيِّـــران

٥ــ وأدِرْها عَذْراء وانتهـــز الإمـــ
ـكان من قبل عائق الإمــكان

٦ــ في كؤوسٍ كأنّها زَهَرُ الخشـــ
خاشِ ضمّتْ شقائقَ النعمـــان

٧ــ واختدعها عنـــد البُزال بألفـــا
ظ المثاني ومُطْرِبـــات الأغـــاني

٨ــ فهي أولى من العـــرائس إن زُفّـــ
ـتْ بمَعزْف النايات والعيـــدانِ

التخريج : الابيات في يتيمة الدهر ١/٢٨٠ – ٢٨١ المقطعة ما عدا البيت الثاني في مخطوطة حدائق الانوار الورقة ٦٢ والابيات ١ ، ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، في شرح مقامات الحريري ٢/٦٥–٦٦ رواية الاول : اشرف الازمان .

[١١٠]

وله من قصيدة :

صحبتُ الدهرَ في سَهْلٍ وحَزْنِ وجَرَّبْتُ الامـــورَ وجربتنـــي
فلم أرَ مذ عرفتُ محلَّ نفسي بلوغ غنى يُساوي حمل مَن
ولم تَتَضَمّنِ الـــدنيا لحظّي منال مَسَرّةٍ إلاّ بحـــزن
حملتُ على السوابق ثقل همّي وشاهدت العواقب صفو ذهنـــي

وشِمْتُ بوارقَ الآمال دهراً   فلم أظْفَرْ على ظمأ بمزْن
ولم أر كالجياد أصحّ وُدّاً   إذا عدل الودودُ الى التظنّي
نكلفها عزائمَنا فتكفي   ونستدني الحظوظَ بها فتدني
وهبْتُ لمثل قطع الليل منها   أغرّ كمثل ضوء الصبح مني
وكنتُ بحيث ظنّ من اعتزام   وكان من المضاء بحيث ظَنّي
وثالثُنا ابن جدّ لا يرى أن   يصاحب في تصرفه ابن وَهْنِ
حجبتُ لجفنه الابصار عنه   ومن لي أن يكون الجفن جفني
سقيتُ نداي ، ما أسنى محلي   وأرفع همتي واعزّ ركني
رسا في تربة العلياء أصلي   وأينع في مروج العزّ غصني
وليس عليّ غير الجدّ فيما   سعيتُ له لاستغني وأغني
فإنْ أُحرَمْ فلم أحرم لعجزٍ   وإن أبلغ فنفسي بلّغتني

التخريج يتيمة الدهر ١/٢٨١ — ٢٨٢ .

[١١١]

وله من قصيدة :

١— ما الذلُّ إلاّ تحمُّلُ المِنَنِ   فكنْ عزيزاً إن شئت أو فَهُنِ
٢— إذا اقتصَرْنا على اليسير فما الـ   ـعلّة في عتبنا على الزمن

التخريج : يتيمة الدهر ١/٢٨٢ والاول فقط في بهجة المجالس ١/١٧٢ ونهاية الارب ٣/١٠٦ .

[١١٢]

وكتب يحيى بن محمد بن سليمان بن فهد الازدي الى ابي الفرج في فصل من كتاب ، وقد اعتلّ بعده :

فقَدْتُ السلامةَ لمّا نأيـ   ـتَ وحالفتُ لمّا بعدتَ الظنونا(١)
وكان اقترابك لي صحتي   فحين ارتحلت عدِمْتُ القرينا

(١) في الاصل (الضنينا) ولم أجد لها وجهاً . ولعل الصواب ما اثبتناه .

وما هوّن السقمُ يا سيّدي اشـ تياقي ، وحاشى له أن يهـونا

فكتب اليه ابو الفرج في صدر كتاب : كتابي عن سلامة ،

وعن كَمَدٍ فلّ غرب السلوّ وشوق أعادَ حراكي سـكونا

وقلب يرى كلّ شيء يعيـن قلوب العبـاد عليـه معينـا

ولم أرَ بعدك شيئاً يسـرّ فافتح أنساً اليـه الجفونـا

وجملة أمري أنّي اشتكيـت وقد كان دهريَ لي مستابنـا

وجرَّبْت مذ غِبْتَ عني الكرام فكانوا الشكوك وكنت اليقينـا

التخريج : نشوار المحاضرة ٥٢/٢ - ٥٣ .

[١١٣]

في سنة ست وخمسين وثلثمائة توفي سيف الدولة ، فقال الببغاء يرثيـه بقصيدة ، منها :

خلَفَ المدائحَ بعدكَ التأبينُ عن أيّ حادثة يُعَزّى الـدين

ما كان في الدنيا كيومك مشهدٌ بَهَرَ العقول ولا نـراه يكونُ

لم يبق محذوراً فكُلُّ مصيبـة جلَلٌ لديه وكلُ خَطْبٍ دُونُ

هبْ للهدى من بعد فقدك سلوةً فَحِراكه مُذْ غبت عنـه سكونُ

ألْقَى نَعيُّكَ في القبائل لوعةً فيها لمنسرب الدمـوع معيـنُ

أربيعة الفرس استجدِّي نجدةً فسهولُ عزّك بالمُصاب حزُون

كُلٌّ كأنْتِ أسىً ولكن بالحجى يتفاضل المحزون والمحزون

ولّى بسيف الدولة العـزّ الذي كانت عليه بـه الخطوب تهونُ

التخريج : تكملة تاريخ الطبري ص ٤١٢ - ٤١٣ .

[١١٤]

وقال الببغاء في فأرة مصورة :

انظر الى صورة لو أنها علمت بمن تشبّهُ لم تظهر لبانيهـا

ترى الملوكَ وقوفاً حول مالكها ... وعادةُ الدولة المأمول يُعليها

التخريج : محاضرات الادباء ٢/٣٧٧ .

[١١٥]

وقال :

يا طيف من أنا عبدُه منْ أين لي ... شُكْرٌ يقوم ببعض ما تُوليهِ

ينأى فتُدْنيهِ إليَّ على النّوى ... فأراه كالتحقيق في التشبيه

ما كان أحْسَنَ حالتي لو أنَّ ما ... أوتيتُ من كرم وعطفٍ فيه

التخريج : يتيمة الدهر ١/٢٧٥ .



تقرير عام عن أعمال المجمع العلمي في دورته الرابعة لسنة ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣

اعده رئيس المجمع العلمي العراقي الدكتور صالح احمد العلي

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

تابع المجمع العلمي العراقي متمثلا برئاسته واعضائه والمنتسبين اليه ، اعماله لتحقيق الاهداف التي رسمها قانونه ، على وفق القواعد المقررة في قانونه ونظامه الداخلي ، وتطلب اداؤهم لواجباتهم المجمعية بالمستوى المنشود بذل جهود استثنائية في توظيف طاقاتهم من اجل تحقيق اقصى ما يمكن انجازه في الظروف الحالية التي يتحمل فيها عدد كبير من اعضاء المجمع ممن يشغلون مناصب بارزة في الادارة والتدريس ، مسؤوليات كبيرة في نطاق وظائفهم الرسمية ، ويقومون بواجبات دقيقة في الظروف الحالية التي تتطلب مشاركة الجميع في الجهود لتعزيز ثبات العراق في دفاعه عن اراضيه ومثله .

ادركت ادارة المجمع ما تتطلبه الظروف الحالية من ترشيد النفقات ، واستجابت لتقليص الميزانية المخصصة له بالاقتصاد في النفقات فيما لا يؤثر في تعطيل اعماله العلمية أو عرقلتها ، وخفف من آثار الاقتصاد ادراك المنتسبين اليه دوافع هذا الاقتصاد ، فبذلوا جهودا مضاعفة لضمان سير اعمال المجمع بالمستوى المرضي .

ديوان الرئاسة :

عقد ديوان الرئاسة خمس جلسات درس فيها تفاصيل اعداد الميزانية على ضوء التوجيهات الصادرة من الجهات العليا ، وثبت هذه التفاصيل بما ينسجم مع هذه التوجيهات ولا يؤثر في الاعمال العلمية للمجمع .

ودرس ما يجدر توفيره وصدق لائحة الميزانية ، وأقر تفاصيلها ، وقام باجراء بعض المناقلات في ابواب الميزانية مما تطلبه الاحـــوال .

وأقر اسماء خبراء اللجان انفاذا لتوصية اللجان . وأقر تأليف اللجنة الوطنية لجوائز التعريب .

مجلس المجمع :

عقد مجلس المجمع عشرين جلسة ، في كل شهر جلستين وخصص عدداً منها لدراسة اعمال اللجان ، ففي الجلسة الثانية لمجلس المجمع قرأ مقرر لجنة المجلة الدكتور نوري حمودي تقريراً ضمنه محضر اجتماع لجنة المجلة والتوصيات التي اتخذتها لضمان اصدار المجلة بالمستوى اللائق وبمواعيد منتظمة.

وفي الجلسة الرابعة القى الدكتور محمود الجليلي ، مقرر لجنة التأليف والترجمة والنشر ، دراسة عن تطور التأليف والترجمة في العراق والوطن العربي خلال الازمنة الحديثة ، اشار فيها الى دور المجمع العلمي العراقي في حركة التأليف والنشر ، ثم تابع في الجلسة السادسة عرض دراسته عن الترجمة ، وتطور النشر والطبع التصويري ، ومجالات افادة المجمع منها ، وبين اهمية العنايـــة باللغة العربية وسبل تيسيرها في النشر .

وتحدث الدكتور سعدون حمادي في الجلسة التاسعة عن اللغة العربية وتميزها ودورها في تقوية التماسك القومي ، وفي استيعاب العلوم في عهود ازدهار الحضارة العربية ، واشار الى ما تجابهه اللغة العربية في الأزمنة الحديثة من تحديات ، والى وجوب دراسة السبل المؤدية الى تثبيت مكانتها ومواكبتها للتقدم الحديث .

وفي الجلسة الحادية عشرة القى الدكتور يوسف حبي بحثاً عن الثقافة السريانية ودورها في تاريخ الحركة الفـــكرية العربية ، والجوانب التي تعني الهيئة السريانية في المجمع العامي العراقي بدراستها مما يساعد على توضيح مقومات الثقافة العربية وتطورها .

وفي الجلسة الثانية عشرة تحدث الدكتور كامل حسن عن تاريخ اللغة الكردية وآدابها ، واللهجات الكردية وخصائصها وتوزيعها الجغرافي ، وعلاقة اللغة الكردية باللغة العربية ، واهمية اعداد معجم للغة الكردية ، ومعجم كردي عربي ودراسة تلاقي الثقافتين الكردية والعربية ، ودور المجمع العلمي العراقي في نشر الكتب الكردية .

وعرض الدكتور محمود الجليلي في الجلسة الثالثة عشرة فكرة اعداد معجم لغوي حضاري يعني بالتطور التاريخي لاستعمال الكلمات العربية الاستعمالات الحديثة والمعاصرة ، ومما تتطابه من اعداد معاجم حديثة تستوعب هذه التطورات .

وفي الجلسة الرابعة عشرة عرض الدكتور عبدالعزيز البسام للتطور الحديث في التوثيق واهميته في تيسير البحوث ، واشار الى السبل التي تيسر للمجمع الافادة من التوثيق لانجاز اعماله العلمية بالمستوى اللائق ، واكد اهمية تنمية المكتبة ودور اعضاء المجمع في هذه التنمية بما يقدمونه من مقترحات والحاجة الى تنظيم الوثائق المتعلقة بميادين الثقافة التي يعنى المجمع بدراستها .

ودرس مجلس المجمع في الجلسة الرابعة عشر قرارات مجمع اللغة العربية في القاهرة وتوصياته في دورته الأخيرة لسنة ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، وبحث موضوع سلامة اللغة العربية ودور المجمع العلمي العراقي في النهوض بذلك .

وكان يعقب على كل بحث من هذه البحوث بمناقشات يشارك فيها الاعضاء ويفيضون في التعليقات التي تساعد على توضيح موضوع البحث وتنميته .

وخصص مجلس المجمع تسع جلسات لاقرار المصطلحات التي تعدها اللجان المختصة ونشرها ، فتمت دراسة مصطلحات علم الغابات في الجلستين الثالثة والرابعة ، ومصطلحات الهندسة في الجلسة الخامسة ، ومصطلحات الرياضيات في الجلستين السابعة والثامنة ، ودرس بعض مصطلحات علم الحيوان ومصطلحات الكيمياء في الجلسات الثلاثة الأخيرة وقدمت الى المجلس مصطلحات علم النفس والطب لدراستها .

أعمال اللجان :

واصلت اللجان جلساتها الاسبوعية لدراسة المواضيع التي تختص بها ضمن خطتها العامة ، وبالتفاصيل التي قررتها في خطتها السنوية ، واختارت كل لجنة خبراء من ذوي الخبرة والاختصاص وممن عرفوا بالعناية في مايدرسه المجمع . وادمجت لجنة الحضارة في لجنة التاريخ .

كرس عدد من اللجان عمله في وضع المصطلحات وتعريبها فواصلت لجنة التربية العمل في وضع مصطلحات المعجم التربوي ، فراجعت ماسبق وضعه من المصطلحات للحروف .A. B. C على وفق ماجاء في « قاموس التربية » لمؤلفه Carter Good وأتمت وضع المفردات العربية للمصطلحات التي تبدأ .D. E. F وانجزت وضع نحو ٨٠٠ مصطلح جديد ، وقدمت مصطلحات حرف A الى مجلس المجمع تمهيداً لدراستها واقرارها .

وواصلت لجنة علم النفس عملها في وضع معجم اعلم النفس والطب العقلي ، فوضعت المصطلحات الواردة في المعاجم المعتمدة لديها المبتدئة بحرف G. H. I, وانجزت نحو الف مصطلح ، وقدمتها الى مجلس المجمع تمهيداً لدراستها واقرار نشرها .

وانجزت لجنة الهندسة وضع (٤٢٠) مصطلحاً في الهندسة المدنية ، تشمل المفردات التي أولها .I. L وبدأت باعداد المصطلحات التي تبدأ بحرف M وباضافة هذا العدد الى ماانجز سابقاً يكون مجموع ماانجزته اللجنة من مصطلحات الهندسة المدنية ٢٦١٠ مصطلح وأقر نشر المصطلحات التي تبدأ بالحروف .A. H

ووضعت لجنة الزراعة (١٦٠٠ مصطلح) في المراعي ، (و ٢٠٠ مصطلح) في علم (التربية) وشرعت في اعداد مصطلحات « علم البستنة » واكملت منها (١٢٠ مصطلحاً) .

وانجزت لجنة الكيمياء (١٥٠٠ مصطلح) في الكيمياء التحليلية ، واعدت (٥٠٠ مصطلح) وقدمت الى المجلس لدراستها واقرار نشرها ودرست اللجنة

موضوع البوادئ واللواحق ، واتصلت بلجنة اللغة العربية لاقرار صيغة كاملة لاستعمالها واضطلع عدد من اللجان بدراسات في مواضيع فكرية ، اضافة الى اعداد بعضها مصطلحات ضمن نطاق اختصاصها .

وقد وضعت لجنة اللغة العربية ثلاث مئة مصطلح وعشر مصطلحات للالفاظ الحضارية المستعملة في العراق وهي اما اعجمية دخيلة ، واما محرفة من اصل عربي ، ونظرت في عشر رسائل رسمية تضمنت طلب وضع مصطلحات واسماء تجارية ونحوها تنفيذاً لقانون الحفاظ على سلامة اللغة العربية .

وتدارست ايضاً مع لجنة الكيمياء وضع بعض القواعد العامة لمصطلحات الكيمياء وترجمة اللاحقتين ICS, IC ، كما درست بعض المبادئ الاساسية في اختيار المصطلحات العلمية ووضعها ، التي اقرتها ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية الجديدة في الرباط ، ومقترح تأليف معجم لغوي تاريخي للغة العربية وعوامل ، ضعف استعمال اللغة الفصحى ، وتابعت دراسة بعض ماوصل اليها من مقررات بعض المجامع اللغوية العربية .

ودرست لجنة القانون والاقتصاد مصطلحات في الشركات والقانون التجاري . .

ودرست لجنة الاصول عدداً من المسائل الصرفية والنحوية ، ومما درسته بحث في حذف واو العطف بين المتعاطفات ، ودراسة في استعمال « كل » و « بعض » ، واسم الجنس واسم الجنس الجمعي ، وجواز معاملة اسم الجمع معاملة الجمع والمفرد في عود الضمير ، وتأنيث الفعل ، واستعمال كلمة « هذا » كما درست مقترح اعداد معجم حضاري لتطور معاني الكلمات العربية ، وعوامل ضعف استعمال اللغة العربية .

ودرست لجنة التاريخ والحضارة عددا من الموضوعات ، ولا سيما :—

١— مناهج البحث التاريخي عند المسلمين ومظانها في مقدمات المؤلفات التاريخية وكتب الاجتماع والادب العامة ، والفهارس والبرامج والشيوخ وفهارس المؤلفات والكتب ، والمفاخرات .

وبحثت ايضا مدى عناية المؤرخين بذكر مصادرهم ، والمؤرخين الذين عنوا بذكر مساند اخبارهم ، أو اشادوا في مقدمات كتبهم الى المصادر التي اعتمدوا عليها ، والمؤرخين الذين كانوا ينقلون عمن سبقهم مع الاشارة او عدم الاشارة الى اسم الكاتب او الكتاب الذي نقلوا عنه .

٢- درست اللجنة اهمية البحث في المصطلحات والتعابير المستعملة في الدواوين والوثائق والكتب السلطانية الصادرة من الحكام في الامور السياسية والادارية كمصدر لدراسة هذه المصطلحات ، والعقبات التي تعترض الباحث في الحصول على هذه الوثائق ، والصعوبات التي تواجهه في دراستها ، كما درست اهمية الوثائق الاصلية في دراسة الخط العربي وتطوره ، وفي دراسة تطور اساوب المخاطبات والكتابة ، وتطور نظم الحكم والادارة .

٣- درست اللجنة كتب السيرة والمغازي من حيث الأمور التي تهتم بها كل منهما والهيكل العام الذي تنظم فيه بحثها ، ومدى التفاصيل التي توردها وعنيت بدراسة سيرة ابن اسحاق ومصادره ورواته واهميته ، والحاجة الى جمع ما نقلته المصادر عن ابن اسحاق لاستخلاص صورة واضحة عنه وبحثت ايضا حدود اعادة تكوين الكتب المفقودة عن طريق جمع النصوص التي نقلتها المصادر عن هذه الكتب ، وفائدة ذلك .

٤- درست اصناف الكتب التي فيها مادة عن الاحوال الاجتماعية والاقتصادية في صدر الاسلام ، فاستعرضت الكتب المؤلفة في الصحابة وفي الرجال والمادة التي عنيت بجمعها ، واشكال تنظيمها .

واستعرضت كتب الحديث ، والمواضيع التي عنيت بجمع الاحاديث عنها وطرق تنظيم هذه المادة ، واهميتها في التوجيه الفكري للمسلمين .

وبحثت كتب الفقه الاولى واهميتها في دراسة التاريخ ، وتطرقت الى الصعوبات التي تعترض الباحث في كتب الفقه ، ومن ذلك قلة هذه الكتب

وعنايتها بالنقل عن الفقهاء البارزين ، واشتمال ابحاثها على التطبيقات العملية وعلى آراء الفقهاء في هذه الابحاث ، اي شمولها التاريخ والفقه ، والواقع والنظريات .

٥- درست اللجنة اهمية كتابة تاريخ عام للعرب ، والامــور التي يجب يجب ان تراعى فيه من حيث وضع خطوط عامة تنظم الابحاث وتظهر تتابعهـــا ، وتقدير التفاصيـــل التي تعطى عن كل حادثة او قضيـــة تبعا لآثارها في مجرى الحوادث التالية ، او في حياتنا اليومية . وتطرقت الى الصعوبات التي يواجهها من يتصدى لكتابة تاريخ عام للعرب بسبب وفرة المادة وعدم تنظيمها وتبني بعضها افكاراً غير صحيحة .

بحثت لجنة التراث العلمي العربي في جلساتها عددا من الامور المتعلقة بالعلم ومصادر دراسة تاريخه ، وكتابة تاريخ العلم والتراث العراقي القديم من الطب ، ومدى اسهام الساسانيين واهل الجزيرة الفراتية (الرها ونصيبين ورأس العين) في نمو دراســة العلــوم في العهــود الاسلاميــة المزدهرة، كما درست دور سرجيوس الرسعيني في نقل التراث الطبي والفلسفي الى السريانية .

وبحثت في تقدم التقنية في العالم القديم والوسيط في ميادين المعادن والاصباغ والادوية ، ومواد البناء ، والعطور ، ودلالة ذلك على مدى تقدم المعلومات العلمية .

وبحثت تطور مفهوم « العلم » في العهود الاسلامية المزدهرة ، وفي العقــود الاخيرة من عصرنا ، كمـــا درست الصعوبات التي يواجهــــها الباحث في متابعة ما ينشر من دراسات وكتب في تاريخ العلم ، والسبل التي التي يمكن ان تذلل بها ، واهمية « التوثيق » وجمع قوائم مصادر الدراسات الحديثة ، كما درست مدى ازدهار الطب في العهود الاسلامية المتأخرة والمخطوطات المتوفرة منها والكتب التي تحتوي على معلومات عنها .

ودرست المراكز العلمية وتطور توزيعها الجغرافي في العالم الاسلامي ابان عهود ازدهاره .

ودرست المصادر الدينية في دراسة الطب والعلوم ، ومدى توافرالمادة عنها في كتب الطب النبوي ، والاحاديث النبوية ، وكتب الفقه ، والجوانب التي عالجها الفقه من ممارسة الطب ، واهمية كتب الحسبة في دراسة الثقافة الطبية .

ودرست اللجنة ايضا الخطوط العامة التي يجدر السير عليها في دراسة تاريخ العلوم العامة وتاريخ الطب خاصة ، وخلصت الى ان ابرزهذه الخطوط العامة هي دراسة المدارس الفكرية الرئيسة ، وثقافة العلماء ، ومنهجية البحث العلمي وعنيت بدراسة الثقافة العامة للاطباء العرب واسس دراساتهم الاختصاصية ، والكتب المنهجية التي اعتمدها في دراستهم والتجارب التي أجروها ، والافكار التي ابدعوها وخصت بالدراسة « محنة الاطباء » والكتب التي طلبت منهم دراستها .

واعدت لجنة الكيمياء مذكرة بالمبادئ العامة في وضع المصطلح الكيمياوى تراعي فيه سلامة اللغة العربية والافادة من امكانياتها الزاخرة ، وترجمة السوابق والكواسع وترجمة الرموز .

وقامت كل لجنة بدراسة ما تحيله اليها رئاسة المجمع او مجلسه من كتب او مذكرات تتعلق بالعمل المجمعي .

ونظرت لجنة التأليف والترجمة والنشر في ما قدم اليهامن طلبات لطبع الكتب فأحالت ما قدمه المؤلفون والمحققون من خارج المجمع الى خبراء لدراسته وبيان جدارته بالنشر على حساب المجمع ، وتم طبع « التبيين في انساب القرشيين » لابن قدامة ، و « كنز اللسن » اعداد الاستاذ محمد الخال . و « شعراء امويون» للدكتور نوري حمودي ، وفهرس مخطوطات المجمع العلمي العراقي « للاستاذ ميخائيل عواد ، و « مصادر التراث العسكري » للاستاذ كوركيس عواد .

وقررت اللجنة اعادة النظر في مكافآت الخبراء وان تقدر المكافآت للكتب المطبوعة في المجمع على بعد يتراوح بين ٤٠ – ٦٠ ديناراً للملزمة الواحدة تبعاً للجهد المبذول فيه واهميته ، والمكافأة عن الفهارس بين ٢٠ – ٤٠ ديناراً للملزمة الواحدة تبعاً للجهود المبذولة فيه وتحدد اللجنة مقدار ما يدفع على هذا الاساس .

وتقرر وضع ضوابط جديدة لتنظيم مجلة المجمع ، وبموجبه يحدد عدد صفحات كل جزء بحوالي ٣٠٠ صفحة ، وان يرتب تسلسل نشر المقالات بتقديم مقالات الاعضاء في اللغة العربية والتاريخ ، ثم في الثقافات الاخرى والعلوم ، وتخصص صفحات لاعمال اللجان ، وانباء المجمع ، وما يتعلق بعمله ، وعرض الكتب . وقد صدر خلال الدورة المجمعية الاجزاء الاربعة من المجلد الثالث والثلاثين ، والجزء الاول من المجلد الرابع والثلاثين .

واصدرت هيئة اللغة والآداب الكردية عدداً خاصاً بها ، كما اصدرت هيئة اللغة السريانية عدداً خاصا بها .

درست لجنة اللغة الكردية تشخيص الظواهر السلبية في المصطلح الكردي كاعتماد اكثر من مصطلح واحد لمدلول ، واحد او اعتماد المصطلحات اللاتينية ، او الاخذ بمصطلحات لا تنسجم مع طبيعة اللغة الكردية . واعدت اللجنة حوالي ١٢٠٠ مصطلح عام ومدرسي في موضوعات اللغة والادب والعلوم .

وقدم الخبراء في لجنة اللغة الكردية دراسات عن الضمائر ، والتعابير البيانية والاداة (كه) اسما وحرفا ، والجمل البسيطة ، واداة التعريف باللغة الكردية .

اما لجنة الأدب والتراث الكردي فقد تابعت تحقيق وشرح ديوان الشاعر مصطفى صاحبقران الكردي ، والديوان يقع في حوالي ١٦٠٠ ورقة نصفها لما ينشر بعد .

وقامت اللجنة بدراسات عن المجمع الكردي ، وحياة وقصائد الشاعر ملا حمدون والوزن ذو الاحد عشر مقطعاً في موسيقى الشعر الكردي ، والادب

ومنهج بحثه ، كما حللت محتوى كتب الأدب للدراسة الاعدادية في منطقة الحكم الذاتي .

وعقدت هيئة اللغة السريانية تسع جلسات وضعت فيها خطط العمل للسنة الحالية ، ودرست ما يتعلق باعداد المجلة ، وبالكتب الجديرة بالاستنساخ والاقتناء مثل تاريخ سعرت ، وتفسير العهد الجديد واعداد فهارس للكتب والمقالات التي تبحث في اللغة السريانية وثقافتها .

واعدت لجنة اللغة والتراث في الهيئة خطة عامة لدراسة المصطلحات العسكرية والحربية .

واعدت عددا من المصطلحات السريانية المتعلقة بالرتب العسكرية ، وببعض الوزارات ، وبعض المخترعات ، ودرست ايضاً كتابة الالفاظ السريانية ، كما قامت بدراسة خمسمائة وثلاثين مصطلحاً من موسوعة الرهاوي .

وتابعت لجنة المعجم اكمال المعجم المترجم ، واعداد دراسة لاصدار معجم عربي سرياني وما يتطلب ذلك من اعداد الفهارس ، وتوزيع المواد على الباحثين وتدقيق ما قدم حول ذلك من آراء .

وعقدت لجنة المجلة التي تصدرها الهيئة السريانية اربع جلسات درست فيها الاسس التي تتبعها المجلة وميادين الابحاث التي تنشر فيها من بحوث اصيلة ونصوص محققة تنشر باللغة السريانية او منقولة الى اللغة العربية ، ومصطلحات متعلقة بالسريانية ، وتعريفات بالكتب الحديثة .

صلات المجمع بالمؤسسات العلمية :

تابع المجمع تعزيز صلاته وتوثيقها بالمجامع العربية والمؤسسات المعنية بدراسة الميادين الثقافية التي يعنى المجمع بتنميتها ، فحضر الاستاذ محمد بهجة الأثري جلسات المجمع الملكي المغربي في فاس وحضر كل من الدكتور احمد عبدالستار الجواري والاستاذ محمد بهجة الأثري جلسات مجمع اللغة العربية في القاهرة وساهما في الندوات التي عقدت بمناسبة مرور خمسين

سنة على تأسيس المجمع المذكور ، كما حضر كل من الدكتور صالح احمد العلي والدكتور احمد عبدالستار جلسات المؤتمر الثاني للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية في الاردن ، وقد شارك كل منهم في الابحاث والمناقشات التي دارت في تلك الجلسات .

وشارك كل من الدكتور مسارع الراوي ، والدكتور نوري حمودي والدكتور عبدالعزيز البسام والدكتور فخري محمد صالح والدكتور جميل الملائكة بندوة او اكثر مما عقدته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وشارك الدكتور صالح احمد العلي في اجتماع هيئة اعادة كتابة تاريخ العالم في اليونيسكو .

وشارك كثير من اعضاء المجمع في عدد كبير مما عقد في بغداد من ندوات متعددة تعنى بدراسة ماله صلة بأهداف المجمع ودراساته .

ومن المعلوم ان معظم اعضاء المجمع يشغلون في الدولة وظائف عالية تعني بالثقافة والفكر وتتطلب منهم الاسهام في الدراسات والتوجيهات والندوات والاعمال العلمية المنوعة التي تسهم في توجيه الدولة وبناء المجتمع وتنمية الفكر .

ودرس المجمع ولجانه عدداً من المذكرات التي احيلت اليه من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم حول استعمال الارقام الهندية والغبارية وتوصيات مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وعن عدد من المعاجم احيلت اليه من مكتب التعريب في المغرب ، كما درس مذكرة احيلت اليه من اللجنة الوطنية الكويتية للتربية والعلوم حول معايير استخدام المصطلحات الواردة في المعاجم التي تقررها مؤتمرات التعريب ، والمبادئ الاساسية في اختيار المصطلحات العلمية ووصفها التي اقرتها ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية الجديدة في الرباط . ودرست كتباً احيلت اليه من وزارة التربية حول قبول الرموز الكيميائية في كتابة العناصر والمركبات والمعادلات وحول رسم الاصوات العربية بالحرف اللاتيني ، وكتاباً من المنظمة العربية للمواصفات والمقاييس حول اسماء الشهور .

واستجاب المجمع لطلبات عدد من المؤسسات في تزويدهم بنسخ من صور المخطوطات التي يقتنيها .

واهديت مطبوعات المجمع الى كبار المسؤولين في الدولة والى عدد من المفكرين والمعنيين بالعربية وثقافتها في داخل القطر وفي الاقطار العربية وعدد من الدول الاسلامية والغربية . وارسلت مطبوعات المجمع وبعض الكتب التراثية التي صدرت في العراق الى عدد كبير من مكتبات المجامع والجامعات وكليات الآداب والمؤسسات العلمية ، على سبيل الاهداء والتبادل ، واهدت عدة مؤسسات علمية عدداً من مطبوعاتها فأغنت بها المكتبة ، كما اهدى مجمع اللغة العربية في الاردن ومجمع اللغة العربية في دمشق بعض مطبوعاته الى اعضاء المجمع .

المكتبة :

نظراً لما للمكتبة من اهمية في تيسير الابحاث وتوسيع آفاق المعرفة ، فقد اوليت عناية خاصة واستمرت تنميتها باضافة ماينقصها من كتب ومراجع ودوريات فأضيف لها خلال الدورة المجمعية الحالية أكثر من ٥٠٠ كتاب ومجلة عن طريق الهدايا والتبادل والشراء ، وبذلك اصبح مجموع الكتب فيها ٥٠١٣١ كتاباً بالعربية و ١٢٣٣٠ كتابا باللغات الشرقية و 2050 كتاباً باللغات الاوربية . وهي موزعة في ثلاث قاعات تيسيراً لاستعمالها ، احداها في بناية هيئة اللغة والأدب الكردية وتضم ١٢٦٩٦ كتاباً و ٦٤ عنوان مجلة ، والثانية في جناح هيئة اللغة السريانية وتضم ٢٤٣٥ كتاباً و ١٢٦٨ مجلداً من المجلات اما المكتبة الرئيسة فتحتوي على ٤٠٠٠٠ كتاب بالعربية و ١٠٠٠٠ كتاب باللغة الاجنبية وقرابة ٦٠٠ مجلة بالعربية واللغات الاجنبية . وتم تأثيث قاعة المحاضرات واعدادها لتضم الكتب الاجنبية والمراجع المهمة ، وفهارس الكتب ومراجع التوثيق للابحاث المتصلة بميادين اهتمام المجمع .

وتم تجلبد ٤٠٠ نسخة من مجاميع الدوريات ، كما يجري العمل في

اكمال اعداد بطاقات لفهارس وتحفظ المكتبة سجلات اصولية تدون فيها الكتب تبعاً لورودها . ويؤمل اعداد نشرات شهرية بما يرد المكتبة لتوزيع على الاعضاء ، وان يكمل ماينقص الدوريات من اعداد ، ويضاف اليها مجاميع الدوريات المهمة التي تفتقدها .

وقد افردت للمخطوطات ومصوراتها قاعة خاصة تضم حالياً اربع عشرة مخطوطة ، وألفاً وخمسمائة وستاً وخمسين مصورة ، بزيادة احدى وستين مصورة عما كان في السنة الماضية . وفيها ايضاً ٦٨٥ رقيقة .

وقد زودت قاعة المخطوطات بفهارس المخطوطات العربية والاجنبية وتم اعداد قائمة بأسماء المخطوطات التي اضيفت خـــلال السنوات الثلاث الماضية وستنشر في مجلة المجمع ، كما تمت تلبية عدة طلبات من المجامع العربية لتصوير نسخ من مصورات المخطوطات .

ويتم طبع فهرس مفصل يحتوي على وصف مستوعب لسبعمائة وخمس وثلاثين مخطوطة مما تضمها المكتبة .

الشعبة الفنية :

تضم الشعبة الفنية ثلاثة اجهزة استنساخ حديثة واجهزة لتصوير الرقيقات ولتكبير تصاوير الرقيقات ، وآلة حفر للاستنساخ بالاضافة الى عدد من الاجهزة الملحقة اللازمة لانجاز الاعمال المطلوبة من هذه الشعبة .

وقد تم خلال الدورة المجمعية الحالية تصوير ٢٦٩٤ ورقة نقلا من الرقيقات الى الورق . كما تم تصوير ٢٥٠٠ لقطة من المخطوطات نقلت الى الرقيقات وتم ايضاً استنساخ ١٢٥١٤ ورقة للمكتبة ولمجلس المجمع واعضائه ، وعدد من الباحثين والمحققين والمجامع والجامعات ، كما قامت باستنساخ عدد من تقارير اللجان . ودراسات بعض اعضاء المجمع ومما قامت بتصويره مخطوطات في علم

الفلاحة ، وخواص الاحجار ، والمرشد ، وديوان مصطفى الكردي ، ومعجم كلداني عربي ، وديوان ابي المجد الاربلي ، والمقامات الخصيبية .

اكمل بناء جناح خاص للشعبة الفنية يضم ثلاث حجرات مجهزة بمايسد احتياجاتها لانجاز الاعمال المطلوبة منها .

المطبعة :

كانت المطبعة اكثر شعب المجمع تأثراً بالاحوال الحاضرة فقد انضم من منتسبيها الى القوات المسلحة للدفاع عن حدود الدولة وشرف الامة ، ولم يكن من السهل تزويدها بالعـــدد الكافي من المؤهلين الاكفاء للعمل ، غير انه تم التخفيف من بعض تلك الآثار بالاستعانة بعدد من المستخدمين الاكفاء بعقود موقتة ، وبذلك تيسر لها انجاز — ما يطلب منها .

وقد وصلت الى المطبعة كميات من الادوات الاحتياطية التي سبق ان تمت معاملة طلبها في العام الماضي ، وجهزت بمقدار من ورق الطباعة يؤمن لها القيام بالاعمال المطلوبة . وتم جرد محتويات المطبعة وتسجيلها في سجلات رسمية .

وتضم شعبة المطبعة حالياً آلة طباعة من نوع (الانترتايب) واخرى من نوع (المونوتايب) وثالثة لطباعة الاوفسيت ، بالاضافة الى ماكنة طبع (اوفسيت) تم نصبها واعدادها للعمل ، ولكنها لم تستعمل في هذه السنة . وبالاضافة الى ذلك فان المطبعـــة تضم عـــددا من الآلات والاجهـــزة الملحقة اللازمة لنشر المطبوعات .

تم في ماكنة الانترتايب خلال الدورة المجمعية الحالية طبع خمسة كتب هي مجلة هيئة اللغة الكردية وآدابها ، وكتاب شخصيات الاغاني ، وكتاب الارقام العربية ، وكتابي بارام ناريك هبه يو ،وكتاب يادي مردان باللغة الكردية، ويبلغ مجموع عدد صفحات هذه المطبوعات زهاء الفي صفحة .

وقامت ماكنة المونوتايب بطبع الاجزاء الاربعة من المجلد الثالث والثلاثين

وبطبع « شعراء امويون » و « مصطلحات علمية » و « الشوارد في اللغة » وانجز طبع اكثر من ست عشرة ملزمة من كل من الكتب التالية « المصطلحات البلاغية وتطورها » و « مخطوطات المجمع العلمي العراقي » و « المصطلحات العلمية : علم الحيوان ، وعلم النفس ، والكيمياء التحليلية ، والفيزياء ، والتربة » ، كما يجري حالياً طبع الجزء الثالث من المجلد الرابع والثلاثين من مجلة المجمع العلمي العراقي. ويبلغ عدد صفحات ما تم طبعه خلال الدورة الحالية ٣٢٤٠ صفحة.

الادارة والحسابات :

يقوم مدير شؤون الاعضاء في المجمع بالاعمال التالية :

١- الاتصال باعضاء المجمع وابلاغهم مواعيد اجتماع المجلس واللجان وتهيئة ما تتطلبه من التحضيرات .

٢- الاشراف على طبع محاضر جلسات مجلس المجمع وديوان الرئاسة ومقررات اللجان وبعض الكتب الصادرة من رئاسة المجمع .

٣- متابعة تنفيذ قرارات لجنة المجلة ولجنة التأليف والترجمة والنشر وما يتصل بهما.

٤- اعداد استمارات الحضور وتحرير كتب الاستفسارات .

ويقوم مدير الادارة والذاتية باستلام الكتب الواردة عدا السرية وعرضها على رئاسة المجمع ، وتبليغ الشعب المختصة بها ، واعداد الاجابات ، والاشراف على حفظها وتنسيقها واعداد سجلات للكتب الصادرة والواردة ، وهو مسؤول عن دوام الموظفين والمستخدمين وتزويدهم بطلبات مراجعة المستشفيات والاجازات المرضية والاعتيادية ويقوم باعداد معاملات العلاوات ، والترفيعات ، واستخدام العاملين بعقود موقتة ، والاشراف على ما يتطلبه سير الادارة والعلاقات بين منتسبي المجمع .

تقوم مديرية الحسابات بضبط المكاتبات المتعلقة باعداد الميزانية واقرارها وتنفيذها ، وكتابة الصكوك بالصرف ، وحفظ الوصولات المطلوبة ، واستلام الواردات وتسجيلها ، وحفظ السجلات المالية ، والسجلات العامة لمحتويات

المخزن والاثاث ، وذلك وفق القوانين والانظمة المقررة ، ويعمل فيها حاليا مديرة حسابات وكاتبتا حسابات .

ان شعبة المخزن مسؤولة عن الاثاث واللوازم وعن سجل بمحتويات المجمع والاندثارات والتلف . وتشغل المطبوعات اكبر نصيب من عمل الشعبة ، فهي مسؤولة عن استلام كتب ومطبوعات المجمع ، وحفظها واعداد سجلات لما يباع منها والقيام بتوزيع المطبوعات على الجهات المقرر توزيعها عليها ، وما يتطلبه ذلك من اعداد وحفظ المخابرات عنها ، والقيام برزمها واعدادها للتوزيع او الارسال . وتتم اعمالها بالاتصال بمديرية الحسابات .

واشراف منتسبي الشعبة على القسم الخاص بعرض مطبوعات المجمع في معرض بغداد الدولي للكتاب ، والقيام بالبيع المباشر وفق النظم المقررة .

ويعمل في المخزن حاليا مأمور وموظفان ، وحازما بريد .

تضم شعبة الآلة الكاتبة اربع الآت طابعة بالعربية وطابعة واحدة بالانكليزية ، وتقوم هذه الشعبة بطبع المراسلات والكتب الصادرة ، واعمال اللجان ومحاضر جلسات مجلس المجمع ولجانه ، وابحاث الاعضاء التي تلقى في الاجتماعات وبطاقات فهارس الكتب بالاضافة الى ماتتطلبه اعمال شعب المجمع وأدارته وفي مطبعة « اللاينوتايب » آلة طابعة لاعمال المطبعة .

الإنشاء والتعمير :

وقع عبء الاقتصاد في النفقات على الاثاث والابنية حيث اقتضى تحديد الصرف عليها الى أقل مايمكن ، الامر الذي تطلب تأجيل تنفيذ عدد من خطوات التوسع وايقاف تجهيز بعض ماتتطلبه اعمال المجمع الى الحد الادنى الضروري وفي ظل هذه الظروف تم استغلال قطع خالية من ارض المجمع شيدت فيها بعض الابنية فشيد جناح متكامل بثلاث حجرات وزود بالاثاث واللوازم لتنتقل اليه الشعبة الفنية التي تشغل حالياً غرفة في البناية الرئيسة للمجمع ولا تكفي لما تقوم به من اعمال واسعة .

وتم تسقيف ثلاث قطع كانت مساحات خالية فحولت الى حجرا ت يؤمل استعمال احداها للاستعلامات والاخر ى لخزن المواد الكهربائية واللوازم الاخرى . كما تم قطيع فسحة بجانب المطبعة لاستعمالها حجرة للحراس .

واعيد تنظيــم قاعة المحاضرات لتكون قاعة للبحث وزودت بعــدد مــن الخزانات لتــوزع فيهــا الدوريات والكتب الاجنبية والمراجع الاساسية . وتطلب هذا اعادة النظر في تأثيثها وانارتها بما يحقق الغرض الجديد منها .

واجريت ترميمات في بعض سطوح الابنية وتصليحات في عدد من مجاري المياه وخزاناته ، واجريت الاعمال اللازمة لمقاومة الارضه وتطهير ابنية المجمع منها . كما يجري حالياً اصلاح جهاز تكييف الهواء ، واعداده للعمل بكفاءة .



الفهرس

البحـوث

الصفحة

آراء وأنبـاء

مطبوعات المجمع العلمي العراقي المعدة للبيع

فلس	دينار	إسم المطبوع
٦٥٠		مجلة المجمع العلمي العراقي : الاعداد ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٠ ٣١ (ج١ – ج٤) .
٥٠٠	١	مجلة المجمع العلمي العراقي : الاعداد ٣٢ (ج١ – ج٤)، ٣٣ ج ١ ، ج (٢ – ٣) ، ج ٤ ، ٣٤ (ج ١ – ٢)
٠٠٠	١	المختصر المحتاج اليه من تاريخ بغداد – للحافظ ابن الدبيثي انتقاء الامام الذهبي (ج ٣) تحقيق الدكتور مصطفى جواد .
٥٠٠		مصطلحات نفطية ، اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية .
٥٠٠		التشخيص والانذار في الطب الاكدي ، للدكتور عبداللطيف البدري .
٧٥٠		الدرهم الاسلامي ، تأليف ناصر السيد محمود النقشبندي.
٢٥٠	١	الروض النضر في ترجمة ادباء العصرج ٢، ج ٣ للعمري . تحقيق الدكتور سليم النعيمي .
٢٥٠	١	خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الاصبهاني ، الجزء الثاني . تحقيق الاستاذ محمد بهجة الأثري .
٢٥٠		رأي في المصطلحات الطبية ، الدكتور عبداللطيف البدري.
١٥٠		صحيفة دورة مؤتمر اللغة العربية (ج١ – ج٩) .
٠٠٠	١	صورة الارض للشريف الادريسي المتوفى سنة ٥٦٠ هـ .
٠٢٥		صلاح اللغة العربية لدراسة العلوم الجامعية والبحث العلمي للدكتور فاضل الطائي .

فلس	دينار	اسم الكتاب
٧٥٠		من الطب الآشوري ، للدكتور عبداللطيف البدري .
٠٠٠	١	معجم علوم الحيوان ، اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية.
٠٠٠	١	معجم علوم الفيزياء ، اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية.
٠٠٠	١	سيبويه امام النحاة ، للاستاذ كوركيس عواد .
٧٥٠		معجم لغات القبائل والامصار ج١ ، ج٢ للدكتور جميل سعيد .
٥٠٠		معجم علوم المياه ، للاستاذ جميل الملائكة .
٥٠٠	١	شمامة العنبر والزهر المعنبر ، للغلامي ، تحقيق الدكتور سليم النعيمي .
٠٢٥		حول توحيد المصطلحات القانونية في البلاد العربية ، تأليف محمد شفيق العاني .
٧٥٠		لمحات علمية ، تأليف الدكتور فاضل الطائي .
٥٠٠		ذرائع العصبيات ، تأليف الاستاذ محمد بهجة الأثري .
٥٠٠		تكملة خريدة القصر وجريدة العصر ، للاستاذ محمد بهجة الاثري .
١٥٠		فهارس الرقيقات لمكتبة مخطوطات المجمع العامي العراقي تأليف ابراهيم ارسلان .
٠٠٠	١	مصادر التراث العسكري ، تأليف الاستاذ كوركيس عواد ج١ ، ج ٢ .
٠٠٠	٢	مصادر التراث العسكري ، تأليف الاستاذ كوركيس عواد ج٣ .
٥٠٠	١	مصطلحات علمية ، اللجان العامية في المجمع .
٧٥٠	١	الشوارد في اللغة ، للصاغاني ؛ تحقيق عدنان الدوري .
٠٠٠	٢	تاريخ الموصل ، تأليف سعيد الديوهجي ج ١ .
٣٥٠		

فلس	دينار	اسم المطبوع
١٠٠		الارقام العربية ، للاستاذ محمد حسن آل ياسين .
٥٠٠	١	مخطوطات المجمع العلمي العراقي ، تأليف الاستاذ ميخائيل عواد ج١ ، ج ٣ .
٥٠٠	١	الراعي النميري ، تأليف الدكتور نوري القيسي ، والاستاذ هلال ناجي .
٢٥٠	١	شعراء امويون ، تأليف الدكتور نوري القيسي ج٣ .
٧٥٠	١	شخصيات الاغاني ، تأليف الدكتور نوري القيسي والدكتور داود سلوم .
٠٠٠	٢	مصطلحات بلاغية للدكتور احمد مطلوب .

كتب الهيئة الكردية

فلس	دينار	اسم المطبوع
٥٠٠		ئەنجومەنی ئەدیبان .
٥٠٠	١	زیانی ئافرەتی کورد .
٥٠٠		كنز اللسن .
٠٠٠	١	للعدد الواحد «مجلةالهيئةالكردية» (الاعداد ٥ — ١٠)
٥٠٠		رەخنە سازي .
٣٥٠		زانستی ئاوەلواتا
٢٥٠		مذكرات مأمون بك .
٤٠٠		ئیدیەمیت کوردی .
١٢٥٠	١	هوزانڤانیت کورد .
٠٠٠	٢	يادي مردان ج٢ .
٠٠٠	٢	دیوانی فەقی قادر .

كتب الهيئة السريانية

فلس	دينار	اسم الكتاب
١٢٥	١	كتاب المهرجان .
٣٥٠	٠	قطوف المهرجان .
٦٠٠		آثار حنين بن اسحاق .
١٥٠		حنين بن اسحق .
٥٥٠		تاريخ برشنابا .
٤٥٠		المباحث السريانية (المجلد ١، المجلد ٢) دينار واحد .
٣٥٠		التاريخ الصغير .
٠٠٠	١	اللؤلؤ المنثور .
٤٠٠		جوامع حنين بن اسحق .
٨٠٠ (للمجلد الواحد)		المروج النزهية (المجلد الاول و الثاني) .
٢٥٠		قصائد مختارة .
٧٥٠		فهارس المخطوطات السريانية في العراق (الجزء الاول) .
٣٠٠		كتاب المولودين .
١٠٠	١	طريق الكمال .
٥٠٠		قواعد اللغة السريانية .
٣٥٠		مأساة متلبا .
٥٠٠	١	تواريخ سريانية .
٤٠٠ — ٠٠٠ر٢		مجلة المجمع الهيئة السريانية مجلد (١ — ٦) .

مجلــة
المجمع العلمــي العراقي

انشئت سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠ م

تصدر اربعة اجزاء في السنة

سعر النسخة دينار ونصف
وتضاف اليها اجرة البريــد

* * *

توجه الرسائل والبحوث الى الامين العام للمجمع

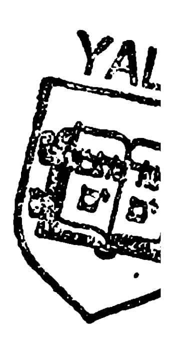
- البحوث والمصطلحات التي ينشرها الكتاب في هذه المجلة تعبر عن آرائهم الشخصية .
- البحوث والمقالات التي لا تنشر ، لا ترد الى اصحابها .

(العنوان : بغداد / الوزيرية / ص.ب. ٤٠٢٣)

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٦٧٦ لسنة ١٩٨٣

مطبعة المجمع العلمي العراقي ٤٠٠٠ / ١٩٨٣

JOURNAL
of the
IRAQ ACADEMY



VOLUME 34

Part (3)

PUBLISHED BY

THE IRAQ ACADEMY

BAGHDAD

1983